

مختصر
تفسير ابن جرير
(جزء عم)

اختصار/
محمد بن عبد الله بن محمد حزام العبدلي

مختصر
تفسير ابن جرير
(جزء عم)

اختصاراً
محمد بن عبد الله بن محمد بن عزام العبدي

مختصر
تفسير ابن جرير
(جزء عم)



المقدمة ...

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذا تفسير جزء عم أخذته من تفسير الإمام الجليل إمام المفسرين أبو

جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري المتوفى ٣١٠هـ رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسعة وأسكنه فسيح الجنان، اختصرته لنفسي ليسهل الرجوع إليه، ثم بعد ذلك رأيت أن أنشره؛ لعل الله عز وجل ينفعني به في الدارين، وينفع به من اطلع عليه.

وقد سلكت في ذلك بنقل نص كلامه رَحِمَهُ اللهُ، ثم حذفت الأسانيد وأسانيد أصحاب الأقوال التي روى عنهم الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ، فعندما يذكر قوله رَحِمَهُ اللهُ في الآية ثم يقول: وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ثم يسوق ذلك بالأسانيد إلى كل من قال ذلك فأقول: وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل قال ذلك فلان وفلان وفلان.

وأحياناً يقول رَحِمَهُ اللهُ: وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل على اختلاف منهم، فقال بعضهم كذا، ثم يقول رَحِمَهُ اللهُ: ذكر من قال ذلك، ويأتي بالأسانيد إلى من قال بهذا القول.

فأقول: وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل على اختلاف منهم فقال بعضهم كذا، قاله فلان وفلان وفلان.

وأحياناً يقول رَحِمَهُ اللهُ: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك ويأتي بالأسانيد إلى من نقل عنهم هذا القول، فأقول: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل قال ذلك فلان وفلان وفلان.

وأحياناً يقول رَحْمَةُ اللَّهِ: واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، أو واختلف أهل التأويل في تأويل قوله...، فقال بعضهم كذا، ثم يقول ذكر من قال ذلك ويأتي بالأسانيد إلى من نقل عنهم هذا القول، فأقول: واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، أو واختلف أهل التأويل في تأويل قوله...، فقال بعضهم كذا، قال ذلك فلان وفلان وفلان.

ثم يقول رَحْمَةُ اللَّهِ: وقال آخرون كذا، ذكر من قال ذلك ويأتي أيضاً بأسانيده إلى من روى عنهم، فأقول: وقال آخرون كذا، قال ذلك فلان وفلان وفلان.

وأحياناً يذكر قوله رَحْمَةُ اللَّهِ ثم يقول: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك ثم يأتي بالأسانيد لكن تكون عباراتهم مختلفة نوعاً ما في لفظها، فهنا أقول: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، قال فلان كذا، وقال فلان كذا.

وأحياناً بعد تفسيره للآية أحذف قوله: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وأقول مباشرة: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، وهكذا.

فيا أيها القارئ الكريم: إن تجد خطأً أو اقتراح، أو ملاحظة، أفدنا بها كتب الله أجرك ورفع قدرك في الدارين، ليتسنى لنا تعديل ذلك، وتدارك ذلك فيما سيأتي من أجزاء إن تيسر لنا مواصلة ذلك، وفقني الله وإياكم لخدمة دينه.

أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجعل هذا العمل لوجهه سبحانه خالصاً، وأن ينفعني به في الدارين، وأن ينفع به من يطلع عليه، كما نفع بأصله، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وارزقنا علماً وعملاً.
وأسأله سبحانه الإخلاص في القول والعمل، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله العبدلي،

غفر الله له ولوالديه وأزواجه والمسلمين،

/ رجب / ١٤٣٩ هـ.

alafly11@gmail.com

رقم الهاتف:

٠٠٦٩٧٧٧٦٥٨٧٨٢١

سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ وَيَأْتِيهَا أَرْبَعُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْمُونَ (٤) تُؤَكَّدًا سَيَعْمُونَ (٥) ﴿[النبا: ١-٥]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قُرَيْشٍ يَا مُحَمَّدٌ؟ وَقِيلَ ذَلِكَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا جَعَلَتْ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهَا تَخْتَصِمُ وَتَتَجَادَلُ، فِي الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: فِيمَ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَيَخْتَصِمُونَ؟ وَ"فِي" وَ"عَنْ" فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الَّذِي يَتَسَاءَلُونَ، فَقَالَ: يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ: يَعْنِي: عَنِ الْخَبَرِ الْعَظِيمِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِالنَّبِيِّ الْعَظِيمِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُرِيدَ بِهِ الْقُرْآنُ، قَالَه مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ الْبَعْثُ، قَالَه قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: مَعْنَى ذَلِكَ: عَمَّ يَتَحَدَّثُ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ أَجَابَ فَصَارَتْ

عَمَّ كَأَنَّهَا فِي مَعْنَى: لِأَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ أَخْبَرَ فَقَالَ: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، فَذَلِكَ إِخْلَافُهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الَّذِي صَارُوا هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَفَرِيقٌ بِهِ مُكَذِّبٌ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَتَسَاءَلُوهُمْ بَيْنَهُمْ فِي النَّبِيِّ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ بَعَثَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَتَوَعَّدَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾، يَقُولُ: سَيَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُنْكِرُونَ وَعِيدَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ، مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَكَّدَ الْوَعِيدَ بِتَكْرِيرٍ آخَرَ، فَقَالَ: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُحْيِيهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَلَا مُعَاقِبُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ، سَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَوْلَ غَيْرُ مَا قَالُوا إِذَا لَقُوا اللَّهَ، وَأَفْضُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبا: ٦-١١].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُعَدِّدًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ نِعْمَهُ وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ، وَكُفْرَانَهُمْ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَمَتَّوَعَّدَهُمْ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ، مِنْ صُنُوفِ عِقَابِهِ، وَاللَّيْمِ عَذَابِهِ، فَقَالَ هُمْ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ﴾، لَكُمْ ﴿مِهْدًا﴾ تَمْتَهُدُونَهَا وَتَفْتَرِشُونَهَا، قَالَ قَتَادَةُ: أَيُّ: بِسَاطًا.

﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ يَقُولُ: وَالْجِبَالِ لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.
 ﴿وَحَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا﴾ ذَكَرْنَا وَإِنَاثًا، وَطَوَالًا وَقِصَارًا، أَوْ ذَوِي دِمَامَةٍ وَجَمَالٍ،
 مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢] يَعْنِي بِهِ: صَيَّرْنَا هُمْ.
 ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ يَقُولُ: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ لَكُمْ رَاحَةً وَدَعَةً، تَهْدِءُونَ بِهِ
 وَتَسْكُنُونَ، كَأَنَّكُمْ أَمْوَاتٌ لَا تَشْعُرُونَ، وَأَنْتُمْ أَحْيَاءٌ لَمْ تَفَارِقْكُمْ الْأَرْوَاحُ؛
 وَالسَّبْتُ وَالسَّبَاتُ: هُوَ السُّكُونُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السَّبْتُ سَبْتًا؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ
 رَاحَةٌ وَدَعَةٌ.

﴿وَجَعَلْنَا آيَلًا لِلْإِنْسَانِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لَكُمْ غِشَاءً يَتَغَشَّاهُمْ
 سَوَادُهُ، وَتُعْطِيكُمْ ظِلْمَتَهُ، كَمَا يُعْطِي الثَّوْبُ لِإِبْسِهِ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ عَنِ
 التَّصْرِيفِ لِمَا كُنْتُمْ تَتَصَرَّفُونَ لَهُ نَهَارًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ يَقُولُ: وَجَعَلْنَا النَّهَارَ لَكُمْ ضِيَاءً؛ لِتَتَشَرُّوا فِيهِ
 لِمَعَاشِكُمْ، وَتَتَصَرَّفُوا فِيهِ لِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَابْتِغَاءِ فَضْلِ اللَّهِ فِيهِ، وَجَعَلَ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ النَّهَارَ إِذْ كَانَ سَبَبًا لِتَصْرِيفِ عِبَادِهِ لِطَلْبِ الْمَعَاشِ فِيهِ مَعَاشًا، قَالَ مُجَاهِدٌ
 فِي قَوْلِهِ: ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: يَبْتَغُونَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٢﴾
 وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ﴿١٤﴾ [النبا: ١٢-١٤].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ﴾ وَسَقَفْنَا فَوْقَكُمْ، فَجَعَلَ السَّقْفَ بِنَاءً، إِذْ
 كَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّي سُقُوفَ الْبُيُوتِ، وَهِيَ سَمَاوُهَا بِنَاءً، وَكَانَتْ السَّمَاءُ

لِلأَرْضِ سَقْفًا، فَخَاطَبَهُمْ بِلِسَانِهِمْ، إِذْ كَانَ التَّنْزِيلُ بِلِسَانِهِمْ، وَقَالَ: ﴿سَبْعًا
شِدَادًا﴾ إِذْ كَانَتْ وَثَاقًا مُحْكَمَةً الخَلْقِ، لَا صَدْوَعَ فِيهِنَّ وَلَا فُطُورَ، وَلَا يُبْلِيهِنَّ
مَرَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجَعَلْنَا سِرَاجًا، يَعْنِي
بِالسَّرَاجِ: الشَّمْسِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَاجًا﴾ يَعْنِي: وَقَادًا مُضِيئًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَسُفْيَانٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِالْمُعْصِرَاتِ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا الرِّيَّاحُ الَّتِي تَعْصِرُ فِي هُبُوبِهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ السَّحَابُ الَّتِي تَتَحَلَّبُ بِالمَطَرِ وَلَمَّا تَمَطَّرَ، كَالْمَرْأَةِ
المُعْصِرُ الَّتِي قَدْ دَنَا أَوْانُ حَيْضِهَا وَلَمْ تَحِضْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسُفْيَانٌ،
وَالرَّبِيعُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ السَّمَاءُ، قَالَ الحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.
وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ
المُعْصِرَاتِ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ نَحَلَّتْ بِالمَاءِ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، قُلْنَا ذَلِكَ أَوَّلَى
بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ،
وَالرِّيَّاحُ لَا مَاءَ فِيهَا فَيَنْزِلُ مِنْهَا، وَإِنَّمَا يَنْزِلُ بِهَا، وَكَانَ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الرِّيَّاحُ،
وَلَوْ كَانَتْ الْقِرَاءَةُ: (وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ) فَلَمَّا كَانَتْ الْقِرَاءَةُ: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾

عَلِمَ أَنَّ الْمَعْنَى بِذَلِكَ مَا وَصَفْتُ فَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْبَاءَ قَدْ تَعَقَّبُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ قِيلِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَلَا غَلْبَ مِنْ مَعْنَى مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَالتَّوِيلِ عَلَى الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ، فَإِنْ قَالَ: فَإِنَّ السَّمَاءَ قَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُرَادًا بِهَا، قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ نُزُولِ الْغَيْثِ مِنَ السَّحَابِ دُونَ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَاءٌ مُجَابًا﴾ يَقُولُ: مَاءٌ مُنْصَبًا يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَثَجِّ دِمَاءِ الْبُذْنِ، وَذَلِكَ سَفْكُهَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ، وَسُفْيَانٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِالشَّجَّاجِ: الْكَثِيرُ، قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: كَثِيرًا وَلَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ صِفَةِ الْكَثْرَةِ الشَّجُّ، وَإِنَّمَا الشَّجُّ: الصَّبُّ الْمُتَابِعُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْحَجِّ الْعَجُّ وَالشَّجُّ»^(١)، يَعْنِي بِالشَّجِّ: صَبُّ دِمَاءِ الْهُدَايَا وَالْبُذْنِ بِذَبْحِهَا، يُقَالُ مِنْهُ: تَجَجْتُ دَمَهُ، فَأَنَا أَتَجُّهُ تَجًّا، وَقَدْ تَجَّ الدَّمُ، فَهُوَ يَتَجُّ تَجُّجًا.

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، برقم (٥٠٨٦)، وابن أبي شيبة في المصنف، برقم (١٥٠٥٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١١٠١)، وأخرجه الترمذي، برقم (٨٢٧)، عن أبي بكر الصديق، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: أي الحج أفضل؟ قال: «العج والشج»، وابن ماجه، برقم (٢٩٢٤).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُورَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبا: ١٥-٢٠].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لِنُخْرِجَ بِالْمَاءِ الَّذِي نُنَزِّلُهُ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ إِلَى الْأَرْضِ حَبًّا؛ وَالْحَبُّ كُلُّ مَا تَصْمَنُهُ كِمَامُ الزَّرْعِ الَّتِي تُحْصَدُ، وَهِيَ جَمْعُ حَبَّةٍ، كَمَا الشَّعِيرُ جَمْعُ شَعِيرَةٍ، وَكَمَا التَّمْرُ جَمْعُ تَمْرَةٍ، وَأَمَّا النَّبَاتُ فَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَرَعَى، مِنَ الْحَشِيشِ وَالزَّرُوعِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ يَقُولُ: وَلِنُخْرِجَ بِذَلِكَ الْغَيْثِ جَنَّاتٍ وَهِيَ الْبَسَاتِينُ؛ وَقَالَ: وَجَنَّاتٍ، وَالْمَعْنَى: وَتَمَرِ جَنَّاتٍ، فَتَرَكَ ذِكْرَ الشَّمْرِ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلْفَافًا﴾ يَعْنِي: مُلْتَفَّةً مُجْتَمِعَةً، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةٌ، وَسُفْيَانٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَاحِدِ الْأَلْفَافِ، فَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: وَاحِدُهَا: لَفٌّ، وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ: وَاحِدُهَا: لَفٌّ وَلَفِيفٌ؛ قَالَ: وَإِنْ شِئْتَ كَانَ الْأَلْفَافُ جَمْعًا، وَاحِدُهُ جَمْعٌ أَيْضًا، فَتَقُولُ: جِنَّةٌ لَفَاءً، وَجَنَّاتٌ لَفٌّ، ثُمَّ يُجْمَعُ اللَّفُّ الْأَلْفَافًا، وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ: لَمْ نَسْمَعْ شَجَرَةً لَفَةً، وَلَكِنْ وَاحِدُهَا لَفَاءً، وَجَمْعُهَا لَفٌّ، وَجَمْعُ لَفٍّ: الْأَلْفَافُ، فَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَلْفَافَ جَمْعُ لَفٍّ أَوْ لَفِيفٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: مُلْتَفَّةٌ، وَاللَّفَّاءُ: هِيَ الْغَلِيظَةُ، وَلَيْسَ الْإِلْتِفَافُ مِنَ الْغَلْظِ فِي شَيْءٍ، إِلَّا أَنْ يُوجَّهَ إِلَى أَنَّهُ غَلْظُ الْإِلْتِفَافِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَيْثُ دَوَّجَتْ وَجْهًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ يَوْمَ يَفْصِلُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَيَأْخُذُ فِيهِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، كَانَ مِيقَاتًا لِمَا أَنْفَذَ اللَّهُ لَهُوْلَاءِ الْمُكذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، وَلِضَرْبَائِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ، قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾: وَهُوَ يَوْمٌ عَظَّمَهُ اللَّهُ، يَفْصِلُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ تَرْجَمَ بِ— ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ، فَكَانَتْ قِيلَ: يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ أَجَلًا لِمَا وَعَدْنَا هُوْلَاءِ الْقَوْمِ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ مَعْنَى الصُّورِ فِيمَا مَضَى قَبْلُ، وَهُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ عِنْدَنَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَنَاتُونَ أَفْوَاجًا﴾ يَقُولُ: فَيَجِيئُونَ زُمْرًا زُمْرًا، وَجَمَاعَةً جَمَاعَةً، قَالَ مُجَاهِدٌ قَوْلَهُ: ﴿أَفْوَاجًا﴾: زُمْرًا زُمْرًا، وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿فَنَاتُونَ أَفْوَاجًا﴾؛ لِأَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا تَأْتِي مَعَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَفُيْحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَشُقِقَتِ السَّمَاءُ فَصُدِعَتْ، فَكَانَتْ طُرُقًا، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلِ شِدَادِهَا لَا فَطُورَ فِيهَا وَلَا صُدُوعَ.

وَقِيلَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ قِطْعًا كَقِطْعِ الخَشَبِ المُشَقَّقَةِ لِأَبْوَابِ الدُّورِ وَالمَسَاكِينِ، قَالُوا: وَمَعْنَى الكَلَامِ: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ قِطْعًا كَالْأَبْوَابِ، فَلَمَّا أُسْقِطَتِ الكَافُ صَارَتِ الأَبْوَابُ الخَبْرَ، كَمَا يُقَالُ فِي الكَلَامِ: كَانَ عَبْدُ اللهِ أَسَدًا، يَعْنِي: كَالْأَسَدِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَسِرَّتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ يَقُولُ: وَنُسِفَتِ الجِبَالُ فَاجْتَسَّتْ مِنْ أَصُولِهَا، فَصِيرَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا، لِعَيْنِ النَّاطِرِ، كَالسَّرَابِ الَّذِي يَظُنُّ مَنْ يَرَاهُ مِنْ بُعْدِ مَاءٍ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ هَبَاءٌ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿١٢﴾ لِيُثْبِتَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ [النبا: ٢١-٢٥].

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ذَاتَ رَصْدٍ لِأَهْلِهَا، الَّذِينَ كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي الدُّنْيَا بِهَا، وَبِالمَعَادِ إِلَى اللهِ فِي الآخِرَةِ، وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ المُصَدِّقِينَ بِهَا، وَمَعْنَى الكَلَامِ: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ ذَاتَ ارْتِقَابٍ، تَرْقُبُ مَنْ يَجْتَازُهَا وَتَرْصُدُهُمْ، وَكَانَ الحَسَنُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ قَالَ: " أَلَا إِنَّ عَلَى البَابِ الرِّصْدَ، فَمَنْ جَاءَ بِجَوَازٍ جَازَ، وَمَنْ لَمْ يَجِئْ بِجَوَازٍ احْتَبَسَ "، قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَدٌ حَتَّى يَجْتَازَ النَّارَ ".

وَقَالَ قَتَادَةُ: " يُعْلِمُنَا أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الجَنَّةِ حَتَّى يَقْطَعَ النَّارَ "، وَقَالَ سُفْيَانُ: " عَلَيْهَا ثَلَاثُ قَنَاطِرٍ ".

وَقَوْلُهُ: ﴿لِلطَّغِينِ مَنَابَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ جَهَنَّمَ لِلَّذِينَ طَغَوْا فِي الدُّنْيَا، فَتَجَاوَزُوا حُدُودَ اللَّهِ، اسْتِكْبَارًا عَلَى رَبِّهِمْ، كَانَتْ مَنْزِلًا مَرَجِعًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، وَمَصِيرًا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ يَسْكُنُونَهُ وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الطَّاغِينَ فِي الدُّنْيَا لَا يَبُثُونَ فِي جَهَنَّمَ، فَمَا كَثُرُونَ فِيهَا أَحْقَابًا، وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿لَيْثِينَ﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةٌ قُرَاءَ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ، وَبَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿لَيْثِينَ﴾ بِالْأَلْفِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةٌ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: (لَيْثِينَ) بِغَيْرِ الْأَلْفِ؛ وَأَفْصَحُ الْقُرَّاءَتَيْنِ وَأَصَحُّهُمَا مَخْرَجًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، قِرَاءَةٌ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالْأَلْفِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَكَادُ تُوقِعُ الصِّفَةَ إِذَا جَاءَتْ عَلَى فَعِيلٍ، فَتُعْمَلُهَا فِي شَيْءٍ، وَتَنْصِبُهُ بِهَا، لَا يَكَادُونَ أَنْ يَقُولُوا: هَذَا رَجُلٌ بَخِلٌ بِمَالِهِ، وَلَا عَسِرٌ عَلَيْنَا، وَلَا هُوَ خَصِمٌ لَنَا، لِأَنَّ فَعَلَ لَا يَأْتِي صِفَةً إِلَّا مَدْحًا أَوْ ذَمًّا، فَلَا يَعْمَلُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ فِي غَيْرِهِ، وَإِذْ أَرَادُوا إِعْمَالَ ذَلِكَ فِي الْإِسْمِ أَوْ غَيْرِهِ جَعَلُوهُ فَاعِلًا، فَقَالُوا: هُوَ بَاخِلٌ بِمَالِهِ، وَهُوَ طَامِعٌ فِيمَا عِنْدَنَا، فَلِذَلِكَ قُلْتُ: إِنَّ ﴿لَيْثِينَ﴾ أَصْحُ مَخْرَجًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَأَفْصَحُ، وَلَمْ أُحِلَّ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ: (لَيْثِينَ)، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهَا أَفْصَحَ، لِأَنَّ الْعَرَبَ رَبًّا أَعْمَلَتِ الْمَدْحَ فِي الْأَسْمَاءِ، وَأَمَّا الْأَحْقَابُ فَجَمْعُ حُقْبٍ، وَالْحُقْبُ: جَمْعُ حِقْبَةٍ، فَهَذِهِ جَمْعُهَا حِقْبٌ، وَمِنْ الْأَحْقَابِ الَّتِي جَمَعَهَا حُقْبٌ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾ [الكهف: ٦٠] فَهَذَا

وَاحِدُ الْأَحْقَابِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَبْلَغِ مُدَّةِ الْحُقْبِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مُدَّةٌ ثَلَاثِينَ سَنَةً، قَالَ ذَلِكَ بَشِيرُ بْنُ كَعْبٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مُدَّةُ الْحُقْبِ الْوَاحِدِ: ثَمَانُونَ سَنَةً، قَالَه عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالْحَسَنُ، وَرُوِيَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّهَا فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَقَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا سَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] "إِنَّهُمَا فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؟ قِيلَ: الَّذِي قَالَه قَتَادَةُ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي ذَلِكَ أَصَحُّ، فَإِنْ قَالَ: فَمَا لِلْكَفَّارِ عِنْدَ اللَّهِ عَذَابٌ إِلَّا أَحْقَابًا؟ قِيلَ: إِنَّ الرَّبِيعَ وَقَتَادَةَ قَدْ قَالَا: إِنَّ هَذِهِ الْأَحْقَابَ لَا انْقِضَاءَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ، وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْعَذَابِ، هُوَ أَنَّهُمْ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ﴿١٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿١٢٥﴾ فَإِذَا انْقَضَتْ تِلْكَ الْأَحْقَابُ، صَارَ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَنْوَاعٌ غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِنَّ لِلطَّالِعِينَ لَشَرَّ مَنَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ صَلَوَاتُهَا فِيمَنْ أَلْمَهُادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ= أَرْوَجُ﴾ [ص: ٥٥-٥٨] وَهَذَا الْقَوْلُ عِنْدِي أَشْبَهُ بِمَعْنَى الْآيَةِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، نَسَخَتْهَا: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] وَلَا مَعْنَى لِهَذَا الْقَوْلِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ خَبْرٌ، وَالْأَخْبَارُ لَا يَكُونُ فِيهَا نَسْخٌ، وَإِنَّمَا النَّسْخُ يَكُونُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ يَقُولُ: لَا يَطْعَمُونَ فِيهَا بَرْدًا يُبَرِّدُ حَرَّ السَّعِيرِ عَنْهُمْ، إِلَّا الْغَسَاقَ، وَلَا شَرَابًا يَرْوِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ الَّذِي بِهِمْ، إِلَّا الْحَمِيمَ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ النَّوْمُ، وَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا نَوْمًا وَلَا شَرَابًا، وَتَأْوِيلُ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْرُوفِ كَلَامِ الْعَرَبِ، دُونَ غَيْرِهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ الرَّبِيعُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا قَدْ أُغْلِيَ حَتَّى انْتَهَى حَرُّهُ، فَهُوَ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ، وَلَا بَرْدَ إِلَّا عَسَاقًا، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْعَسَاقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَا سَالَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ، قَالَ نَحْوَ ذَلِكَ عَطِيَّةُ بْنُ سَعْدٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَأَبُو رَزِينٍ، وَقَتَادَةَ، وَسُفْيَانَ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾: "الزَّمْهَرِيرُ"، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَذُوقُوهُ مِنْ بَرْدِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْمُتَنِّ، وَهُوَ [بِالطَّخَارِيَّةِ]، قَالَه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ. وَالْغَسَاقُ عِنْدِي: هُوَ الْفَعَالُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: غَسَقَتْ عَيْنُ فُلَانٍ إِذَا سَالَتْ دُمُوعُهَا، وَغَسَقَ الْجُرْحُ: إِذَا سَالَ صَدِيدُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الْفَلَقُ: ٣] يَعْنِي بِالْغَاسِقِ: اللَّيْلُ إِذَا لَبَسَ الْأَشْيَاءَ وَغَطَّاهَا؛ وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ هُجُومَهُ عَلَى الْأَشْيَاءِ، هُجُومَ السَّيْلِ السَّائِلِ؛ فَإِذَا كَانَ الْغَسَاقُ هُوَ مَا

وَصَفْتُ مِنَ الشَّيْءِ السَّائِلِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ،
وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَذُوقُونَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الشَّرَابِ، هُوَ السَّائِلُ مِنَ الزَّمْهِيرِ فِي
جَهَنَّمَ، الْجَامِعُ مَعَ شِدَّةِ بَرْدِهِ النَّتْنِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
وَكَذَبُوا بَيِّنَاتٍ كَذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴿
[النبا: ٢٦-٣٠].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَذَا الْعِقَابُ الَّذِي عُوقِبَ لَهُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ فِي الْآخِرَةِ،
فَعَلَهُ بِهِمْ رَبُّهُمْ جَزَاءً، يَعْنِي: ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ وَأَفْوَاهِهِمُ الرَّدِيئَةِ الَّتِي كَانُوا
يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: وَافَقَ هَذَا الْعِقَابُ هَذَا
الْعِلْمَ وَفَاءً، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ، وَابْنُ زَيْدٍ،
وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ
كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَخَافُونَ مُحَاسَبَةَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ،
وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَسُوءِ شُكْرِهِمْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ،
وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَبُوا بَيِّنَاتٍ كَذَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكَذَبَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ
بِحُجَجِنَا وَأَدَلَّتِنَا تَكْذِيبًا، وَقِيلَ: ﴿كَذَابًا﴾ وَلَمْ يَقُلْ تَكْذِيبًا، تَصْدِيرًا عَلَى فِعْلِهِ
وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ يَقُولُ: قِيلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ فِعْلَ مِنْهُ عَلَى أَرْبَعَةٍ، فَأَرَادَ

أَنْ يُجْعَلَهُ مِثْلَ بَابِ أَفْعَلْتُ، وَمَصْدَرُ أَفْعَلْتُ إِفْعَالًا، فَقَالَ: كِذَّابًا، فَجَعَلَهُ عَلَى عَدَدِ مَصْدَرِهِ، قَالَ: وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ، تَقُولُ: قَاتَلَ قِتَالًا، قَالَ: وَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ.

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: هَذِهِ لُغَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَصِيحَةٌ، يَقُولُونَ: كَذَّبْتُ بِهِ كِذَّابًا، وَخَرَّقْتُ الْقَمِيصَ خِرَاقًا، وَكُلُّ فَعَّلْتُ، فَمَصْدَرُهَا فِعْعَالٌ بِلُغَتِهِمْ مُشَدَّدَةٌ، قَالَ: وَقَالَ لِي أَعْرَابِي مَرَّةً عَلَى الْمُرْوَةِ يَسْتَفْتِينِي: الْحَلْقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْقِصَّارُ؟

وَأَجْمَعَتِ الْقُرَاءُ عَلَى تَشْدِيدِ الذَّالِ مِنَ الْكِذَّابِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَكَانَ الْكِسَائِيُّ خَاصَّةً يُخَفِّفُ الثَّانِيَةَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبا: ٣٥].

وَيَقُولُ: وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: كَاذَبْتُهُ كِذَّابًا وَمُكَاذِبَةٌ، وَيُشَدِّدُ هَذِهِ، وَيَقُولُ قَوْلَهُ كَذَّبُوا يُقَيِّدُ الْكِذَّابَ بِالْمَصْدَرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فَكَتَبْنَاهُ كِتَابًا، كَتَبْنَا عَدَدَهُ وَمَبْلَغَهُ وَقَدْرَهُ، فَلَا يَغْرُبُ عَنَّا عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ؛ وَنَصَبَ كِتَابًا، لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ مَصْدَرٌ أَثْبَتْنَاهُ وَكَتَبْنَاهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَكُلُّ شَيْءٍ كَتَبْنَاهُ كِتَابًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذُرُّوا فُلْنَ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يُقَالُ هُوَ لَاءِ الْكُفَّارِ فِي جَهَنَّمَ إِذَا شَرِبُوا الْحَمِيمَ وَالْغَسَّاقَ: ذُوقُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي

كُتِّمَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تُكْذَّبُونَ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا عَلَى الْعَذَابِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ لَا نَخْفِيًا مِنْهُ، وَلَا تَرْفُهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ ﴿٣٣﴾ وَكَأْسِدًا هَاقًا ۖ ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۖ ﴿٣٥﴾﴾ [النبا: ٣١-٣٥].

يَقُولُ: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَنْجَى مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمُحَلِّصًا مِنْهُمْ هُمْ إِلَيْهَا، وَظَفَرًا بِهَا طَلَبُوا، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُتَنَزَّهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَدَائِقَ﴾ وَالْحَدَائِقُ: تَرْجَمَةٌ وَبَيَانٌ عَنِ الْمَفَازِ، وَجَازَ أَنْ يُتْرَجَمَ بِهَا عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْمَفَازَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: فَازَ فَلَانٌ بِهَذَا الشَّيْءِ: إِذَا طَلَبَهُ فَظَفَرَ بِهِ، فَكَانَتْ قِيلَ: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ظَفَرًا بِهَا طَلَبُوا مِنْ حَدَائِقَ وَأَعْنَابٍ؛ وَالْحَدَائِقُ: جَمْعُ حَدِيقَةٍ، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ وَالْأَشْجَارِ الْمُحَوِّطِ عَلَيْهَا الْحَيْطَانُ الْمُحَدِّقَةُ بِهَا، لِإِحْدَاقِ الْحَيْطَانِ بِهَا تُسَمَّى الْحَدِيقَةَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْحَيْطَانُ بِهَا مُحَدِّقَةً، لَمْ يُقَلَّ لَهَا حَدِيقَةً، وَإِحْدَاقُهَا بِهَا: اشْتِمَالُهَا عَلَيْهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْنَابًا﴾ يَعْنِي: وَكُرُومُ أَعْنَابٍ، وَاسْتَعْنَى بِذِكْرِ الْأَعْنَابِ عَنْ ذِكْرِ الْكُرُومِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ يَقُولُ: وَنَوَاهِدَ فِي سِنٍّ وَاحِدٍ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ يَقُولُ: وَكَأْسًا مَلَأَى مُتَتَابِعَةً عَلَى شَارِبِيهَا بِكَثْرَةٍ
وَأَمْتِلَاءٍ؛ وَأَصْلُهُ مِنَ الدَّهْقِ: وَهُوَ مُتَابِعَةُ الضَّغَطِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِشِدَّةٍ وَعَنْفٍ،
وَكَذَلِكَ الْكَأْسُ الدَّهَاقُ: مُتَابِعَتُهَا عَلَى شَارِبِيهَا بِكَثْرَةٍ وَأَمْتِلَاءٍ، وَبِنَحْوِ الَّذِي
قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الدَّهَاقُ: الصَّافِيَةُ، قَالَه عِكْرَمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ الْمُتَتَابِعَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ،
وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ
لَعْوًا، يَعْنِي بَاطِلًا مِنَ الْقَوْلِ، وَلَا كِذَابًا، يَقُولُ: وَلَا مُكَادِبَةً، أَيْ لَا يُكْذَبُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَرَأَتِ الْقُرْآنُ فِي الْأَمْصَارِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ عَلَى مَا بَيَّنَّتْ فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ سِوَى الْكِسَائِيِّ فَإِنَّهُ خَفَّفَهَا لِمَا وَصَفَتْ قَبْلُ،
وَالْتَشْدِيدُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ التَّخْفِيفِ، وَبِالْتَشْدِيدِ الْقِرَاءَةُ، وَلَا أَرَى قِرَاءَةَ ذَلِكَ
بِالتَّخْفِيفِ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى خِلَافِهِ؛ قَالَ قَتَادَةُ: ﴿لَعْوًا وَلَا كِذَابًا﴾
بَاطِلًا وَإِثْمًا، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَهِيَ كَذَلِكَ لَيْسَ فِيهَا لَعْوٌ وَلَا كِذَابٌ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَاءً مِّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ

وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) [النبأ: ٣٦-٣٨].

يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ ﴿أَعْطَى اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ثَوَابًا مِنْ رَبِّكَ بِأَعْمَالِهِمْ، عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا. وَقَوْلُهُ: ﴿عَطَاءٌ﴾ يَقُولُ: تَفَضُّلاً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَزَاهُمْ بِالْوَاحِدِ عَشْرًا فِي بَعْضٍ، وَفِي بَعْضٍ بِالْوَاحِدِ سَبْعِمِائَةً، فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ وَإِنْ كَانَتْ جَزَاءً فَعَطَاءً مِنَ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿حِسَابًا﴾ يَقُولُ: مُحَاسَبَةً لَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ: (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) بِالرَّفْعِ فِي كِلَيْهِمَا، وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: ﴿رَبِّ﴾ خَفْضًا، وَ(الرَّحْمَنُ) رَفْعًا، وَلِكُلِّ ذَلِكَ عِنْدَنَا وَجْهٌ صَحِيحٌ، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنَّ الْخَفْضَ فِي الرَّبِّ لِقُرْبِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَعْجَبُ إِلَيَّ، وَأَمَّا (الرَّحْمَنُ) بِالرَّفْعِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ، لِيُعَدَّ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الرَّحْمَنُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ خِطَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ مِنْهُمْ، وَقَالَ صَوَابًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَعْنَى الرُّوحِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَلَكٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ خَلَقًا، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَالشَّعْبِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي صُورَةِ بَنِي آدَمَ، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالْأَعْمَشُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ بَنُو آدَمَ، قَالَ قَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ: ذَلِكَ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقُرْآنُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ أَنَّ خَلْقَهُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا، يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ، وَالرُّوحُ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْتُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ هُوَ؟ وَلَا خَبَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ الْمَعْنِيُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا حُجَّةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَغَيْرُ ضَائِرٍ الْجَهْلُ بِهِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ يَقُولُ: سِمَاطَانِ، قَالَ الشَّعْبِيُّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قِيلَ: إِنَّهُمْ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ،

حِينَ يُؤْمَرُ بِأَهْلِ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَبِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فِي الدُّنْيَا،
فَوَحَّدَ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَعِكْرِمَةُ.
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ
خَلْقِهِ أَنَّهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا، إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ مِنْهُمْ
فِي الْكَلَامِ الرَّحْمَنُ، وَقَالَ صَوَابًا، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ كَمَا أَخْبَرَ إِذْ لَمْ يُخْبِرْنَا فِي
كِتَابِهِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، أَنَّهُ عَنَى بِذَلِكَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الصَّوَابِ،
وَالظَّاهِرُ مُحْتَمِلٌ جَمِيعُهُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا
أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ [النَّبَأُ: ٣٩-
٤٠].

يُقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ
وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا.

﴿الْحَقُّ﴾ يَقُولُ: إِنَّهُ حَقٌّ كَائِنٌ، لَا شَكَّ فِيهِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ يَقُولُ: فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ اتَّخَذَ
بِالتَّصْدِيقِ بِهَذَا الْيَوْمِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ النَّجَاةَ لَهُ مِنْ
أَهْوَالِهِ ﴿مَثَابًا﴾ يَعْنِي: مَرَجَعًا؛ وَهُوَ مَفْعَلٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَبِ فُلَانٍ مِنْ سَفَرِهِ،
وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يَقُولُ: إِنَّا حَدَّرْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَذَابًا قَدْ دَنَا مِنْكُمْ وَقَرَّبَ، وَذَلِكَ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ الْمُؤْمِنُ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ مِنْ خَيْرٍ اِكْتَسَبَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ شَرِكِ سَلَفِهِ، فَيَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِ، وَيَخَافُ عِقَابَهُ عَلَى سَيِّئِهَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ الْحَسَنُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ تَمَنِّيًّا لِمَا يَلْقَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَصْحَابِهِ الْكَافِرِينَ بِهِ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، كَالْبَهَائِمِ الَّتِي جُعِلَتْ تُرَابًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَقَتَادَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ، وَسُفْيَانُ.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ ① ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ ② ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ ③ ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبْقًا﴾ ④ ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ⑤ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥ تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ ﴿[النازعات: ٢]﴾ أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ بِالنَّازِعَاتِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهَا، وَمَا هِيَ؟ وَمَا تَنْزِعٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَنْزِعُ نُفُوسَ بَنِي آدَمَ، وَالْمَنْزُوعُ نُفُوسُ الْأَدَمِيِّينَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْمَوْتُ يَنْزِعُ النُّفُوسَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النَّجُومُ تَنْزِعُ مِنْ أَفُقٍ إِلَى أَفُقٍ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْقِسِيُّ تَنْزِعُ بِالسَّهْمِ، قَالَهُ عَطَاءٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النَّفْسُ حِينَ تَنْزِعُ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَقْسَمَ بِالنَّازِعَاتِ غَرَقًا، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَازِعَةً دُونَ نَازِعَةٍ، فَكُلُّ نَازِعَةٍ غَرَقًا، فَدَاخِلَةٌ فِي قَسَمِهِ، مَلَكًا كَانَ أَوْ مَوْتًا، أَوْ نَجْمًا، أَوْ قَوْسًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: وَالنَّازِعَاتِ إِغْرَاقًا، كَمَا يَغْرَقُ النَّازِعُ فِي الْقَوْسِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْتَنَشِطَتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا فِيهِنَّ، وَمَا هُنَّ، وَمَا الَّذِي يَنْشِطُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، تَنْشِطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ فَتَقْبِضُهَا، كَمَا يَنْشِطُ الْعِقَالُ مِنَ الْبَعِيرِ إِذَا حُلَّ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ الْفَرَاءُ يَقُولُ: الَّذِي سَمِعْتُ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا: أَنْشَطْتُ، وَكَأَنَّهَا أَنْشَطَ مِنْ عِقَالٍ، وَرَبَطَهَا: نَشَطَهَا، وَالرَّابِطُ: النَّاشِطُ؛ قَالَ: وَإِذَا رَبَطْتَ الْحَبْلَ فِي يَدِ الْبَعِيرِ فَقَدْ نَشَطْتَهُ تَنْشِطُهُ، وَأَنْتَ نَاشِطٌ، وَإِذَا حَلَلْتَهُ فَقَدْ أَنْشَطْتَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿وَالْتَنَشِطَتِ نَشْطًا﴾ هُوَ الْمَوْتُ يَنْشِطُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالسُّدِّيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّجُومُ تَنْشِطُ مِنْ أَفْقٍ إِلَى أَفْقٍ، قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْأَوْهَاقُ، قَالَ عَطَاءٌ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَهِيَ الَّتِي تَنْشِطُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، فَتَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللَّهُ بِذَلِكَ شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، بَلْ عَمَّ الْقَسَمَ بِجَمِيعِ النَّاشِطَاتِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَنْشِطُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَكَذَلِكَ الْمَوْتُ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ وَالْأَوْهَاقُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ أَيْضًا تَنْشِطُ، وَاهْمُومٌ تَنْشِطُ صَاحِبَهَا، فَكُلُّ نَاشِطٍ فَدَاخِلٌ فِيهَا أَقْسَمَ بِهِ، إِلَّا أَنْ تَقُومَ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، بِأَنَّ الْمَعْنَى بِالْقَسَمِ مِنْ ذَلِكَ، بَعْضُ دُونَ بَعْضٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ سَبَّحًا﴾ [النازعات: ٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّوَاتِي تَسْبَحُ سَبَّحًا، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنَ السَّابِحَاتِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْمَوْتُ تَسْبَحُ فِي نَفْسِ ابْنِ آدَمَ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ النُّجُومُ تَسْبَحُ فِي فَلَكِهَا، قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ السُّفُنُ، قَالَ عَطَاءٌ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِالسَّابِحَاتِ سَبَّحًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، فَذَلِكَ كُلُّ سَابِحٍ، لِمَا وَصَفْنَا قَبْلَ فِي النَّازِعَاتِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالسَّيِّئَاتِ سَبَّحًا﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ لِلْخَيْلِ السَّابِقَةِ، قَالَ عَطَاءٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ النُّجُومُ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ، قَالَ قَتَادَةُ.

وَالْقَوْلُ عِنْدَنَا فِي هَذِهِ، مِثْلُ الْقَوْلِ فِي سَائِرِ الْأَحْرَفِ الْمَاضِيَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالْمُدْرِيَّتِ أَمْرًا﴾ يَقُولُ: فَاَلْمَلَائِكَةُ الْمُدْبِرَةُ مَا أَمَرَتْ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ،

قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾

[المزمل: ١٤] لِلنَّفْخَةِ الْأُولَى، ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ تَتَّبِعُهَا أُخْرَى بَعْدَهَا، وَهِيَ النَّفْخَةُ

الثَّانِيَةُ الَّتِي رَدِفَتِ الْأُولَى، لِبَعْثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ،
وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّادِفَةُ﴾ قَالَ: هُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿فَذُكِّرْنَا دَكَّةً
وَحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وَقَالَ آخَرُونَ: تَرْجُفُ الْأَرْضُ، وَالرَّادِفَةُ: السَّاعَةُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.
وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَوْضِعِ جَوَابِ قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّارِ عَتِ غَرَقًا﴾ فَقَالَ بَعْضُ
نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ: قَوْلُهُ: ﴿وَالنَّارِ عَتِ غَرَقًا﴾: قَسَمُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ عَلَيَّ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهَا عَلَيَّ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، ﴿تُقْلِبُ
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةً﴾، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ وَشَاءَ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ هَذَا، وَفِي كُلِّ
الْأُمُورِ.

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: جَوَابُ الْقَسَمِ فِي النَّازِعَاتِ: مَا تَرِكَ لِمَعْرِفَةِ
السَّامِعِينَ بِالْمَعْنَى، كَأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ كَانَ لَتُبْعَثَنَّ وَلَتَحَاسِبُنَّ قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
﴿أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَالْجَوَابِ لِقَوْلِهِ: ﴿لَتُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧]،
إِذْ قَالَ: ﴿أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾.

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ نَحْوَ هَذَا، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَجُوزُ حَذْفُ اللَّامِ فِي جَوَابِ
الْيَمِينِ، لِأَنَّهَا إِذَا حُذِفَتْ لَمْ يُعْرَفْ مَوْضِعُهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَلِي كُلَّ كَلَامٍ.
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ جَوَابَ الْقَسَمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،
مِمَّا اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ، فَتَرِكَ ذِكْرَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قُلُوبٌ خَلِقَ مِنْ خَلْقِهِ
 يَوْمَئِذٍ خَائِفَةٌ مِنْ عَظِيمِ الْهَوْلِ النَّازِلِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿أَبْصَرَهَا خَشِعَةً﴾ [النازعات: ٩] يَقُولُ: أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا ذَلِيلَةٌ مِمَّا قَدْ
 عَلَاهَا مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحُزَنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِمْ، مِنْ عَظِيمِ
 هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، وَقَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) أَءِ ذَا كُنَّا عِظْمًا خِجْرَةً
 (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ حَاسِرَةٌ (١٢) فَلَيْتَمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) [النازعات: ١٠ -
 ١٤]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكذِّبُونَ بِالْبَعْثِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِذَا
 قِيلَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ: أَئِنَّا لَمَرُدُّوْنَ إِلَى حَالِنَا الْأُولَى قَبْلَ
 الْمَمَاتِ، فَرَا جِعُونَ أَحْيَاءَ كَمَا كُنَّا قَبْلَ هَلَاكِنَا، وَقَبْلَ مَمَاتِنَا؟ وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ:
 رَجَعَ فُلَانٌ عَلَى حَافِرَتِهِ: إِذَا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ.
 وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ،
 وَالسُّدِّيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْحَافِرَةُ: الْأَرْضُ الْمُحْفُورَةُ الَّتِي حُفِرَتْ فِيهَا قُبُورُهُمْ،
 فَجَعَلُوا ذَلِكَ نَظِيرًا، قَوْلُهُ: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] يَعْنِي: مَدْفُوقٍ،
 وَقَالُوا: الْحَافِرَةُ بِمَعْنَى الْمُحْفُورَةِ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ عِنْدَهُمْ: أَئِنَّا لَمَرُدُّوْنَ فِي
 قُبُورِنَا أَمْوَاتًا؟، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخِرُونَ: الْحَافِرَةُ: النَّارُ، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ وَقَالَ: مَا أَكْثَرَ أَسْمَاءَهَا، هِيَ النَّارُ، وَهِيَ الْجَحِيمُ، وَهِيَ سَقْرٌ، وَهِيَ جَهَنَّمُ، وَهِيَ الْهَاطِيَةُ، وَهِيَ الْحَافِرَةُ، وَهِيَ لَطَى، وَهِيَ الْحُطْمَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ اخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ وَالْبَصْرَةَ ﴿نَخِرَةً﴾ بِمَعْنَى: بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ: (نَاخِرَةً) بِالْأَلِفِ، بِمَعْنَى: أَنَّهَا مُجَوَّفَةٌ، تَنْخَرُ الرِّيَّاحُ فِي جَوْفِهَا إِذَا مَرَّتْ بِهَا، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ يَقُولُ: النَّاخِرَةُ وَالنَّخِرَةُ: سَوَاءٌ فِي الْمَعْنَى، بِمَنْزِلَةِ الطَّامِعِ وَالطَّمِيعِ، وَالْبَاخِلِ وَالْبَاخِلِ؛ وَأَفْصَحُ اللَّعْتَيْنِ عِنْدَنَا وَأَشْهَرُهُمَا عِنْدَنَا ﴿نَخِرَةً﴾، بِغَيْرِ أَلِفٍ، بِمَعْنَى: بِالْيَاءِ، غَيْرَ أَنَّ رُءُوسَ الْآيِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا جَاءَتْ بِالْأَلِفِ، فَأَعْجَبُ إِلَيَّ لِذَلِكَ أَنَّ تَلْحَقَ نَاخِرَةً بِهَا، لِيَتَّفِقَ هُوَ وَسَائِرُ رُءُوسِ الْآيَاتِ، لَوْلَا ذَلِكَ كَانَ أَعْجَبُ الْقُرَاءَتَيْنِ إِلَيَّ حَذْفَ الْأَلِفِ مِنْهَا.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ﴿نَخِرَةً﴾: بِالْيَاءِ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

قَالُوا ﴿تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ عَنْ قِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، قَالُوا: تِلْكَ، يَعْنُونَ تِلْكَ الرَّجْعَةَ، أَحْيَاءٌ بَعْدَ الْمَمَاتِ، إِذَا: يَعْنُونَ الْآنَ، كَرَّةٌ: يَعْنُونَ رَجْعَةً خَاسِرَةً، يَعْنُونَ غَابِنَةً، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ،

وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَإِنَّمَا هِيَ صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَنَفْخَةٌ تُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَذَلِكَ هُوَ الزَّجْرَةُ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَإِذَا هُوَ لَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ، الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ إِحْيَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، تَكْذِيبًا مِنْهُمْ بِذَلِكَ، بِالسَّاهِرَةِ، يَعْنِي بِظَهْرِ الْأَرْضِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْفَلَاةَ وَوَجْهَ الْأَرْضِ: سَاهِرَةً، وَأَرَاهُمْ سَمَّوْا ذَلِكَ بِهَا؛ لِأَنَّ فِيهِ نَوْمَ الْحَيَوَانِ وَسَهَرَهَا، فَوُصِفَ بِصِفَةِ مَا فِيهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَاهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ مِثْلَ الَّذِي قُلْنَا كَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: السَّاهِرَةُ: اسْمٌ مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ بِعَيْنِهِ مَعْرُوفٌ، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ: بِالصُّقْعِ الَّذِي بَيْنَ جَبَلِ حَسَّانَ، وَجَبَلِ أَرِيحَاءَ، يَمُدُّهُ اللَّهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَقَالَ سُفْيَانُ: أَرْضٌ بِالسَّامِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ جَبَلٌ بِعَيْنِهِ مَعْرُوفٌ، قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: السَّاهِرَةُ: جَبَلٌ إِلَى جَنْبِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ جَهَنَّمُ، قَالَ قَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنثِقَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾
 أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخَسْتِ ﴿١٩﴾ [النازعات: ١٥-
 ١٩]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ
 مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَهَلْ سَمِعْتَ خَبْرَهُ حِينَ نَاجَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ، يَعْنِي
 بِالْمُقَدَّسِ: الْمُطَهَّرِ الْمُبَارَكِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ فِيمَا مَضَى،
 فَأَغْنَى عَنِ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿طُوًى﴾، وَمَا
 قَالَ فِيهِ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، غَيْرَ أَنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ هَاهُنَا، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ
 التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿طُوًى﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اسْمُ الْوَادِي، قَالَه مُجَاهِدٌ،
 وَابْنُ زَيْدٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: طَاءَ الْأَرْضِ حَافِيًا، قَالَه مُجَاهِدٌ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْوَادِيَّ قُدَّسَ طُوًى: أَيَّ مَرَّتَيْنِ، وَقَدْ
 بَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ وَوُجُوهُهُ، فِيمَا مَضَى بِمَا أَغْنَى عَنِ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.
 وَقَرَأَ ذَلِكَ الْحَسَنُ بِكَسْرِ الطَّاءِ، وَقَالَ: بُثَّتْ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَالتَّقْدِيسُ مَرَّتَيْنِ.
 وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ
 (طُوًى) بِالضَّمِّ وَلَمْ يُجْرَوْهُ؛ وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الشَّامِ وَالْكُوفَةِ ﴿طُوًى﴾
 بِضَمِّ الطَّاءِ وَالتَّنْوِينِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: نَادَى مُوسَى
 رَبَّهُ: أَنْ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَحُدِفَتْ أَنْ، إِذْ كَانَ النَّدَاءُ قَوْلًا، فَكَانَتْهُ قِيلَ

مُوسَى قَالَ رَبُّهُ: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ يَقُولُ: عَتَا وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ فِي الْعُدْوَانِ، وَالتَّكَبُّرِ عَلَى رَبِّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ يَقُولُ: فَقُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ، وَتُؤْمِنَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾: إِلَى أَنْ تُسَلِّمَ، وَقَالَ: وَالتَّزَكَّى فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ: الْإِسْلَامُ؛ وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦]، قَالَ: مَنْ أَسْلَمَ، وَقَرَأَ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى﴾ [عبس: ٣]، قَالَ: يُسَلِّمُ، وَقَرَأَ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى﴾ [عبس: ٧] أَنْ لَا يُسَلِّمَ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿تَزَكَّى﴾ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ: (تَزَكَّى) بِتَشْدِيدِ الزَّايِ، وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: إِلَّا أَنْ ﴿تَزَكَّى﴾ [طه: ٧٦] بِتَخْفِيفِ الزَّايِ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو يَقُولُ، فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ: (تَزَكَّى) بِتَشْدِيدِ الزَّايِ، بِمَعْنَى: تَتَصَدَّقُ بِالزَّكَاةِ، فَتَقُولُ: تَتَزَكَّى، ثُمَّ تُدْعِمُ؛ وَمُوسَى لَمْ يَدْعُ فِرْعَوْنَ إِلَى أَنْ يَتَصَدَّقَ وَهُوَ كَافِرٌ، إِنَّمَا دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تَزَكَّى: أَيُّ تَكُونُ زَاكِيًا مُؤْمِنًا، وَالتَّخْفِيفُ فِي الزَّايِ هُوَ أَفْصَحُ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي الْعَرَبِيَّةِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَانْحَسِبْ﴾ (١٩) فَأَرَلَهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) [النازعات: ١٩-٢٥]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُوسَى: قُلْ لِفِرْعَوْنَ: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ أُرْسِدَكَ إِلَى مَا يُرْضِي رَبَّكَ عَنْكَ، وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، ﴿فَتَحْسَبْ﴾ يَقُولُ:

فَتَخَشَىٰ عِقَابَهُ بِأَدَاءِ مَا أَلْزَمَكَ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: فَأَرَىٰ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ، يَعْنِي الدَّلَالََةَ الْكُبْرَىٰ عَلَىٰ أَنَّهُ لَلَّهِ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْآيَةُ يَدَ مُوسَىٰ إِذْ أَخْرَجَهَا بِيَضَاءٍ لِلنَّاظِرِينَ، وَعَصَاهُ إِذْ تَحَوَّلَتْ تُعْبَانًا مُبِينًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ يَقُولُ: فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ فِيمَا أَتَاهُ مِنْ الْآيَاتِ الْمُعْجِزَةِ، وَعَصَاهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ رَبَّهُ، وَخَشِيَّتِهِ إِيَّاهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ وَلَّىٰ مُعْرِضًا عَمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ مُوسَىٰ مِنْ طَاعَتِهِ رَبَّهُ، وَخَشِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، ﴿يَسْعَىٰ﴾ يَقُولُ: يَعْمَلُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَفِيمَا يُسْخِطُهُ عَلَيْهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ يَقُولُ: فَجَمَعَ قَوْمَهُ وَأَتْبَاعَهُ فَنَادَىٰ فِيهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ الَّذِي كُلُّ رَبِّ دُونِي، وَكَذَّبَ الْأَحْمَقُّ، وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (١٥) إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِمَن يَخَشَىٰ (١٦) ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (١٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (١٨) [النازعات: ٢٥-٢٨]، يَعْنِي تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ فَعَاقَبَهُ اللَّهُ ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ يَقُولُ عُقُوبَةَ الْآخِرَةِ مِنْ كَلِمَتَيْهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾، وَالْأُولَىٰ قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ

مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴿ [القصص: ٣٨]، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ،
وَالشَّعْبِيُّ، وَعَامِرٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: اِخْتَلَفُوا فِيهَا،
فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: نَكَالَ الآخِرَةِ مِنْ كَلِمَتَيْهِ، وَالْأُولَى قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَذَابُ الدُّنْيَا، وَعَذَابُ الآخِرَةِ، عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ الْغَرَقَ، مَعَ مَا
أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الآخِرَةِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَهُ
الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْأُولَى عِصْيَانُهُ رَبَّهُ وَكُفْرُهُ بِهِ، وَالْآخِرَةُ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى﴾، قَالَهُ أَبُو رَزِينٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَهُ بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ،
وَالْكَلْبِيُّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ فِي الْعُقُوبَةِ
الَّتِي عَاقَبَ اللَّهُ بِهَا فِرْعَوْنَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَفِي أَخْذِهِ إِيَّاهُ، نَكَالَ الآخِرَةِ
وَالْأُولَى: عِظَةٌ وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ، وَيَخْشَى عِقَابَهُ، وَأَخْرَجَ نَكَالَ الآخِرَةِ
مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِهِ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ نَكَلَ بِهِ فَجَعَلَ
﴿نَكَالَ الآخِرَةِ﴾ مَصْدَرًا مِنْ مَعْنَاهُ، لَا مِنْ لَفْظِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ مِنْ قُرَيْشٍ، الْقَائِلِينَ، ﴿أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَشَدُّ خَلْقًا، أَمِ السَّمَاءُ بِنَاهَا رَبُّكُمْ؟ فَإِنَّ مَنْ بَنَى السَّمَاءَ فَرَفَعَهَا سَقْفًا، هَيِّنٌ عَلَيْهِ خَلْقُكُمْ وَخَلْقُ أَمْثَالِكُمْ، وَإِحْيَاؤُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ، وَكَيْسَ خَلْقُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ بِأَشَدِّ مِنْ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿بِنَاهَا﴾: رَفَعَهَا، فَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَسَوَّى السَّمَاءَ، فَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا شَيْءَ أَخْفِضُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ جَمِيعُهَا مُسْتَوِي الْإِرْتِفَاعِ وَالِإِمْتِدَادِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾^(٣١) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا^(٣٢)

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا^(٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَهَا^(٣٢) [النازعات: ٢٩-٣٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَظْلَمَ لَيْلَ السَّمَاءِ، فَأَصَافَ اللَّيْلَ إِلَى السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ غُرُوبُ الشَّمْسِ، وَغُرُوبُهَا وَطُلُوعُهَا فِيهَا، فَأُضِيفَ إِلَيْهَا لَمَّا كَانَ فِيهَا، كَمَا قِيلَ نُجُومُ اللَّيْلِ، إِذْ كَانَ فِيهِ الطُّلُوعُ وَالْغُرُوبُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ يَقُولُ: وَأَخْرَجَ ضِيَاءَهَا، يَعْنِي: أَبْرَزَ نَهَارَهَا فَأَظْهَرَهُ، وَنَوَّرَ ضُحَاهَا، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: دُحِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ السَّمَاءِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ٣١ وَالْجِبَالَ أَرَسَهَا ٣٢: يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ السَّمَوَاتِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ أَقْوَاتَ الْأَرْضِ فِيهَا، بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَأَرَسَى الْجِبَالَ، يَعْنِي بِذَلِكَ دَحَوْهَا الْأَقْوَاتِ، وَلَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ أَقْوَاتُ الْأَرْضِ وَنَبَاتُهَا إِلَّا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَالْأَرْضَ مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا، وَقَالُوا: الْأَرْضُ خُلِقَتْ وَدُحِيَتِ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ قَالُوا: فَأَخْبَرَ اللَّهُ، أَنَّهُ سَوَّى السَّمَاوَاتِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، قَالُوا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا وَجْهَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ إِلَّا مَا ذَكَرْنَا، مِنْ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا، قَالُوا: وَذَلِكَ كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿عُتِّلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِيمٌ﴾ [الفلم: ١٣] بِمَعْنَى: مَعَ ذَلِكَ زَيْنِيمٍ، وَكَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ أَحْمَقُ، وَأَنْتَ بَعْدَ هَذَا لَيْئِمُ الْحَسْبِ، بِمَعْنَى: مَعَ هَذَا، وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أَي مِنْ قَبْلِ الذِّكْرِ، قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسَّيِّدِيُّ: مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا، وَقَالَ: وَالْأَرْضُ عِنْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا.

وَالْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْضَ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، وَلَمْ يَدْحُهَا، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَاهَا، وَأَرَسَى جِبَاهَهَا، أَشْبَهُهُ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

وَالْمَعْرُوفُ مِنْ مَعْنَى بَعْدُ أَنَّهُ خِلَافُ مَعْنَى قَبْلُ وَلَيْسَ فِي دَحْوِ اللَّهِ الْأَرْضَ بَعْدَ تَسْوِيَتِهِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَإِغْطَاشِهِ لَيْلَهَا، وَإِخْرَاجِهِ ضَحَاهَا، مَا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ خُلِقَتْ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّ الدَّحْوَ إِنَّمَا هُوَ الْبَسْطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْمُدُّ يُقَالُ مِنْهُ: دَحَا يَدْحُو دَحْوًا، وَدَحَيْتُ أُدْحِي دَحِيًّا لُغْتَانِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿دَحَاهَا﴾: حَرَّتْهَا شَقَّهَا، وَقَالَ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَاهَا﴾، وَقَرَأَ: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًا﴾ [عبس: ٣١]، وَقَالَ: حِينَ شَقَّهَا أَنْبَتَ هَذَا مِنْهَا، وَقَرَأَ: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ يُقُولُ: فَجَرَ فِيهَا الْأَنْهَارَ ﴿وَمَرَعَهَا﴾ يُقُولُ: أَنْبَتَ نَبَاتَهَا، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ الضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ يَقُولُ: وَالْجِبَالُ أَثْبَتَهَا فِيهَا، وَفِي الْكَلَامِ مَتْرُوكٌ اسْتَعْنَى بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ فِيهَا، وَذَلِكَ أَنْ مَعْنَى الْكَلَامِ: وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا فِيهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى (٣٦) [النازعات: ٣٣-٣٦] يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ أَنَّهُ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مَاءَهَا وَمَرَعَاهَا، مَنفَعَةً لَنَا، وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَإِذَا جَاءَتِ الَّتِي تَطْمُّ عَلَى كُلِّ هَائِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَتَعْمُرُ مَا سِوَاهَا بِعَظِيمٍ هَوَاهَا، وَقِيلَ: إِنَّهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ يَقُولُ: إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا عَمَلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ سَعِيَّهُ. ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ﴾ يَقُولُ: وَأُظْهِرَتِ الْجَحِيمُ، وَهِيَ نَارُ اللَّهِ لِمَنْ يَرَاهَا. يَقُولُ: لِأَبْصَارِ النَّاطِرِينَ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) [النازعات: ٣٨-٤١]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَمَّا مَنْ عَتَا عَلَى رَبِّهِ، وَعَصَاهُ وَاسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ قَوْلُهُ: ﴿طَغَى﴾: عَصَى، وَقَوْلُهُ: ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يَقُولُ: وَآثَرَ

مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى كَرَامَةِ الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَعَمِلَ
لِلدُّنْيَا، وَسَعَى لَهَا، وَتَرَكَ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يَقُولُ: فَإِنَّ نَارَ اللَّهِ الَّتِي اسْمُهَا الْجَحِيمُ، هِيَ
مَنْزِلُهُ وَمَأْوَاهُ، وَمَصِيرُهُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ يَقُولُ: وَأَمَّا
مَنْ خَافَ مَسْأَلَةَ اللَّهِ إِيَّاهُ عِنْدَ وَقُوفِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّقَاهُ، بِأَدَاءِ
فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ يَقُولُ: وَنَهَى نَفْسَهُ
عَنْ هَوَاهَا فِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، وَلَا يَرْضَاهُ مِنْهَا، فَزَجَرَهَا عَنْ ذَلِكَ، وَخَالَفَ
هَوَاهَا إِلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يَقُولُ: فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَاهُ وَمَنْزِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَقَدْ ذَكَرْنَا أَقْوَالَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾
[الرحمن: ٤٦] فِيمَا مَضَى، بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ (٤٣)
إِلَى رَبِّكَ مُنْهَلَهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرُونَهَا لَم يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴿
[النازعات: ٤٢-٤٦] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَسْأَلُكَ يَا
مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي تُبْعَثُ فِيهَا الْمَوْتَى مِنْ
قُبُورِهِمْ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، مَتَى قِيَامُهَا وَظُهُورُهَا؟ وَكَانَ الْفَرَاءُ يَقُولُ: إِنْ قَالَ
قَائِلٌ: إِنَّمَا الْإِرْسَاءُ لِلْسَّفِينَةِ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَّةُ وَمَا أَشْبَهَهُنَّ، فَكَيْفَ وَصَفَ

السَّاعَةَ بِالْإِرْسَاءِ؟ قُلْتُ: هِيَ بِمَنْزِلَةِ السَّفِينَةِ إِذَا كَانَتْ جَارِيَةً فَرَسَتْ،
وَرُسُوهَا: قِيَامُهَا؛ قَالَ: وَلَيْسَ قِيَامُهَا كَقِيَامِ الْقَائِمِ، إِنَّمَا هِيَ كَقَوْلِكَ: قَدْ قَامَ
الْعَدْلُ، وَقَامَ الْحَقُّ: أَيُّ: ظَهَرَ وَتَبَّتْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ يَقُولُ:
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ السَّاعَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ شَأْنِهَا، وَذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْتَرُ ذِكْرُ السَّاعَةِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ، حَتَّى
أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مِنْهَا (١).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُتَهَاوًا﴾ يَقُولُ: إِلَى رَبِّكَ مُتَهَيِّئًا، أَيُّ إِلَيْهِ
يُنْتَهِي عِلْمُ السَّاعَةِ، لَا يَعْلَمُ وَقْتُ قِيَامِهَا غَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يُخَشَاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِمُحَمَّدٍ: إِنَّمَا أَنْتَ
رَسُولٌ مَبْعُوثٌ بِإِنذَارِ السَّاعَةِ مَنْ يَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ فِيهَا عَلَى إِجْرَامِهِ، وَلَمْ
تُكَلَّفْ عِلْمَ وَقْتِ قِيَامِهَا، يَقُولُ: فَدَعَّ مَا لَمْ تُكَلَّفْ عِلْمَهُ، وَاعْمَلْ بِمَا أُمِرْتَ
بِهِ، مِنْ إِنذَارِ مَنْ أُمِرْتَ بِإِنذَارِهِ، وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿مُنْذِرٌ مَنْ
يُخَشَاهَا﴾ فَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْقَارِئُ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ يَقْرَأَنِ: (مُنْذِرٌ) بِالتَّنْوِينِ،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، برقم (٧)، وقال: "هذا حديث لم يخرج في الصحيحين وهو محفوظ
صحيح على شرطهما معا"، و برقم (٣٨٩٥)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يجزه"، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٢٢٨).

بِمَعْنَى: أَنَّهُ مُنْذِرٌ مَنْ يُحْشَاهَا؛ وَقَرَأَ ذَلِكَ سَائِرُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْكُوفَةَ
وَالْبَصْرَةَ بِإِضَافَةٍ مُنْذِرٍ إِلَى مَنْ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّهُمْ قَرَأَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، فَبَأْتِيَهُمَا
قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ يَقُولُ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ: كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ بِالسَّاعَةِ، يَوْمَ يَرَوْنَ أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ قَامَتْ، مِنْ
عَظِيمِ هَوْلِهَا، لَمْ يَلْبُثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشِيَّةً يَوْمٍ، أَوْ ضُحَى تِلْكَ الْعَشِيَّةِ؛
وَالعَرَبُ تَقُولُ: آتَيْكَ الْعَشِيَّةَ أَوْ غَدَاتَهَا، وَآتَيْكَ الْغَدَاةَ أَوْ عَشِيَّتَهَا، فَيَجْعَلُونَ
مَعْنَى الْغَدَاةِ، بِمَعْنَى أَوَّلِ النَّهَارِ، وَالْعَشِيَّةِ: آخِرُ النَّهَارِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا
عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ إِنَّمَا مَعْنَاهَا إِلَّا آخِرَ يَوْمٍ أَوْ أَوَّلَهُ.

سُورَةُ عَبَسَ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي

﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾﴾ [عبس: ١-٤].

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ﴾: قُبِضَ وَجْهُهُ تَكْرُهًا، ﴿وَتَوَلَّى﴾ يَقُولُ: وَأَعْرَضَ، ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ يَقُولُ: لِأَنَّ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ بَعْضِ الْقُرَّاءِ أَنَّهُ كَانَ يُطَوَّلُ الْأَلْفَ وَيَمُدُّهَا مِنْ ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾ فَيَقُولُ: (أَنْ جَاءَهُ) وَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ كَانَ عِنْدَهُ: أَلَّا جَاءَهُ الْأَعْمَى عَبَسَ وَتَوَلَّى؟ كَمَا قَرَأَ مَنْ قَرَأَ: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ﴾ [القم: ٤] بِمَدِّ الْأَلْفِ مِنْ أَنْ وَقَصْرِهَا، وَذَكَرَ أَنَّ الْأَعْمَى الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، عُوْتِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبَبِهِ، [وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ] عَائِشَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَرَوْهُ بِنِزِيرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَيْهِ دِرْعٌ، وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا يُدْرِيكَ يَا مُحَمَّدُ، لَعَلَّ هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي عَبَسْتَ فِي وَجْهِهِ يَزَكِّي: يَقُولُ: يَتَطَهَّرُ مِنْ ذُنُوبِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذُّكْرَى﴾ يَقُولُ: أَوْ يَتَذَكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذُّكْرَى: يَعْنِي
يَعْتَبِرُ فَيَنْفَعُهُ الْإِعْتِبَارُ وَالِاتِّعَازُ، وَالْقِرَاءَةُ عَلَى رَفْعٍ: فَتَنْفَعُهُ عَطْفًا بِهِ عَلَى
قَوْلِهِ: ﴿يَذَّكَّرُ﴾ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَاصِمِ النَّصَبِ فِيهِ وَالرَّفْعُ، وَالنَّصَبُ عَلَى أَنَّ
مَجْعَلَهُ جَوَابًا بِالْفَاءِ لِلْعَلِّ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ، نُصَدَى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ الْآيَاتُ ﴿٧﴾
وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ نَلَهَى ﴿١٠﴾﴾ [عبس: ٥-١٠] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ
لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى بِهَالِهِ، فَأَنْتَ لَهُ تَتَعَرَّضُ، رَجَاءً أَنْ
يُسَلِّمَ.

﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي﴾ يَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَتَطَهَّرَ مِنْ كُفْرِهِ
فَيُسَلِّمَ؟

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى﴾ يَقُولُ: وَأَمَّا هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي
جَاءَكَ سَعِيًّا وَهُوَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ.

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ يَقُولُ: فَأَنْتَ عَنْهُ تُعْرِضُ، وَتَشَاغَلُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ
وَتَغَافُلُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِتَّهَا نَذِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُغْفٍ مَكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾
مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١١-١٧] يَقُولُ
تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿كَلَّا﴾ مَا الْأَمْرُ كَمَا تَفْعَلُ يَا مُحَمَّدُ، مِنْ أَنْ تَعْبَسَ فِي وَجْهِ مَنْ
جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى، وَتَتَصَدَّى لِمَنْ اسْتَعْنَى.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْعِظَةَ وَهَذِهِ السُّورَةُ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يَقُولُ: عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ يَقُولُ: فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ذَكَرَهُ، يَقُولُ: ذَكَرَ تَنْزِيلَ اللَّهِ وَوَحْيِهِ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ إِنَّهَا لِلسُّورَةِ، وَفِي قَوْلِهِ ذَكَرَهُ لِلتَّنْزِيلِ وَالْوَحْيِ، ﴿فِي صُحُفٍ﴾ يَقُولُ: إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ، وَهُوَ الْمَرْفُوعُ الْمُطَهَّرُ عِنْدَ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ يَقُولُ: الصُّحُفُ الْمَكْرَمَةُ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، جَمْعُ سَافِرٍ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيهِمْ مَا هُمْ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ كَتَبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُمْ الْقُرَاءُ، قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَسْفِرُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ بِالْوَحْيِ، وَسَفِيرُ الْقَوْمِ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَهُمْ بِالصُّلْحِ، يُقَالُ: سَفَرْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ: إِذَا أَصْلَحْتَ بَيْنَهُمْ، وَإِذَا وُجِّهَ التَّأْوِيلُ إِلَى مَا قُلْنَا، احْتَمَلَ الْوَجْهَ الَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُونَ هُمُ الْكُتَبَةُ، وَالَّذِي قَالَهُ الْقَائِلُونَ هُمُ الْقُرَاءُ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ هِيَ الَّتِي تَقْرَأُ الْكُتُبَ، وَتَسْفِرُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رُسُلِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ وَالْبَرَرَةُ: جَمْعُ بَارٍّ، كَمَا الْكُفْرَةُ جَمْعُ كَافِرٍ، وَالسَّحَرَةُ جَمْعُ سَاحِرٍ، غَيْرَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا نَطَقُوا بِوَاحِدَةٍ أَنْ يَقُولُوا: رَجُلٌ بَرٌّ، وَامْرَأَةٌ بَرَّةٌ، وَإِذَا جَمَعُوا رَدُّوهُ إِلَى جَمْعِ فَاعِلٍ، كَمَا قَالُوا: رَجُلٌ سَرِيٌّ، ثُمَّ قَالُوا فِي جَمْعِهِ: قَوْمٌ سُرَاءٌ، وَكَانَ الْقِيَاسُ فِي وَاحِدِهِ أَنْ يَكُونَ سَارِيًّا. وَقَدْ حُكِيَ سَمَاعًا مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: قَوْمٌ خَيْرَةٌ بَرَّةٌ، وَوَاحِدُ الْخَيْرَةِ: خَيْرٌ، وَالْبَرَرَةُ: بَرٌّ.

قَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لِعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرِ مَا أَكْفَرَهُ، قَالَ مُجَاهِدٌ: مَا كَانَ فِي الْقُرْآنِ ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾، أَوْ فَعِلَ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّمَا عَنِيَ بِهِ الْكَافِرُ.

وقال سُفْيَانٌ: بَلَغَنِي أَنَّهُ الْكَافِرُ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَكْفَرَهُ﴾ وَجَهَانٌ: أَحَدُهُمَا: التَّعَجُّبُ مِنْ كُفْرِهِ، مَعَ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ. وَالْآخَرُ: مَا الَّذِي أَكْفَرَهُ، أَيُّ أَيُّ شَيْءٍ أَكْفَرَهُ؟

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ، فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذْ أَسَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرَهُ (٢٣) ﴿[عبس: ١٩-٢٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ رَبُّهُ حَتَّى يَتَكَبَّرَ، وَيَتَعَزَّظَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَالْإِفْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ ثُمَّ بَيَّنَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّذِي مِنْهُ خَلَقَهُ، فَقَالَ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ أَحْوَالًا: نُطْفَةً تَارَةً، ثُمَّ عَلَقَةً أُخْرَى، ثُمَّ مُضْغَةً، إِلَى أَنْ آتَتْ عَلَيْهِ أَحْوَالُهُ، وَهُوَ فِي رَحِمِ أُمِّهِ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ يَسْرَهُ

لِلسَّبِيلِ، يَعْنِي لِلطَّرِيقِ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبِيلِ الَّذِي يَسَّرَهُ لَهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ خُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: طَرِيقُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، بَيَّنَّا لَهُ وَأَعْلَمْنَاهُ، وَسَهَّلْنَا لَهُ الْعَمَلَ بِهِ، قَالَ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ وَقَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وَقَالَ: سَبِيلُ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ قَالَ: هَدَاهُ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي يَسَّرَهُ لَهُ، وَأَعْلَمَهُ بِهِ، وَالسَّبِيلُ سَبِيلُ الْإِسْلَامِ.

وَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: ثُمَّ الطَّرِيقَ، وَهُوَ الْخُرُوجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَسَّرَهُ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّهُ أَشْبَهَهُمَا بِظَاهِرِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ مِنَ اللَّهِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا عَنْ صِفَتِهِ خَلَقَهُ، وَتَدْيِيرِهِ جِسْمَهُ، وَتَضْرِيْفِهِ إِيَّاهُ فِي الْأَحْوَالِ، فَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ أَوْسَطَ ذَلِكَ نَظِيرُ مَا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ، فَأَمَاتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿أَقْبَرَهُ﴾: صَيَّرَهُ ذَا قَبْرِ، وَالْقَابِرُ: هُوَ الدَّافِنُ الْمَيِّتَ بِيَدِهِ، وَالْمَقْبَرُ: هُوَ اللَّهُ، الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُقْبَرُوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَصَيَّرَهُ ذَا قَبْرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ

فِيهَا ذُكِرَ لِي: بَرَزْتُ ذَنْبَ الْبَعِيرِ، وَاللَّهُ أَبْتَرَهُ؛ وَعَضَبْتُ قَرْنَ الثَّوْرِ وَاللَّهُ أَعْضَبَهُ،
وَطَرَدْتُ عَنِّي فَلَانًا، وَاللَّهُ أُطْرَدَهُ، صَيَّرَهُ طَرِيدًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْشَرَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
وَأَحْيَاهُ، يُقَالُ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ، بِمَعْنَى: أَحْيَاهُ، وَنَشَرَ الْمَيِّتَ بِمَعْنَى حَيَّيْ هُوَ
بِنَفْسِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَمَآ يَفِضْ مَا أَمَرَهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا
الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ آدَى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ، فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ﴿لَمَآ يَفِضْ مَا
أَمَرَهُ﴾: لَمْ يُؤَدِّ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ رَبُّهُ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ،
وَالْحَارِثُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبْنَا ﴿٢٨﴾ وَزَبْتُونَا وَنَخَلْنَا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ [عبس: ٢٤-
٣٠] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلْيَنْظُرْ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ الْمُنْكَرُ تَوْحِيدَ اللَّهِ إِلَى
طَعَامِهِ كَيْفَ دَبَّرَهُ؟

وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ
وَالْبَصْرَةِ بِكَسْرِ الْأَلْفِ مِنْ "أَنَا" عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ
الْكُوفَةِ ﴿أَنَا﴾ بِفَتْحِ الْأَلْفِ، بِمَعْنَى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى أَنَا، فَيَجْعَلُ أَنَا فِي
مَوْضِعِ خَفْضٍ، عَلَى نِيَّةِ تَكَرُّيرِ الْخَافِضِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَفْعًا إِذَا
فَتِحَتْ، بِنِيَّةِ طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَمَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ: فَبِأَيَّتِهِنَّمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ يَقُولُ: أَنَا أَنْزَلْنَا الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ أَنْزَالًا، وَصَبَبْنَاهُ عَلَيْهَا صَبًّا.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ يَقُولُ: ثُمَّ فَتَقْنَا الْأَرْضَ، فَصَدَعْنَاهَا بِالنَّبَاتِ. ﴿فَانْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ يَعْنِي حَبَّ الزَّرْعِ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَخْرَجَتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْحُبُوبِ، كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَعِنْبًا﴾ يَقُولُ: وَكَرَمَ عِنَبٍ، ﴿وَقَضْبًا﴾ يَعْنِي بِالْقَضْبِ: الرَّطْبَةَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يُسَمُّونَ الْقَتَّ الْقَضْبَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿وَقَضْبًا﴾: الْفِضْفِصَةُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْفِضْفِصُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْفِضْفِصَةُ: الرَّطْبَةُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي الرَّطْبَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وَهُوَ الزَّيْتُونُ الَّذِي مِنْهُ الزَّيْتُ، ﴿وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْحَدِيقَةَ الْبُسْتَانُ الْمُحَوِّطُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿غُلْبًا﴾ يَعْنِي: غِلَاطًا، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿غُلْبًا﴾ الْأَشْجَارَ فِي بَسَاتِينِ غِلَاطٍ وَالْغُلْبُ: جَمْعُ أَغْلَبَ، وَهُوَ الْغَلِيظُ الرَّقَبَةُ مِنَ الرَّجَالِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي الْبَيَانِ عَنْهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَا التَّفَّ مِنَ الشَّجَرِ وَاجْتَمَعَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخِرُونَ: الْحَدَائِقُ: نَبْتُ الشَّجَرِ كُلِّهِ.

وَقَالَ آخِرُونَ: بَلِ الْغُلْبُ: الطَّوَالُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخِرُونَ: هُوَ النَّخْلُ الْكِرَامُ، قَالَ قَتَادَةَ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَعِكْرِمَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِيكَهَّ وَأَبَا ٣١ مَنَعَا لَكُرًّا وَلَا تَعْمَكُرُ ٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَّةُ

٣٢ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٣٧

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلِيمَةٌ ٤٠ زَهْفَهَا فَتْرَةٌ ٤١ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ

الْفَجْرَةُ ٤٢ [عبس: ٣١-٤٢] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَفَاكِهَةٌ: مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ مِنْ ثَمَارِ

الْأَشْجَارِ، وَالْأَبُ: مَا تَأْكُلُهُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّبَاتِ وَيَنْحُو الَّذِي قُلْنَا

قَالَ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةَ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخِرُونَ: الْأَبُ: الثَّمَارُ الرَّطْبَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ يَقُولُ: أَنْبَتْنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَأْكُلُهَا بَنُو آدَمَ مَتَاعًا

لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَمَنْفَعَةً تَتَمَتَّعُونَ بِهَا وَتَتَنَفَّعُونَ، وَالَّتِي يَأْكُلُهَا الْأَنْعَامُ

لِلْأَنْعَامِ كُمْ، وَأَصْلُ الْأَنْعَامِ الْإِبِلُ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ رَاعِيَةٍ، وَبِالَّذِي قُلْنَا

قَالَ الْحَسَنُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ ذَكَرَ أَنَّهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ،

وَأَحْسَبُهَا مَاخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: صَاحَ فُلَانٌ لِّصَوْتِ فُلَانٍ: إِذَا اسْتَمَعَ لَهُ، إِلَّا

أَنَّ هَذَا يُقَالُ مِنْهُ: هُوَ مُصِيخٌ لَهُ، وَلَعَلَّ الصَّوْتِ هُوَ الصَّاحُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ

كَذَلِكَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَبْلَ ذَلِكَ لِنَفْخَةِ الصُّورِ، ذِكْرٌ مَنْ قَالَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ
أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ: ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ يَقُولُ: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ فِي هَذَا
الْيَوْمِ الَّذِي يَفِرُّ فِيهِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ يَفِرُّ عَنْ أَخِيهِ،
﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ﴾ يَعْنِي زَوْجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ زَوْجَتَهُ فِي الدُّنْيَا،
﴿وَبَنِيهِ﴾ حَذْرًا مِنْ مَطَالِبَتِهِمْ إِيَّاهُ، بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ التَّبَعَاتِ وَالْمُظْلِمِ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾: يَفِرُّ عَنْ أَخِيهِ؛ لِثَلَا يَرَاهُ، وَمَا
يَنْزِلُ بِهِ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ يَعْنِي مِنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَسَائِرِ مَنْ
ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يَقُولُ: أَمْرٌ يُغْنِيهِ، وَيَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنٍ غَيْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ
مُضِيئَةٌ، وَهِيَ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يُقَالُ: أَسْفَرَ وَجْهَ فُلَانٍ:
إِذَا حَسُنَ، وَمِنْهُ أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ، وَكُلُّ مُضِيٍّ فَهُوَ مُسْفَرٌ؛ وَأَمَّا سَفَرٌ
بِغَيْرِ أَلْفٍ، فَإِنَّمَا يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا أَلْقَتْ نِقَابَهَا عَنْ وَجْهِهَا أَوْ بَرُقَعَهَا: قَدْ
سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ وَجْهِهَا، إِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ، فَهِيَ سَافِرٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ تَوْبَةَ بْنِ
الْحُمَيْرِ:

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ *** فَقَدْ رَأَيْتِي مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا

يَعْنِي بِقَوْلِهِ سُفُورُهَا: إِلقَاءَهَا بُرْقَعَهَا عَنْ وَجْهِهَا، ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ يَقُولُ:
 ضَاحِكَةٌ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ، ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ لِمَا
 تَرَجُّو مِنَ الزِّيَادَةِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨]
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَوُجُوهُ وَهِيَ وَجُوهُ
 الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، ذَكَرَ أَنَّ الْبَهَائِمَ الَّتِي يُصَيِّرُهَا اللَّهُ تُرَابًا يَوْمَئِذٍ بَعْدَ
 الْقَضَاءِ بَيْنَهَا، يُحَوَّلُ ذَلِكَ التُّرَابُ غَبَرَةً فِي وَجُوهِ أَهْلِ الْكُفْرِ.
 ﴿تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ﴾ يَقُولُ: يَعْشَى تِلْكَ الْوُجُوهُ قَتَرَةٌ، وَهِيَ الْغَبَرَةُ، وَبِنَحْوِ
 الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 هَذِهِ صِفَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الْكُفَرَةُ بِاللَّهِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا الْفَجَرَةَ فِي دِينِهِمْ، لَا
 يُبَالُونَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَرَكِبُوا مِنْ مَحَارِمِهِ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ بِسُوءِ
 أَعْمَالِهِمْ مَا أَخْبَرَ بِهِ عِبَادَهُ.

سُورَةُ التَّكْوِيْرِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير: ١-٤].

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، فقال بعضهم: معنى ذلك: إذا الشمس ذهب ضوءها، قاله أبو بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

وقال سعيد: كُوِّرَتْ كَوَّرًا بِالْفَارِسِيَّةِ.

وقال آخرون: معنى ذلك: رُمِيَ بِهَا، قاله أبو صالح، وربيع بن خثيم. والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: ﴿كُوِّرَتْ﴾ كما قال الله جل ثناؤه والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكاره، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها، فعلى التأويل الذي تأولناه لكلام القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوِّرَتْ ورُمِيَ بِهَا، ذهب ضوءها.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ يَقُولُ: وَإِذَا النُّجُومُ تَنَاطَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَتَسَاقَطَتْ، وَأَصْلُ الْإِنْكَدَارِ: الْإِنْصَابُ، قَالَه الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: انْكَدَرَتْ: تَغَيَّرَتْ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يَقُولُ: وَإِذَا الْجِبَالُ سَيَّرَهَا اللَّهُ، فَكَانَتْ سَرَابًا، وَهَبَاءً مُنْبَثًا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ.

قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ وَالْعِشَارُ: جَمْعُ عَشْرَاءَ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ أَتَى عَلَيْهَا عَشْرَةٌ أَشْهُرٌ مِنْ حَمَلِهَا، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا هَذِهِ الْحَوَامِلُ الَّتِي يَتَنَافَسُ أَهْلُهَا فِيهَا أُهْمِلَتْ فَتُرِكَتْ، مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ النَّازِلِ بِهِمْ، فَكَيْفَ بَعِيرِهَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ٥ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧ ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ﴾ ٨ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾ ٩ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ ١٠ ﴿[التكوير: ٥-١٠] اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: مَاتَتْ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَرَبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَإِذَا الْوُحُوشُ اِخْتَلَطَتْ، قَالَه أَبِي بِنُ كَعْبٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: جُمِعَتْ، قَالَه قَتَادَةُ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى حُشِرَتْ: جُمِعَتْ،
فَأُمِّتَتْ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ مَعْنَى الْحُشْرِ: الْجَمْعُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ
اللَّهِ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] يَعْنِي: مَجْمُوعَةً، وَقَوْلُهُ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾
[النازعات: ٢٣]، وَإِنَّمَا يُحْمَلُ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَغْلَبِ الظَّاهِرِ مِنْ تَأْوِيلِهِ، لَا
عَلَى الْأَنْكَرِ الْمَجْهُولِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ اِخْتَلَفَتْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَإِذَا الْبِحَارُ اشْتَعَلَتْ نَارًا وَحَمِيَتْ، قَالَه أَبُو بِنُ
كَعْبٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَاصَتْ، قَالَه رَبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ، وَالْكَلْبِيُّ،
وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُ ذَهَبَ مَاؤُهَا، قَالَه قَتَادَةُ، وَالْحُسَيْنُ،
وَالْحَسَنُ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: مُلِئَتْ حَتَّى
فَاصَتْ، فَانْفَجَرَتْ وَسَالَتْ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِهِ فِي الْمَوْضِعِ الْآخِرِ، فَقَالَ:
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلنَّهْرِ أَوْ لِلرَّكِيِّ الْمَمْلُوءِ: مَاءٌ
مَسْجُورٌ.

وَإِخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ:
﴿سُجِّرَتْ﴾، بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ بِتَخْفِيفِ الْجِيمِ،

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى، فَبَيَّتَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمَصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلْحَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِشَكْلِهِ، وَقَرَنَ بَيْنَ الضَّرْبَاءِ وَالْأَمْثَالِ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "هُمَا الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ الْعَمَلَ الْوَاحِدَ يَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلَانِ بِهِ النَّارَ".

وَسُئِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فَقَالَ: يُقَرَّنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ السُّوءِ مَعَ الرَّجُلِ السُّوءِ فِي النَّارِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَلِكَ حِينَ يَكُونُ النَّاسُ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً، وَقَالَ الْحَسَنُ: أَلْحَقَ كُلَّ امْرِئٍ بِشِيعَتِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَمْثَالُ مِنَ النَّاسِ جُمِعَ بَيْنَهُمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: لَحِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِشِيعَتِهِ، الْيَهُودُ بِالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى بِالنَّصَارَى، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: يُحْشَرُ الْمَرْءُ مَعَ صَاحِبِ عَمَلِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّ الْأَزْوَاحَ رُدَّتْ إِلَى الْأَجْسَادِ فَزُوِّجَتْ بِهَا: أَيِ جُعِلَتْ لَهَا زَوْجًا، قَالَهُ عِكْرِمَةُ، وَالشَّعْبِيُّ.

وَأَوَّلَى التَّأْوِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ، الَّذِي تَأَوَّلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْعَلَّةِ الَّتِي اعْتَلَّ بِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢]،

وَذَلِكَ لَا شَكَّ الْأَمْثَالُ وَالْأَشْكَالُ، فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا
النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ بِالْقَرْنَائِ وَالْأَمْثَالِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ ^(٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿اِخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ،
فَقَرَأَهُ أَبُو الضُّحَى مُسْلِمٌ بْنُ صُبَيْحٍ: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)
بِمَعْنَى: سَأَلَتْ الْمَوْءُودَةُ الْوَائِدِينَ: بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلُوهَا.

ذَكَرَ الرَّوَايَةَ بِذَلِكَ: حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ، قَالَ: ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ
الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ قَالَ: طَلَبْتُ بِدِمَائِهَا.

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ عَامَّةِ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ ^(٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿
بِمَعْنَى: سُئِلَتِ الْمَوْءُودَةُ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، وَمَعْنَى قُتِلَتْ: قُتِلَتْ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ
رُدَّ إِلَى الْخَبْرِ عَلَى وَجْهِ الْحِكَايَةِ عَلَى نَحْوِ الْقَوْلِ الْمَاضِي قَبْلُ، وَقَدْ يَتَوَجَّهُ مَعْنَى
ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَكُونَ: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ قَتَلَتْهَا وَوَائِدُوهَا، بِأَيِّ ذَنْبٍ
قَتَلُوهَا؟

ثُمَّ رُدَّ ذَلِكَ إِلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَقِيلَ: بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، وَأَوْلَى الْقُرَّاءِ تَيْنِ
فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ: قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ ذَلِكَ ﴿سُئِلَتْ﴾ بِضَمِّ السَّيْنِ، ﴿بِأَيِّ
ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ عَلَى وَجْهِ الْخَبْرِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ وَالْمَوْءُودَةَ:
الْمُدْفُونَةَ حَيَّةً، وَكَذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُ بِنَبَاتِهَا، يُقَالُ: وَادَهُ فَهُوَ يَبْدُهُ وَأَدَا،
وَوَادَةٌ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا صُحُفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ نُشِرَتْ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْوِيَّةً عَلَى مَا فِيهَا مَكْتُوبٌ، مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ ﴿نُشِرَتْ﴾ بِتَخْفِيفِ الشَّيْنِ، وَكَذَلِكَ قَرَأَهُ أَيْضًا بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ، وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ. وَاعْتَلَّ مَنْ اعْتَلَّ مِنْهُمْ لِقِرَاءَتِهِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿أَنْ يَأْتِيَ صَحْفًا مَنشُورَةً﴾ [المدر: ٥٢] وَلَمْ يَقُلْ مَنشُورَةً، وَإِنَّمَا حَسُنَ التَّشْدِيدُ فِيهِ، لِأَنَّهُ خَبِرٌ عَنْ جَمَاعَةٍ، كَمَا يُقَالُ: هَذِهِ كِبَاشٌ مُذَبَّحَةٌ، وَلَوْ أَخْبَرَ عَنِ الْوَاحِدِ بِذَلِكَ كَانَتْ مُحْفَفَةً، فَقِيلَ مُذْبُوحَةٌ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ مَنشُورَةٌ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ ⑪ وَإِذَا الْجَبَاهُ سُعِرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ⑭ فَلَا أُقِيمُ بِالْحُنُسِ ⑮ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ⑯ ﴿التكوير: ١١-١٦﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا السَّمَاءُ نَزَعَتْ وَجُدِبَتْ، ثُمَّ طُوِيَتْ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَذَكَرَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (قُشِطَتْ) بِالْقَافِ، وَالْقَشِطُ وَالْكَشِطُ: بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَذَلِكَ تَحْوِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ الْكَافِ قَافًا، لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْهِمَا، كَمَا قِيلَ لِلْكَافُورِ قَافُورٌ، وَلِلْقَشِطِ: كِشِطٌ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ، إِذَا تَقَارَبَ مَخْرَجُ الْحَرْفَيْنِ، أَبَدَلُوا مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، كَقَوْلِهِمْ لِلْأَثَافِيِّ: أَثَافِي، وَثَوْبٌ فَرُقِيٌّ وَثُرُقِيٌّ.

وَقَوْلُهُ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا الْجَحِيمُ أُوقِدَ عَلَيْهَا فَأُحْمِيَتْ، قَالَ قَتَادَةَ: سَعَّرَهَا غَضَبُ اللَّهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ. وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ ﴿سُعِرَتْ﴾ بِتَشْدِيدِ عَيْنِهَا، بِمَعْنَى أُوقِدَ عَلَيْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ بِالتَّخْفِيفِ.

وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، فَبِأَيْتِهِنَّ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا الْجَنَّةُ قُرِبَتْ وَأُذْيِيَتْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلِمَتْ نَفْسٌ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَحْضَرَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَتَصِيرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ شَرٍّ فَتَصِيرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، يَقُولُ: يَتَبَيَّنُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَمَا الَّذِي كَانَ فِيهِ صَلَاحُهُ مِنْ غَيْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحَنَسِ﴾ ⑩ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحُنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ النُّجُومُ الدَّرَارِيُّ الْحُمَسَةُ، تَحْنُسُ فِي مَجْرَاهَا فَتَرْجِعُ، وَتَكْنِسُ فَتَسْتَرُّ فِي بُيُوتِهَا، كَمَا تَكْنِسُ الطُّبَّاءُ فِي الْمَغَارِ، وَالنُّجُومُ الْحُمَسَةُ: بَهْرَامٌ، وَزُحَلٌ، وَعَطَارِدٌ، وَالزُّهْرَةُ، وَالْمُشْتَرِي، قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَسَنُ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ بَقْرُ الْوَحْشِ الَّتِي تَكْنِسُ فِي كِنَاسِهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الظُّبَاءُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ،
وَالضَّحَّاكُ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَقْسَمَ
بِأَشْيَاءٍ مَخْنُوسٍ أَحْيَانًا: أَيِّ تَغْيِبٍ، وَتَجْرِي أَحْيَانًا وَتَكْنُسُ أُخْرَى، وَكُنُوسُهَا:
أَنْ تَأْوِي فِي مَكَانِهَا، وَالْمَكَانِسُ عِنْدَ الْعَرَبِ، هِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا
بَقَرُ الْوَحْشِ وَالظُّبَاءُ، وَاحِدُهَا مَكْنَسٌ وَكِنَاسٌ، فَالْكِنَاسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا
وَصَفَتْ، وَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يُسْتَعَارَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا النُّجُومُ مِنَ
السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ
النُّجُومُ دُونَ الْبَقَرِ، وَلَا الْبَقَرُ دُونَ الظُّبَاءِ، فَالصَّوَابُ أَنْ يَعَمَّ بِذَلِكَ كُلَّ مَا
كَانَتْ صِفَتُهُ الْخُنُوسَ أَحْيَانًا، وَالْجُرِّيَ أُخْرَى، وَالْكُنُوسُ بَانَاتٍ عَلَى مَا
وَصَفَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ [التكوير: ١٧-٢٠] أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِاللَّيْلِ
إِذَا عَسَسَ، يَقُولُ: وَأُقْسِمُ بِاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إِذَا
أَدْبَرَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ،
وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسَعَسَ﴾: إِذَا أَقْبَلَ بِظِلَامِهِ، قَالَه الْحَسَنُ، وَعَطِيَّةٌ.

وَأَوَّلَى التَّأْوِيلِ يَنْ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي: قَوْلٌ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِذَا أَدْبَرَ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْقَسَمَ بِاللَّيْلِ مُدْبِرًا، وَبِالنَّهَارِ مُقْبِلًا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عَسَعَسَ اللَّيْلُ، وَسَعَسَعَ اللَّيْلُ: إِذَا أَدْبَرَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، يَزْعُمُ أَنَّ عَسَعَسَ: دَنَا مِنْ أَوْلِهِ وَأَظْلَمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ يَقُولُ: وَضَوْءُ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ سَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَتَنْزِيلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يَعْنِي جِبْرِيلَ، نَزَّلَهُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ذِي قُوَّةٍ، يَعْنِي جِبْرَائِيلَ عَلَى مَا كُتِّفَ مِنْ أَمْرِ غَيْرٍ عَاجِزٍ.

﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يَقُولُ: هُوَ مَكِينٌ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ (١١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ

بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذَهَبُونَ (٢٦) ﴿

[التكوير: ٢١-٢٦] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾ يَعْنِي جِبْرِيلَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُطَاعٍ فِي السَّمَاءِ تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ، ﴿أَمِينٍ﴾ يَقُولُ: أَمِينٌ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا صَاحِبُكُمْ أَهْلِهَا النَّاسُ مُحَمَّدٌ بِمَجْنُونٍ، فَيَتَكَلَّمُ عَنْ جَنَّةٍ، وَيَهْدِي هَدْيَانَ الْمَجَانِينَ، بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ، وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ رَآهُ أَيُّ مُحَمَّدٌ جَبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَتِهِ بِالنَّاحِيَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ الْأَشْيَاءَ، فَتَرَى مِنْ قِبَلِهَا، وَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو الْأَحْوَصِ، وَعَامِرٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ اخْتَلَفَتِ الْقُرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ ﴿بِضَنِينٍ﴾ بِالضَّادِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرٌ بِخَيْلٍ عَلَيْهِمْ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ، وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: (بِظَنِينٍ) بِالظَّاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرٌ مُتَّهَمٌ فِيمَا يُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ، قَالَ زُرَّ: الظَّنِّينَ: الْمُتَّهَمُ، وَفِي قِرَاءَتِكُمْ: ﴿بِضَنِينٍ﴾، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ، وَالْغَيْبُ: الْقُرْآنُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَسُفْيَانُ: بِبَخِيلٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا يَضُنُّ عَلَيْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ، وَقَالَ أَيْضًا: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ غَيْبٌ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا، فَبَدَّلَهُ وَعَلَّمَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاللَّهُ مَا ضَنَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ نَحْوَهُ عَامِرٌ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْغَيْبُ: الْقُرْآنُ، لَمْ يَصْنَعْ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَذَاهُ وَبَلَّغَهُ، بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ جِبْرِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَدَّى جِبْرِيلُ مَا اسْتَوَدَعَهُ اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَأَدَّى مُحَمَّدٌ مَا اسْتَوَدَعَهُ اللَّهُ وَجِبْرِيلُ إِلَى الْعِبَادِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ضَنَّ، وَلَا كَتَمَ، وَلَا تَخَرَّصَ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِالظَّاءِ، وَتَأَوَّلَهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (بِظَنَيْنِ): لَيْسَ بِمُتَّهَمٍ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَزُرَّ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَدْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ مَعْنَاهُ: وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَعِيفٍ، وَلَكِنَّهُ مُحْتَمَلٌ لَهُ مُطِيقٌ، وَوَجَّهَهُ إِلَى قَوْلِ الْعَرَبِ لِلرَّجُلِ الضَّعِيفِ: هُوَ ظَنُونٌ وَأَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: مَا عَلَيْهِ خُطُوطٌ مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ مُتَّفَقَةٌ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمْ بِهِ، وَذَلِكَ ﴿بِضَنَيْنِ﴾ بِالضَّادِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ كَذَلِكَ فِي خُطُوطِهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ تَأْوِيلٌ مِنْ تَأَوَّلَهُ: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ بِبَخِيلٍ بِتَعْلِيمِكُمْوهُ أَيُّهَا النَّاسُ، بَلْ هُوَ حَرِيصٌ عَلَى أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَعَلَّمُوهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ مَطْرُودٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَتَعْدِلُونَ عَنْهُ؟، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) [التكوير: ٢٧-٢٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِنْ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يَقُولُ: إِلَّا تَذِكْرَةٌ وَعِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فَجَعَلَ ذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، ذِكْرًا لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ذِكْرًا لَجَمِيعِهِمْ، فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ إِبْدَالٌ مِنَ اللَّامِ فِي لِلْعَالَمِينَ، وَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ فَيَتَّبِعَهُ، وَيُؤْمِنَ بِهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا تَشَاءُونَ أَيُّهَا النَّاسُ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ.

وَذَكَرَ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَا: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا مِهْرَانُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى، لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: ذَلِكَ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ
مَكِّيَّةٌ وَايَاتُهَا تِسْعٌ عَشْرَةٌ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ١-٥] يُقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت وَإِذَا كَوَاكِبُهَا انْتَرَتْ مِنْهَا فَتَسَاقَطَتْ. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ يَقُولُ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، فَمَلَأَ جَمِيعَهَا، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ ذَلِكَ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالْكَلْبِيُّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يَقُولُ: وَإِذَا الْقُبُورُ أُثِيرَتْ، فَاسْتُخْرِجَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، يُقَالُ: بَعَثَرْتُ فُلَانًا حَوْضَ فُلَانٍ: إِذَا جَعَلَ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ، يُقَالُ: بَعَثَرَهُ وَبَحَثَرَهُ: لُعْتَانِ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلِمْتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُهُ، وَأَخَّرَتْ وَرَاءَهُ مِنْ شَيْءٍ سَنَّهُ فَعَمِلَ بِهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ بَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ آخِرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: مَا قَدَّمْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي أَدَّتْهَا، وَمَا
أَخَّرْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي ضَيَّعْتَهَا، قَالَه عِكْرِمَةُ، وابنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وابنُ
زَيْدٍ.

وَقَالَ آخِرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: مَا قَدَّمْتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَخَّرْتَ مِنْ
خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وإنَّما اخْتَرْنَا الْقَوْلَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، لِأَنَّ كُلَّ مَا عَمِلَ الْعَبْدُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ
فَهُوَ مِمَّا قَدَّمَهُ، وَأَنَّ مَا ضَيَّعَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَرَّطَ فِيهِ فَلَمْ يَعْمَلْهُ، فَهُوَ مِمَّا
قَدْ قَدَّمَ مِنْ شَرٍّ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا أَخَّرَ مِنَ الْعَمَلِ، لِأَنَّ الْعَمَلَ هُوَ مَا عَمِلَهُ،
فَأَمَّا مَا لَمْ يَعْمَلْهُ فَإِنَّهَا هِيَ سَيِّئَةٌ قَدَّمَهَا، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: مَا أَخَّرَ: هُوَ مَا سَنَّهُ مِنْ
سُنَّةٍ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ، مِمَّا إِذَا عَمِلَ بِهِ الْعَامِلُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الْعَامِلِ بِهَا أَوْ
وِزْرُهُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ ٦ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴿ [الانفطار: ٦-٨] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَا
أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، أَيُّ شَيْءٍ غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، عَرَّ الْإِنْسَانَ بِهِ عَدُوَّهُ
الْمُسَلِّطَ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ يَقُولُ: الَّذِي خَلَقَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فَسَوَّى خَلَقَكَ ﴿فَعَدَلَكَ﴾، وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةً
قُرَاءَ الْمُدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةَ: (فَعَدَلَكَ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ

عَامَّةً قُرَاءِ الْكُوفَةِ بِتَخْفِيفِهَا؛ وَكَأَنَّ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّشْدِيدِ، وَجَّهَ مَعْنَى
الْكَلَامِ إِلَى أَنَّهُ جَعَلَكَ مُعْتَدِلًا مُعَدَّلَ الْخَلْقِ مُقَوِّمًا، وَكَأَنَّ الَّذِينَ قَرَأُوهُ
بِالتَّخْفِيفِ، وَجَّهُوا مَعْنَى الْكَلَامِ إِلَى صِرْفِكَ، وَأَمَّا لِكَ إِلَى أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ،
إِمَّا إِلَى صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَإِمَّا إِلَى صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، أَوْ إِلَى صُورَةٍ بَعْضِ قَرَابَاتِهِ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ
فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، صَحِيحَتَا الْمَعْنَى، فَبِأَيَّتِهِنَّ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، غَيْرَ أَنْ
أَعْجَبَهُمَا إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ بِهِ، قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّشْدِيدِ، لِأَنَّ دُخُولَ فِي اللَّتَعْدِيلِ
أَحْسَنُ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنْ دُخُولِهَا لِلْعَدْلِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: عَدَلْتُكَ فِي كَذَا،
وَصَرَفْتُكَ إِلَيْهِ، وَلَا تَكَادُ تَقُولُ: عَدَلْتُكَ إِلَى كَذَا وَصَرَفْتُكَ فِيهِ، فَلِذَلِكَ
اخْتَرْتُ التَّشْدِيدَ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ① وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ②
كِرَامًا كَنِينِينَ ③ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ④ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑤ ﴿ [الانفطار: ٩-١٣] يَقُولُ تَعَالَى
ذِكْرُهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ كَمَا تَقُولُونَ، مِنْ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ فِي عِبَادَتِكُمْ
غَيْرَ اللَّهِ، وَلَكِنَّكُمْ تُكذِّبُونَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَبِنَحْوِ
الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ يَقُولُ: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ رُقَبَاءَ حَافِظِينَ يَحْفَظُونَ
أَعْمَالَكُمْ، وَيُحْصُونَهَا عَلَيْكُمْ.

﴿كِرَامًا كَنِينٍ﴾ يَقُولُ: كِرَامًا عَلَى اللَّهِ كَاتِبِينَ، يَكْتُبُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَيُّوبُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يَقُولُ: يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْحَافِظُونَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، يُحْصُونَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ الَّذِينَ بَرُّوا بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ لَفِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ يُنَعَّمُونَ فِيهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١٤) يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَاهُمْ عَنْهَا بَغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) [الانفطار: ١٤-١٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يُصَلِّي هَؤُلَاءِ الْفُجَّارُ الْجَحِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُدَانَ الْعِبَادُ بِالْأَعْمَالِ، فَيَجَارُونَ بِهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَظَّمَهُ اللَّهُ، وَحَدَّرَهُ عِبَادَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بَغَائِبِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا هَؤُلَاءِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ بِخَارِجِينَ أَبَدًا فَبَغَائِبِينَ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ مَا كَثُرُونَ، وَكَذَلِكَ الْأَبْرَارُ فِي النَّعِيمِ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ، أَيُّ وَمَا أَشْعَرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ؟ يَقُولُ:

أَيُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْمَجَازَةِ، مُعْظَمًا شَأْنُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ، بِقِيلِهِ ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ أَيُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْمَجَازَةِ وَالْحِسَابِ يَا مُحَمَّدُ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، ثُمَّ فَسَّرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْضَ شَأْنِهِ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ يَقُولُ: ذَلِكَ الْيَوْمَ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ، يَقُولُ: يَوْمَ لَا تُعْنِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا، فَتَدْفَعُ عَنْهَا بَلِيَّةً نَزَلَتْ بِهَا، وَلَا تَنْفَعُهَا بِنَافِعَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تَحْمِيهَا، وَتَدْفَعُ عَنْهَا مَنْ بَغَاهَا سُوءًا، فَبَطَلَ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ صَارَ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَاضْمَحَلَّتْ هُنَالِكَ الْمَالِكُ، وَذَهَبَتِ الرِّيَاسَاتُ، وَحَصَلَ الْمُلْكُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ يَقُولُ: وَالْأَمْرُ كُلُّهُ يَوْمَئِذٍ، يَعْنِي الدِّينَ لِلَّهِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهِ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ بِنَصْبِ يَوْمٍ إِذْ كَانَتْ إِضَافَتُهُ غَيْرَ مَحْضَةٍ، وَقَرَأَهُ بَعْضُ قُرَاءِ الْبَصْرَةِ بِضَمِّ يَوْمٍ وَرَفْعِهِ رَدًّا عَلَى الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، وَالرَّفْعُ فِيهِ أَفْصَحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَوْمَ مُضَافٌ إِلَى يَفْعَلُ، وَالْعَرَبُ إِذَا أَضَافَتِ الْيَوْمَ إِلَى تَفْعَلُ أَوْ يَفْعَلُ أَوْ أَفْعَلُ رَفَعُوهُ فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ أَفْعَلُ كَذَا، وَإِذَا أَضَافَتُهُ إِلَى فِعْلٍ مَاضٍ نَصَبُوهُ.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سِتٌّ وَثَلَاثُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين: ١-٦].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ فِي أَسْفَلِهَا
لِلَّذِينَ يُطَفِّفُونَ، يَعْنِي: لِلَّذِينَ يَنْقُصُونَ النَّاسَ، وَيَبْخَسُونَهُمْ حُقُوقَهُمْ فِي
مَكَايِلِهِمْ إِذَا كَالُوهُمْ، أَوْ مَوَازِينِهِمْ إِذَا وَزَنُوا هُمْ عَنِ الْوَاجِبِ هُمْ مِنْ
الْوَفَاءِ؛ وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ الطَّفِيفِ، وَهُوَ الْقَلِيلُ النَّزْرُ، وَالْمُطَفَّفُ:
الْمُقَلَّلُ حَقَّ صَاحِبِ الْحَقِّ عَمَّا لَهُ مِنَ الْوَفَاءِ وَالْتِمَامِ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ؛ وَمِنْهُ قِيلَ
لِلْقَوْمِ الَّذِي يَكُونُونَ سَوَاءً فِي حِسْبَةٍ أَوْ عَدَدٍ: هُمْ سَوَاءٌ كَطَفِّ الصَّاعِ، يَعْنِي
بِذَلِكَ: كَقُرْبِ الْمُتَمَلِّيِّ مِنْهُ نَاقِصٌ عَنِ الْمِلءِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ،
وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا
مِنَ النَّاسِ مَا هُمْ قَبْلَهُمْ مِنْ حَقِّ، يَسْتَوْفُونَ لِأَنفُسِهِمْ فَيَكْتَالُونَهُ مِنْهُمْ وَافِيًا؛
وَعَلَى وَمَنْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَتَعَاقَبَانِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ: أَكْتَلْتُ مِنْكَ، يُرَادُ:
اسْتَوْفَيْتُ مِنْكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ يَقُولُ: وَإِذَا هُمْ كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوا هُمْ، وَمِنْ لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ أَنْ يَقُولُوا: وَزَنْتُكَ حَقَّكَ، وَكَلْتُكَ طَعَامَكَ، بِمَعْنَى: وَزَنْتُ لَكَ وَكَلْتُ لَكَ، وَمَنْ وَجَّهَ الْكَلَامَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، جَعَلَ الْوَقْفَ عَلَى هُمْ، وَجَعَلَ هُمْ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ، وَكَانَ عَيْسَى بْنُ عَمَرَ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ يَجْعَلُهُمَا حَرْفَيْنِ، وَيَقِفُ عَلَى كَالُوا، وَعَلَى وَزَنُوا، ثُمَّ يَبْتَدِئُ: هُمْ يُحْسِرُونَ. فَمَنْ وَجَّهَ الْكَلَامَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، جَعَلَ هُمْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَجَعَلَ كَالُوا وَوَزَنُوا مُكْتَفَيْنِ بِنَفْسِهِمَا.

وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: الْوَقْفُ عَلَى هُمْ؛ لِأَنَّ كَالُوا وَوَزَنُوا لَوْ كَانَا مُكْتَفَيْنِ، وَكَانَتْ هُمْ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا، كَانَتْ كِتَابَةٌ كَالُوا وَوَزَنُوا بِالْفِ فَاصِلَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هُمْ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، إِذْ كَانَ بِذَلِكَ جَرَى الْكِتَابِ فِي نِظَائِرِ ذَلِكَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَّصِلًا بِهِ شَيْءٌ مِنْ كِنَايَاتِ الْمَفْعُولِ، فَكِتَابَتُهُمْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بَغَيْرِ أَلْفٍ أَوْضَحَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: هُمْ إِنَّمَا هُوَ كِنَايَةٌ أَسْمَاءِ الْمَفْعُولِ بِهِمْ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا، عَلَى مَا بَيَّنَّا.

وَقَوْلُهُ: ﴿يُحْسِرُونَ﴾ يَقُولُ: يَنْقُصُونَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْمُطَفِّفُونَ النَّاسَ فِي مَكَائِلِهِمْ وَمَوَازِينِهِمْ، أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ شَأْنُهُ، هَائِلٍ أَمْرُهُ، فَطِيعٍ هَوْلُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَيَوْمَ يَقُومُ تَفْسِيرٌ عَنِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الْمُخْفُوضِ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا لَمْ يُعَدِّ عَلَيْهِ اللَّامَ، رُدَّ إِلَى مَبْعُوثُونَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَلَا يَظُنُّ أَوْلِيكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ؟ وَقَدْ يَجُوزُ نَصْبُهُ وَهُوَ بِمَعْنَى الْخَفِضِ، لِأَنَّهَا إِضَافَةٌ غَيْرُ مُحَضَّةٍ، وَلَوْ خَفِضَ رَدًّا عَلَى الْيَوْمِ الْأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ لِحْنًا، وَلَوْ رُفِعَ جَارًا.

وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُلْجِمَهُمُ الْعَرَقُ، فَبَعْضُ يَقُولُ: مِقْدَارُ ثَلَاثِثَاثَةِ عَامٍ، وَبَعْضُ يَقُولُ: مِقْدَارُ أَرْبَعِينَ عَامًا.
عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ: «يَغِيبُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»^(١).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنْ كُنْتُمْ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ﴾^(٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ^(٨)
كُنْتُ مَرْقُومٌ^(٩) وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ^(١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ^(١١) ﴿ [المطففين: ٧-١١] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَلَّا، أَي لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ، أَنَّهُمْ عَيْرٌ مَبْعُوثِينَ وَلَا مُعَذِّبِينَ، إِنَّ كِتَابَهُمُ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ أَعْمَاهُمْ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ وَهِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى، وَهُوَ فِعْلٌ مِنَ السَّجَنِ، كَمَا قِيلَ: رَجُلٌ سَكِيرٌ مِنَ السَّكْرِ، وَفَسِيقٌ مِنَ الْفِسْقِ.

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٩٣٨)، وبرقم (٦٥٣١)، ومسلم، برقم (٢٨٦٢).

وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِثْلَ الَّذِي قُلْنَا
وَهُمْ مُغِيثُ بِنِ سُمَيٍّ، وَكَعْبٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ،
وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ حَدُّ إِبْلِيسَ، قَالَه كَعْبُ الْأَخْبَارِ، وَسَعِيدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مَفْتُوحٌ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: ذَكَرُوا أَنَّ ﴿سَجِّينٍ﴾: الصَّخْرَةُ الَّتِي تَحْتَ
الْأَرْضِ، قَالَ: وَيُرَى أَنَّ ﴿سَجِّينٍ﴾ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهَا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهَا اسْمًا لَمْ
يُجْرَ، قَالَ: وَإِنْ قُلْتَ أَجْرِيئُهُ لِأَنِّي ذَهَبْتُ بِالصَّخْرَةِ إِلَى أَتَمِّهَا الْحَجَرِ الَّذِي فِيهِ
الْكِتَابُ كَانَ وَجْهًا وَإِنَّمَا اخْتَرْتُ الْقَوْلَ الَّذِي اخْتَرْتُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:
﴿سَجِّينٍ﴾ لِمَا: رَوَى عَنِ الْبَرَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَذَكَرَ
نَفْسَ الْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا
عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحَ الْحَيِّثُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ فَلَانَ
بِأَفْبَحِ اسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفْتَحُ
هُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحَيَّاطِ﴾

[الأعراف: ٤٠] "فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى" (١).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ، أَيُّ شَيْءٍ ذَلِكَ الْكِتَابُ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ وَعُنِيَ بِالْمَرْقُومِ: الْمَكْتُوبُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يَقُولُ: الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْمُجَازَاةِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٣) إِذَا نُنِلَ عَلَيْهِ ابْتِنَاءُ قَالِ اسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) [المطففين: ١٢-١٤] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ اعْتَدَى عَلَى اللَّهِ فِي قَوْلِهِ، فَخَالَفَ أَمْرَهُ ﴿أَثِيمٍ﴾ بِرَبِّهِ.

﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِذَا فُرِيَ عَلَيْهِ حُجَجُنَا وَأَدَلَّتْنَا الَّتِي بَيَّنَّاها فِي كِتَابِنَا الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) أخرجه أحمد في المسند مطولاً بإسناد صحيح، برقم (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٦٧٦).

﴿قَالَ أَسْطِيزُ الْأَوْلَيْنَ﴾ يَقُولُ: قَالَ: هَذَا مَا سَطَّرَهُ الْأَوْلُونَ فَكَتَبُوهُ، مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُكَذِّبًا لَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ: كَلَّا، مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ يَقُولُ: غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَغَمَّرَهَا، وَأَحَاطَتْ بِهَا الذُّنُوبُ فَغَطَّتْهَا؛ يُقَالُ مِنْهُ: رَانَتِ الْحُمُرُ عَلَى عَقْلِهِ، فَهِيَ تَرِينُ عَلَيْهِ رَيْنًا، وَذَلِكَ إِذَا سَكِرَ، فَغَلَبَتْ عَلَى عَقْلِهِ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَدْنَبَ الْعَبْدُ نَكِبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ عَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿كَلَّابٌ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ٤١]»^(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ: الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ قَلْبُهُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْعَبْدُ يَعْمَلُ بِالذُّنُوبِ، فَتَحِيظُ بِالْقَلْبِ، ثُمَّ تَرْتَفِعُ، حَتَّى تَغْشَى الْقَلْبَ، وَقَالَ: انْبَثَّتْ عَلَى قَلْبِهِ الْخَطَايَا حَتَّى غَمَّرَتْهُ، وَقَالَ: طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَسَبُوا، وَقَالَ عَطَاءٌ: غَشِيَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَوَتْ بِهَا، فَلَا يَفْزَعُونَ، وَلَا يَتَحَاشُونَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: أَعْمَالُ السُّوءِ، إِي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، برقم (٦)، وقال: "هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين"، وابن بطّة في الإبانة الكبرى، برقم (٩٧٤).

وَاللَّهُ ذَنْبٌ عَلَى ذَنْبٍ، وَذَنْبٌ عَلَى ذَنْبٍ حَتَّى مَاتَ قَلْبُهُ وَاسْوَدَّ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا مَعَهَا خَيْرٌ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ [المطففين: ١٥-١٧] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، مِنْ أَنَّ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ زُلْفَةٌ، إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ رَبِّهِمْ لَمَحْجُوبُونَ، فَلَا يَرَوْنَهُ، وَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ كَرَامَتِهِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ كَرَامَتِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيِيَةِ رَبِّهِمْ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ عَنْ رُؤْيِيَتِهِ مَحْجُوبُونَ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الْحِجَابُ عَنْ كَرَامَتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ الْحِجَابُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا دَلَالََةَ فِي الْآيَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُرَادٌ بِذَلِكَ الْحِجَابُ عَنْ مَعْنَى مِنْهُ دُونَ مَعْنَى، وَلَا خَبَرَ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَتْ حُجَّتُهُ.

فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: هُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيِيَتِهِ، وَعَنْ كَرَامَتِهِ، إِذْ كَانَ الْخَبَرُ عَامًّا، لَا دَلَالََةَ عَلَى خُصُوصِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ثُمَّ إِنَّهُمْ لَوَارِدُوا الْجَحِيمِ، فَمَشُورُونَ فِيهَا، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ يَقُولُ جَلَّ

ثَنَّاؤُهُ: ثُمَّ يُقَالُ هُوَ لَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ: هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ
الْيَوْمَ، هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُخْبِرُونَ أَنَّكُمْ ذَائِقُوهُ، فَتُكَذِّبُونَ بِهِ،
وَتُنْكِرُونَهُ، فَذَوْقُوهُ الْآنَ، فَقَدْ صَلَّيْتُمْ بِهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ
﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المطففين: ١٨-٢٢] يَقُولُ
تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ وَالْأَبْرَارُ: جَمْعُ بَرٍّ، وَهُمْ الَّذِينَ بَرُّوا
اللَّهَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ وَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ الَّذِينَ لَا
يُؤْذُونَ شَيْئًا حَتَّى الدَّرَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى عِلِّيَّينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:
هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، قَالَه كَعْبٌ، وَقَتَادَةُ، وَزَيْدٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَالصَّحَّاحُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْعِلِّيُّونَ: قَائِمَةُ الْعَرْشِ الْيُمْنَى، قَالَه قَتَادَةُ، وَكَعْبٌ.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ عُنِي بِالْعِلِّيَّينَ: الْجَنَّةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.
وَقَالَ آخَرُونَ: عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، قَالَه الصَّحَّاحُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ عُنِي بِالْعِلِّيَّينَ: فِي السَّمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ كِتَابَ
الْأَبْرَارِ فِي عِلِّيَّينَ؛ وَالْعِلِّيُّونَ: جَمْعٌ، مَعْنَاهُ: شَيْءٌ فَوْقَ شَيْءٍ، وَعُلُوٌّ فَوْقَ عُلُوٍّ،
وَارْتِفَاعٌ بَعْدَ ارْتِفَاعٍ، فَلِذَلِكَ جُمِعَتْ بِالْيَأِ وَالنُّونِ، كَجَمْعِ الرِّجَالِ، إِذَا لَمْ
يَكُنْ لَهُ بِنَاءٌ مِنْ وَاحِدِهِ وَائْتِنِيهِ، كَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: أَطْعَمْنَا

مَرَقَةً مَرَقَيْنِ: يَعْنِي اللَّحْمَ الْمُطْبُوخَ، وَكَذَلِكَ تَفْعُلُ الْعَرَبُ فِي كُلِّ جَمْعٍ لَمْ يَكُنْ بِنَاءً لَهُ مِنْ وَاحِدِهِ وَائْتِيَهُ، فَجَمَعَهُ فِي جَمِيعِ الْإِنَاثِ، وَالذُّكْرَانَ بِالنُّونِ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنَّا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: عِشْرُونَ وَثَلَاثُونَ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَالَّذِي ذَكَرْنَا، فَبَيِّنْ أَنْ قَوْلَهُ: ﴿لَفِي عَلَيَّتِ﴾ مَعْنَاهُ: فِي عُلُوِّ وَارْتِفَاعٍ، فِي سَمَاءٍ فَوْقَ سَمَاءٍ، وَعُلُوِّ فَوْقَ عُلُوِّ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِلَى قَائِمَةِ الْعَرْشِ، وَلَا خَبَرَ يَقْطَعُ الْعُدْرَةَ بِأَنَّهُ مَعْنِي بِهِ بَعْضُ ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ.

وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ لَفِي ارْتِفَاعٍ إِلَى حَدٍّ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ مُنْتَهَاهُ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَنَا بِعَاقِبَتِهِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْضُرُ عَنِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعْجِبُهُ مِنْ عَلِيَّيْنِ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا عَلِيُّونَ؟ وَقَوْلُهُ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَّيْنِ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ: أَيُّ مَكْتُوبٌ بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ إِيَّاهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ مَرْحَمٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾ يَقُولُ: يَشْهَدُ ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمَكْتُوبَ بِأَمَانٍ اللَّهُ لِلْبَرِّ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ النَّارِ، وَفَوْزِهِ بِالْجَنَّةِ، الْمُقْرَبُونَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ

مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَيَنْحَوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ،
وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الْأَبْرَارَ الَّذِينَ بَرُّوا
بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، لَفِي نَعِيمٍ دَائِمٍ، لَا يَزُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ
نَعِيمُهُمْ فِي الْجَنَّةِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْأَرْوَاحِ يُنظَرُونَ﴾ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ
(٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ (٢٥) خْتَمَهُ، مِثْلُكَ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ (٢٦) ﴿
[المطففين: ٢٣-٢٦] يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى الْأَرْوَاحِ يُنظَرُونَ﴾ عَلَى السُّرْرِ فِي
الْحِجَالِ، مِنَ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، يُنظَرُونَ إِلَى مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامَةِ
وَالنَّعِيمِ، وَالْحَبْرَةَ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: تَعْرِفُ فِي الْأَبْرَارِ
الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ صِفَتَهُمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، يَعْنِي حُسْنَهُ وَبَرِيقَهُ وَتَلَاؤُهُ.
وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿تَعْرِفُ﴾ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ
سِوَى أَبِي جَعْفَرِ الْقَارِيِّ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ مِنْ تَعْرِفُ عَلَى
وَجْهِ الْخُطَّابِ، ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بِنَضْبِ نَضْرَةٍ. وَقَرَأَ ذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ:
(تَعْرِفُ) بِضَمِّ التَّاءِ عَلَى وَجْهِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ،
بِرْفَعِ نَضْرَةٍ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: مَا عَلَيْهِ قُرَّاءُ الْأَمْصَارِ،
وَذَلِكَ فَتْحُ التَّاءِ مِنْ ﴿تَعْرِفُ﴾ وَنَضْبُ ﴿نَضْرَةٍ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقِ مَخْتومٍ﴾ يَقُولُ: يُسْقَى هُوَ لِأَبْرَارٍ مِنْ مَخْمَرٍ صَرَفٍ لَا غِشَّ فِيهَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَالْحَسَنُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَخْتومٌ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: مَمْزُوجٌ مَخْلُوطٌ، مَزَاجُهُ وَخِلْطُهُ مِسْكٌ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَعَلَقَمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ آخِرَ شَرَابِهِمْ يُخْتَمُ بِمِسْكِ يُجْعَلُ فِيهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ، وَالْحَسَنُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَخْتومٌ مُطَيَّنٌ﴾، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ طِينُهُ مِسْكٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: آخِرُهُ وَعَاقِبَتُهُ مِسْكٌ: أَيِ طَيْبَةِ الرِّيحِ، إِنَّ رِيحَهَا فِي آخِرِ شَرَابِهِمْ، يُخْتَمُ لَهَا بِرِيحِ الْمِسْكِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلخْتَمِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا الطَّبْعُ، وَالْفَرَاغُ كَقَوْلِهِمْ: خَتَمَ فُلَانٌ الْقُرْآنَ: إِذَا أَتَى عَلَى آخِرِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا وَجْهَ لِلطَّبْعِ عَلَى شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، يُفْتَمُّ إِذَا كَانَ شَرَابِهِمْ جَارِيًا جَزِيَّ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ، وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَقًا فِي الدُّنْيَانِ، فَيُطَيَّنُ عَلَيْهَا وَخْتَمُ، تَعَيَّنَ أَنَّ الصَّحِيحَ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهَ الْآخَرَ، وَهُوَ الْعَاقِبَةُ وَالْمَشْرُوبُ آخِرًا، وَهُوَ الَّذِي خْتَمَ بِهِ الشَّرَابُ، وَأَمَّا الخْتَمُ بِمَعْنَى الْمَرْجِ، فَلَا نَعْلَمُهُ مَسْمُوعًا

مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةٌ قُرَاءَ الْأَمْصَارِ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ سِوَى الْكِسَائِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهُ: (خَاتَمُهُ مِسْكٌ).

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ: مَا عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْأَمْصَارِ، وَهُوَ ﴿خِتَامُهُ﴾ لِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءِ عَلَيْهِ، وَالْخِتَامُ وَالْخَاتَمُ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ، فَإِنَّهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى، غَيْرَ أَنَّ الْخَاتَمَ اسْمٌ، وَالْخِتَامُ مَصْدَرٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافِسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَفِي هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ أَعْطَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارَ فِي الْقِيَامَةِ، فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَالتَّنَافُسُ: أَنْ يَنْفَسَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَهُ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ دُونَهُ، وَهُوَ مَا أُخُوذُ مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ، وَهُوَ الَّذِي تَحْرِصُ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ، وَتَطْلُبُهُ وَتَشْتَهِيهِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ فِي ذَلِكَ: فَلْيَجِدَّ النَّاسُ فِيهِ، وَإِلَيْهِ فَلْيُسْتَبْقُوا فِي طَلْبِهِ، وَلْتَحْرِصْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ [المطففين: ٢٧-٢٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ مِنْ تَسْنِيمٍ؛ وَالتَّسْنِيمُ: التَّفْعِيلُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَنَمْتُهُمُ الْعَيْنَ تَسْنِيمًا: إِذَا أَجْرَيْتَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَكَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: وَمِزَاجُهُ مِنْ مَاءٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَيَنْحَدِرُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ كَانَ مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ يَقُولَانِ فِي ذَلِكَ كَذَلِكَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾: عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُهَا الْمُقْرَبُونَ، وَتَمْرُجٌ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَقَالَ بِنُحُوهِ مَسْرُوقٌ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾: عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ، وَيُمْرَجُ فِيهَا لِمَنْ دُونَهُمْ، وَقَالَ بِنُحُوهِ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ (١٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ: ﴿بَلَعْنَا أُمَّتَهَا عَيْنٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، وَهِيَ مِزَاجُ هَذِهِ الْحُمْرِ: يَعْنِي مِزَاجَ الرَّحِيقِ.
وَقَالَ الصَّحَّاحُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾: شَرَابٌ اسْمُهُ تَسْنِيمٌ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الشَّرَابِ.

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ وَمِزَاجُ الرَّحِيقِ مِنْ عَيْنٍ تُسَنَّمُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَتَنْصَبُ عَلَيْهِمْ ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ﴾ مِنْ اللَّهِ صِرْفًا، وَتَمْرُجٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَاخْتَلَفَتْ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَجْهِ نَصْبِ قَوْلِهِ: ﴿عَيْنًا﴾ قَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ: إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ نَصْبَهُ عَلَى يُسْقُونَ عَيْنًا، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ مَدْحًا، فَيُقْطَعُ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ: أَعْنِي عَيْنًا، وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: نَصْبُ الْعَيْنِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُنَوَى مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنٌ، فَإِذَا نُوتَتْ نُصِبَتْ، كَمَا قَالَ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيًّا﴾ [البلد: ١٤-١٥]، وَكَمَا قَالَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٦].

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ: أَنْ يُنَوَى مِنْ مَاءٍ سُنِّمَ عَيْنًا، كَقَوْلِكَ: رَفَعَ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا، قَالَ: وَإِنْ لَمْ يَكُنِ التَّسْنِيمُ اسْمًا لِلْمَاءِ، فَالْعَيْنُ نَكْرَةٌ، وَالتَّسْنِيمُ مَعْرِفَةٌ، وَإِنْ كَانَ اسْمًا لِلْمَاءِ، فَالْعَيْنُ نَكْرَةٌ فَخَرَجَتْ نَصْبًا، وَقَالَ آخَرُ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ: ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ مَعْرِفَةٌ، ثُمَّ قَالَ: ﴿عَيْنًا﴾ فَجَاءَتْ نَكْرَةٌ، فَنَصَبْتُهَا صِفَةً لَهَا، وَقَالَ آخَرُ: نُصِبَتْ بِمَعْنَى: مِنْ مَاءٍ يُتَسَنَّمُ عَيْنًا.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ التَّسْنِيمَ اسْمٌ مَعْرِفَةٌ، وَالْعَيْنُ نَكْرَةٌ، فَنُصِبَتْ لِذَلِكَ إِذْ كَانَتْ صِفَةً لَهُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ لِمَا قَدْ قَدَّمْنَا مِنَ الرَّوَايَةِ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، أَنَّ التَّسْنِيمَ هُوَ الْعَيْنُ، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّ الْعَيْنَ إِذْ كَانَتْ مَنْصُوبَةً وَهِيَ نَكْرَةٌ، أَنَّ التَّسْنِيمَ مَعْرِفَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْمَآثِمَ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا، كَانُوا فِيهَا مِنَ الَّذِينَ أَقْرَبُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَصَدَّقُوا بِهِ، يَضْحَكُونَ، اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ بِهِمْ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ (٣٠) وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ (٣٣) [المطففين: ٣٠-٣٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَجْرَمُوا إِذَا مَرَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ؛ يَقُولُ: كَانَ بَعْضُهُمْ يَغْمِزُ بَعْضًا بِالْمُؤْمِنِ، اسْتِهْزَاءً بِهِ وَسُخْرِيَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ﴾ يَقُولُ: وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِذَا انصَرَفُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ مِنْ مَجَالِسِهِمْ انصَرَفُوا نَاعِمِينَ مُعْجَبِينَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: انْقَلَبَ نَاعِمًا، قَالَ: هَذَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أُعْقِبَ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْنَى فَكَيْهِنَ وَفَكَيْهِنَ، فَيَقُولُ: مَعْنَى فَكَيْهِنَ نَاعِمِينَ، وَفَكَيْهِنَ: مَرِحِينَ، وَكَانَ غَيْرُهُ يَقُولُ: ذَلِكَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ طَامِعٍ وَطَمِعٍ، وَبَاخِلٍ وَبَخِلٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ، عَنْ مَحَبَّةِ الْحَقِّ، وَسَبِيلِ الْقَصْدِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَا بُعِثَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْقَائِلُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ، حَافِظِينَ عَلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ يَقُولُ: إِنَّمَا كُفُّوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يُجْعَلُوا رُقَبَاءَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ يُحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ وَيَتَفَقَّدُونَهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤَبِّدُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾ فِيهَا ﴿يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿يَقُولُ﴾ عَلَى سُرُرِهِمُ اللَّتِي فِي الْحِجَالِ يَنْظُرُونَ

إِلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَالْكَفَّارُ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَكَعْبٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تُؤَبِّبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَلْ أُثِيبَ الْكَفَّارُ وَجُزُوا ثَوَابَ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُخْرِيَتِهِمْ مِنْهُمْ، وَضَحِكِهِمْ بِهِمْ، بِضَحِكِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، وَهُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ وَ ﴿تُؤَبِّبُ﴾ فَعَلَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، يُقَالُ مِنْهُ: ثَوَّبَ فُلَانٌ فُلَانًا عَلَى صَنِيعِهِ، وَأَثَابَهُ مِنْهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسُفْيَانُ.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

مَكِّيَّةٌ وَايَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ
مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ [الانشقاق: ١-٥] يَقُولُ تَعَالَى
ذِكْرُهُ: إِذَا السَّمَاءُ تَصَدَّعَتْ وَتَقَطَّعَتْ فَكَانَتْ أَبْوَابًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ يَقُولُ: وَسَمِعَتِ السَّمَوَاتُ فِي تَصَدُّعِهَا وَتَشَقُّقِهَا
لِرَبِّهَا، وَأَطَاعَتْ لَهُ فِي أَمْرِهِ إِيَّاهَا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَذِنَ لَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِذْنَا
بِمَعْنَى: اسْتَمَعَ لَكَ، وَمِنْهُ الْخَبْرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا
أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّي يَتَغَنَّيَ بِالْقُرْآنِ»^(١)، يَعْنِي بِذَلِكَ: مَا اسْتَمَعَ اللَّهُ
لِشَيْءٍ كَاسْتِمَاعِهِ لِنَبِيِّي يَتَغَنَّيَ بِالْقُرْآنِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:
﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَحُقَّتْ﴾ يَقُولُ: وَحَقَّقَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْإِسْتِمَاعَ بِالْإِنْشِقَاقِ،
وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ
جَبْرِ.

(١) أخرجه البخاري، برقم (٥٠٢٤)، ومسلم، برقم (٧٩٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا الْأَرْضُ بُسِطَتْ، فزِيدَ فِي سَعَتِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَأَلْقَتْ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى إِلَى ظَهْرِهَا وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ يَقُولُ: وَسَمِعَتْ الْأَرْضُ فِي إِلْقَائِهَا مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى إِلَى ظَهْرِهَا أَحْيَاءً، أَمَرَ رَبِّهَا وَأَطَاعَتْ، ﴿وَحُقَّتْ﴾ يَقُولُ: وَحَقَّقَهَا اللَّهُ لِلِاسْتِمَاعِ لِأَمْرِهِ فِي ذَلِكَ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَوْجِعِ جَوَابِ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ فَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]، إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأَخِيرِ. وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْكُوفَةِ: قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: جَوَابُ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَذْنَتْ﴾ قَالَ: وَنَرَى أَنَّهُ رَأَى اِرْتَاهَ الْمُفَسِّرِ، وَشَبَّهَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: 73] لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ جَوَابًا بِاللَّوَا فِي إِذَا مُبْتَدَأَةً، وَلَا كَلَامَ قَبْلَهَا، وَلَا فِي إِذَا، إِذَا ابْتَدِئَتْ؛ قَالَ: وَإِنَّمَا تُجِيبُ الْعَرَبُ بِاللَّوَا فِي قَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا كَانَ، وَفَلَمَّا أَنْ كَانَ، لَمْ يُجَاوِزُوا ذَلِكَ؛ قَالَ: وَالْجَوَابُ فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وَفِي ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ كَالْمَثْرُوكِ؛

لِأَنَّ الْمُعْنَى مَعْرُوفٌ قَدْ تَرَدَّدَ فِي الْقُرْآنِ مَعْنَاهُ، فَعُرِفَ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ جَوَابُهُ:
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: إِذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ تَرُونَ مَا
عَمِلْتُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، تَجْعَلُ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ هُوَ الْجَوَابُ، وَتُضْمِرُ فِيهِ الْفَاءَ،
وَقَدْ فُسِّرَ جَوَابُ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فِيمَا يَلْقَى الْإِنْسَانُ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ،
فَكَانَ الْمُعْنَى: تَرَى الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ
فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ جَوَابَهُ مَحذُوفٌ، تَرِكَ اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ بِمَعْنَاهُ.
وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ رَأَى الْإِنْسَانُ مَا قَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ،
وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْتَهُ﴾ وَالآيَاتُ
بَعْدَهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْتَهُ﴾ ٦ فَأَمَّا
مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ ﴿٦﴾
[الانشقاق: ٦-٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ عَامِلٌ إِلَىٰ رَبِّكَ عَمَلًا
فَمَلَأْتَهُ بِهِ: خَيْرًا كَانَ عَمَلُكَ ذَلِكَ أَوْ شَرًّا؛ يَقُولُ: فَلْيَكُنْ عَمَلُكَ مِمَّا يُنْجِيكَ
مِنْ سَخَطِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ رِضَاهُ، وَلَا يَكُنْ مِمَّا يُسَخِطُهُ عَلَيْكَ فَتَهْلِكَ،
وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ
كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ بِأَنْ يُنْظَرَ فِي أَعْمَالِهِ، فَيَغْفَرَ
لَهُ سَيِّئَاتِهَا، وَيُجَازِي عَلَىٰ حَسَنَاتِهَا وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ،

وَجَاءَ الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ حَاسِبِنِي حِسَابًا يَسِيرًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرَ فِي سَيِّئَاتِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ»^(١).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبِنِي حِسَابًا يَسِيرًا»، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «يَنْظُرُ فِي كِتَابِهِ وَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ»^(٢).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ»، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدِّبَ» [أخرجه مسلم، برقم (٢٨٧٦)].

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٧٣٧٢)، والحاكم في المستدرک، برقم (٨٧٢٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السبابة".

(٢) أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٤٢١٥)، وقال محققوه: "حديث صحيح دون قوله: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في صلاته: "اللهم حاسبني حسابا يسيرا" فهذه الزيادة تفرد بها محمد بن إسحاق، وقد قال الذهبي في "الميزان": وما تفرد به فيه نكارة"، وابن خزيمة في صحيحه، برقم (٨٤٩)، وحسنه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٧٢ / ٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يَقُولُ: وَيَنْصَرِفُ هَذَا الْمَحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا إِلَى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ مَسْرُورًا، وَيَنْحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كُنْبُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ١٠ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ١١ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٤ يَلِجُ إِنْ رُبِّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥ ﴿[الانشقاق: ١٠-١٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يَوْمَئِذٍ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَذَلِكَ أَنْ جَعَلَ يَدُهُ الْيُمْنَى إِلَى عُنُقِهِ، وَجَعَلَ الشِّمَالُ مِنْ يَدَيْهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَيَتَنَاوَلُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَحْيَانًا، أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِشِمَائِلِهِمْ، وَأَحْيَانًا أَنَّهُمْ يُؤْتُونَهَا مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، وَيَنْحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ يَقُولُ: فَسَوْفَ يَنَادِي بِالْهَلَاكِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاثْبُورَاهُ، وَأَوْبِيْلَاهُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: دَعَا فُلَانٌ هَفَفَهُ: إِذَا قَالَ: وَالْهَفَفَاهُ، وَيَنْحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ الضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامِ: (وَيُصَلِّي) بِضَمِّ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يُصَلِّيهِمْ تَصَلِيَّةً بَعْدَ تَصَلِيَّةٍ، وَإِنْصَاحَةً بَعْدَ إِِنْصَاحَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وَاسْتَشْهَدُوا لِتَصْحِيحِ قِرَاءَتِهِمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ [الحاقة: ٣١]، وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَدَنِيِّينَ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿وَيَصَلِّي﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ،

بِمَعْنَى: أَتَمُّهُمْ يَصْلَوْنَهَا وَيَرُدُّونَهَا، فَيَخْتَرِقُونَ فِيهَا، وَاسْتَشْهَدُوا لِتَصْحِيحِ قِرَاءَتِهِمْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿بِصَلْوَتِهَا﴾ [إبراهيم: ٢٩]، وَ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ١٦٣].

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَتَمُّهَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَى، فَبَاتِيهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا مَسْرُورًا، لَمَا فِيهِ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرَ اللَّهِ، وَرُكُوبِهِ مَعَاصِيَهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَجُورَ بَلَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ظَنَّ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْنَا، وَلَنْ يُبْعَثَ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ يُبَالِي مَا رَكِبَ مِنَ الْمَأْثِمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى عِقَابًا؛ يُقَالُ مِنْهُ: حَارَ فُلَانٌ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ: إِذَا رَجَعَ عَنْهُ، وَمِنْهُ الْحَبْرُ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ» [أخرجه مسلم، برقم (١٣٤٣)]، يَعْنِي بِذَلِكَ: مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْكُفْرِ، بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: بَلَى لِيَحُورَنَّ وَلِيَرْتَجِعَنَّ إِلَى رَبِّهِ حَيًّا، كَمَا كَانَ قَبْلَ مَمَاتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: إِنَّ رَبَّ هَذَا الَّذِي ظَنَّ
أَنْ لَنْ يَحْجُرَ، كَانَ بِهِ بَصِيرًا، إِذْ هُوَ فِي الدُّنْيَا، بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِيهَا مِنَ الْمَعَاصِي،
وَمَا إِلَيْهِ يَصِيرُ أَمْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ﴾ ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا
أَسَقَ ١٨ لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقِ ١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا
يَسْجُدُونَ ﴿١٦﴾ [الانشقاق: ١٧-٢١]، وَهَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالشَّفَقِ، وَالشَّفَقُ:
الْحُمْرَةُ فِي الْأَفُقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الشَّمْسِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ وَاخْتَلَفَ
أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْحُمْرَةُ كَمَا قُلْنَا، وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ
جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ النَّهَارُ، قَالَه مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفَقُ: هُوَ اسْمٌ لِلْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ
الْأَضْدَادِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ
بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَاللَّيْلِ مُقْبِلًا، وَأَمَّا الشَّفَقُ الَّذِي مَحَلُّ بِهِ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّهُ
لِلْحُمْرَةِ عِنْدَنَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يَقُولُ: وَاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَ، مِمَّا سَكَنَ وَهَدَأَ فِيهِ
مِنْ ذِي رُوحٍ كَانَ يَطِيرُ، أَوْ يَدْبُ نَهَارًا، يُقَالُ مِنْهُ: وَسَقْتُهُ أَسَقْتُهُ وَسَقَا، وَمِنْهُ:
طَعَامٌ مَوْسُوقٌ، وَهُوَ الْمُجْمُوعُ فِي غَرَائِرٍ أَوْ وَعَاءٍ، وَمِنْهُ الْوَسْقُ، وَهُوَ الطَّعَامُ
الْمُجْتَمِعُ الْكَثِيرُ، مِمَّا يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ، يُقَالُ: هُوَ سِتُونَ صَاعًا، وَبِهِ جَاءَ الْخَبْرُ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَمَا سَاقَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي: وَمَا سَاقَ
الَلَّيْلُ مِنْ شَيْءٍ جَمَعَهُ النُّجُومُ، وَيُقَالُ: وَاللَّيْلُ وَمَا جَمَعَ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مَا
سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ، إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ سَاقَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَاوَاهُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَا
سَاقَ مَعَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ إِذَا أَقْبَلَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ يَقُولُ: وَبِالْقَمَرِ إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَى، وَبِنَحْوِ
الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ،
وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ اخْتَلَفَتِ الْقَرَاءُ فِي قِرَائِهِ، فَقَرَأَهُ عُمَرُ
بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابُهُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعَامَّةُ قُرَاءِ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ:
﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بِنِزَاجِ التَّاءِ وَالْبَاءِ، وَاخْتَلَفَ قَارِئُو ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً (١٨٣٢)، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
برقم (١٨٣٣) وإسناده ضعيف جداً، وحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أحمد في المسند
(١١٧٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٨٢)، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسِ
أَوَاقٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَالْوَسْقُ سِتُونَ
صَاعًا»، وضعف الألباني لفظ ابن ماجه وأحمد كما في ضعيف الجامع (٦١٥٧)، وصحح لفظ ابن
حبان كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥ / ٢٠٢)، برقم (٣٢٧١).

بَعْضُهُمْ: لَتَرْكَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ،
 قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَسَعِيدٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.
 وَقَالَ آخَرُونَ مِمَّنْ قَرَأَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ عُنِي بِذَلِكَ: لَتَرْكَبَنَّ
 أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَالْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ،
 وَمَسْرُوقٌ، وَالشَّعْبِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: لَتَرْكَبَنَّ الْآخِرَةَ بَعْدَ الْأُولَى، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.
 وَقَالَ آخَرُونَ مِمَّنْ قَرَأَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ: إِنَّهَا عُنِي بِذَلِكَ أَنَّهَا تَتَغَيَّرُ ضَرْوبًا مِنَ
 التَّغْيِيرِ، وَتُسْقَى بِالْعَمَامِ مَرَّةً، وَتَحْمَرُّ أُخْرَى، فَتَصِيرُ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ، وَتَكُونُ
 أُخْرَى كَالْمُهْلِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ.
 وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بِالتَّاءِ، وَبِصَمِّ
 الْبَاءِ، عَلَى وَجْهِ الْخِطَابِ لِلنَّاسِ كَافَّةً، أَنَّهُمْ يَرْكَبُونَ أَحْوَالَ الشَّدَّةِ حَالًا بَعْدَ
 حَالٍ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ بِالْيَاءِ، وَبِصَمِّ الْبَاءِ، عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنِ
 النَّاسِ كَافَّةً، أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ.

وَأَوْلَى الْقِرَاءَاتِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ وَيَفْتَحِ
 الْبَاءَ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنْ جَمِيعِهِمْ بِذَلِكَ وَرَدَ وَإِنْ كَانَ لِلْقِرَاءَاتِ
 الْأُخْرَى وَجُوهٌ مَفْهُومَةٌ، وَإِذَا كَانَ الصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا،
 فَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: (لَتَرْكَبَنَّ) أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ،
 وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوجَّهًا، جَمِيعُ النَّاسِ، أَمَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا، وَإِنَّمَا قُلْنَا: عُنِيَ بِذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا، أَنَّ الْكَلَامَ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ جَرَى بِخَطَابِ الْجَمِيعِ، وَكَذَلِكَ بَعْدَهُ، فَكَانَ أَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: وَقَعَ فُلَانٌ فِي بَنَاتِ طَبِقٍ: إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَلَا يُقَرُّونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِأَنَّهُمْ رَاكِبُونَ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ، مَعَ مَا قَدْ عَايَنُوا مِنْ حُجَجِهِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمْ كِتَابُ رَبِّهِمْ لَا يَخْضَعُونَ وَلَا يَسْتَكِينُونَ؛ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى السُّجُودِ قَبْلَ بِشَوَاهِدِهِ، فَأَعْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ ٢٢ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَنَشَرَهُمْ بَعْدَابِ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥ ﴿[الانشقاق: ٢٢-٢٥].

قَوْلُهُ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَتَنْزِيلِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُوعِيهِ صُدُورُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ التَّكْذِيبِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقْتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: "الْمَرْءُ يُوعِي مَتَاعَهُ وَمَالَهُ هَذَا فِي هَذَا، وَهَذَا فِي هَذَا، هَكَذَا يَعْرِفُ اللَّهُ مَا يُوعُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ مِمَّا تُوعِيهِ قُلُوبُهُمْ، وَيَجْتَمِعُ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، فَالْقُلُوبُ وَعَاءُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَلَقَدْ وَعَى لَكُمْ مَا لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَا هُوَ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُدْخِلُوا عَلَى مَكَارِمِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بَعْضَ هَذِهِ الْخُبْثِ مَا يُفْسِدُهَا".

وَقَوْلُهُ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ، بِعَذَابٍ أَلِيمٍ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مُوجِعٍ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَقُولُ: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْهُمْ وَصَدَّقُوا، وَأَقْرُوا بِتَوْحِيدِهِ، وَبُؤَةِ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَقُولُ: وَأَدُّوا فَرَائِضَ اللَّهِ، وَاجْتَنَبُوا رُكُوبَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رُكُوبَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثَوَابٌ غَيْرٌ مُحْسُوبٌ وَلَا مَنقُوصٌ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

□

سُورَةُ الْبُرُوجِ

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢﴾ وَشَاهِدِ

وَمَشْهُودِ ۝٣﴾ قِيلَ اتَّخَذَ الْأَخْذُودَ ۝٤﴾ التَّارِذَاتِ الْوُقُودِ ۝٥﴾ [الروح: ١-٥].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أَقْسَمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْبُرُوجِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْقُصُورِ. قَالُوا: وَالْبُرُوجُ: الْقُصُورُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قُصُورٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ غَيْرُهُ: بَلْ هِيَ الْكَوَاكِبُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ النُّجُومِ، وَقَالُوا: نُجُومُهَا: بُرُوجُهَا، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو نَجِيحٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّمْلِ وَالْمَاءِ، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبُرُوجَ جَمْعُ بُرْجٍ، وَهِيَ مَنَازِلٌ تَتَّخِذُ عَالِيَةً عَنِ الْأَرْضِ مُرْتَفِعَةً، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾

[النساء: ٧٨] مَنَازِلُ مُرْتَفَعَةٌ عَالِيَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، فَمَسِيرُ الْقَمَرِ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا يَوْمَانِ وَثُلُثٌ، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلًا، ثُمَّ يَسْتَسِيرُ لَيْلَتَيْنِ، وَمَسِيرُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا شَهْرٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَقْسِمُ بِالْيَوْمِ الَّذِي وَعَدْتُهُ عِبَادِي، لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَهْلُ التَّوِيلِ، وَجَاءَ الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ»^(١).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَيُونُسُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَأَقْسِمُ بِشَاهِدٍ، قَالُوا: وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَشْهُودٍ، قَالُوا: وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَيُونُسُ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ، وَعَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ.

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٣٩)، وقال: "هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ وضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه"، وأحمد في المسند، برقم (٧٩٧٣)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٨٢٠١).

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ مُجَاهِدٌ،
وَأَبْنُ أَبِي نَجِيحٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، قَالَ عِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ اللهُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: يَوْمُ الْأَضْحَى، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، قَالَ
الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّاهِدُ: يَوْمُ الْأَضْحَى، وَالْمَشْهُودُ، يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَ عَنِ
ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِشَاهِدٍ شَهِدَ،
وَمَشْهُودٍ شَهِدَ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا مَعَ إِفْسَامِهِ بِذَلِكَ أَيَّ شَاهِدٍ وَأَيَّ مَشْهُودٍ أَرَادَ،
وَكُلُّ الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا: هُوَ الْمَعْنِيُّ مِمَّا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ ﴿شَاهِدٍ
وَمَشْهُودٍ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ يَقُولُ: لِعِنَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَكَانَ
بَعْضُهُمْ يَقُولُ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنِ النَّارِ
أَنَّهَا قَتَلَتْهُمْ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: قَوْمٌ كَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ مِنْ بَقَايَا الْمُجُوسِ، قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: "﴿قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: يَعْنِي الْقَاتِلِينَ الَّذِينَ قَتَلُوهُمْ يَوْمَ قُتِلُوا"، وَقَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ: "هُم نَاسٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، خَدُّوا أُخْدُودًا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهَا نَارًا، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ الْأُخْدُودِ رِجَالًا وَنِسَاءً، فَعَرَضُوا عَلَيْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ".

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ شُقُوقٌ فِي الْأَرْضِ بِنَجْرَانَ، كَانُوا يُعَذِّبُونَ فِيهَا النَّاسَ".

وَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَآتَى السَّاحِرُ الْمَلِكَ، فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجْلِي، فَادْفَعْ لِي غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ؛ قَالَ: فَادْفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ السَّحْرَ، قَالَ: فَكَانَ الْغُلَامُ يَخْتَلِفُ إِلَى السَّاحِرِ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ؛ قَالَ فَكَانَ الْغُلَامُ إِذَا مَرَّ بِالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ، فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ، فَأَعْجِبَ بِكَلَامِهِ، فَكَانَ الْغُلَامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلَكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ فِي طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لَا تَدْعُهُمْ يَجُوزُونَ؛ فَقَالَ الْغُلَامُ: الْآنَ أَعْلَمُ أَمْرَ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ أَمْ أَمْرَ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجْرًا، قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجْرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ

وَيَمُرُّ النَّاسُ. قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ؛ قَالَ:
وَأَتَاهُ الْغُلَامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلَامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِنِ ابْتُلِيتُ فَلَا تَدْلَنَّ
عَلَيَّ؛ قَالَ: وَكَانَ الْغُلَامُ، يُرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ؛ وَكَانَ
لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِي؛ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلَامًا يُرِيءُ الْأَكْمَهَ
وَالْأَبْرَصَ، وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايَا؛ قَالَ: ثُمَّ أَتَاهُ
فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِ أَبْرَأْتُنِي فَهَذِهِ الْهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَبِيبٍ
يَشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيكَ؛ قَالَ: فَأَمَّنَ
الْأَعْمَى، فَدَعَا اللَّهَ فَشَفَاهُ، فَفَعَدَ الْأَعْمَى إِلَى الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَمَنْ شَفَاكَ؟ قَالَ: رَبِّي؛ قَالَ:
وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ؛ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ فَقَالَ:
لَتَدْلَنِّي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا، قَالَ: فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَدَعَا الْغُلَامَ فَقَالَ:
ارْجِعْ عَن دِينِكَ، قَالَ: فَأَبَى الْغُلَامُ؛ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ؛ قَالَ: فَدَلَّ عَلَى
الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبَ، فَقَالَ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى؛ قَالَ: فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ
عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْضَ، قَالَ: وَأَخَذَ الْأَعْمَى فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ
لَأَقْتُلَنَّكَ؛ قَالَ: فَأَبَى الْأَعْمَى، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ
الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لَأَقْتُلَنَّكَ؛ قَالَ: فَأَبَى؛ قَالَ: فَقَالَ:
اذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا بِهِ ذُرْوَةَ الْجَبَلِ، فَإِنِ رَجَعَ عَن دِينِهِ، وَإِلَّا فَدَهْدُهُوهُ،

فَلَمَّا بَلَغُوا بِهِ ذُرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَا تَوَا كُلُّهُمْ، وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمْ اللَّهُ قَالَ: فَادْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَعَرِّقُوهُ قَالَ: فَادْهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ قَالَ الْغُلَامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَاكْفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ. وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَ الْمَلِكُ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟

فَقَالَ: دَعَوْتُ اللَّهَ فَكَفَانِيهِمْ، قَالَ لَا أَقْتَلَنَّكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَصْنَعَ مَا أَمُرُكَ، قَالَ: فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعْ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اضْلُبْنِي، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَارْمِنِي وَقُلْ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي؛ قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ قَالَ: وَصَلْبُهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: بِاسْمِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ الْغُلَامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ، وَمَاتَ الْغُلَامُ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ، الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكِّ فَأَخَذَتْ، وَخَدَّ الْأُخْدُودَ وَضَرَمَ فِيهِ النَّيْرَانَ، وَأَخَذَهُمْ وَقَالَ: إِنْ رَجَعُوا وَإِلَّا فَالْقُوهُمْ فِي النَّارِ؛ قَالَ: فَكَانُوا يُلْقَوْنَهُمْ فِي النَّارِ؛ قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ

وَجَدْتُ حَرَ النَّارِ، فَكَصَّصْتُ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا صَبِيهَا يَا أُمَّاهُ، امْضِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ»^(١).

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الَّذِينَ أَحْرَقْتَهُمُ النَّارُ هُمُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ، قَالَه الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

وَاخْتَلَفَ فِي مَوْضِعِ جَوَابِ الْقَسَمِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَوَابُهُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّيِ الْبَصْرَةِ: مَوْضِعُ قَسَمِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ، عَلَى قَتْلِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، أَضْمَرَ اللَّامَ كَمَا قَالَ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] يُرِيدُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ: لَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، فَأَلْقَى اللَّامَ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ عَلَى التَّقْدِيمِ، كَأَنَّهُ قَالَ: (قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ).

وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّيِ الْكُوفَةِ: يُقَالُ فِي التَّفْسِيرِ: إِنْ جَوَابَ الْقَسَمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَتِلَ﴾ كَمَا كَانَ قَسَمُ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشمس: ٩] هَذَا فِي التَّفْسِيرِ قَالُوا: وَلَمْ نَجِدِ الْعَرَبَ تَدْعُ الْقَسَمَ بِغَيْرِ لَامٍ يُسْتَقْبَلُ بِهَا أَوْ لَا أَوْ إِنْ أَوْ مَا، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَكَأَنَّهُ مِمَّا تَرَكَ فِيهِ الْجَوَابُ، ثُمَّ اسْتَوْفَرَ مَوْضِعَ الْجَوَابِ بِالْخَبَرِ، كَمَا قِيلَ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ.

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: جَوَابُ الْقَسَمِ فِي ذَلِكَ مَتْرُوكٌ، وَالْحَبْرُ مُسْتَأْنَفٌ؛ لِأَنَّ عِلْمَ جَوَابِ الْقَسَمِ لَا تَحْدِثُهَا الْعَرَبُ مِنْ الْكَلَامِ إِذَا أَجَابَتْهُ، وَأَوَّلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ لَعْنِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ الَّذِينَ أَلْقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْأَخْدُودِ، وَإِنَّمَا قُلْتُ: ذَلِكَ أَوَّلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ لِلَّذِي ذَكَرْنَا عَنْ الرَّبِيعِ مِنَ الْعِلَّةِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابَ الْحَرِيقِ مَعَ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا أُحْرِقُوا فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ ﴿وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] مَعْنَى مَفْهُومٌ، مَعَ إِخْبَارِهِ أَنَّ لَهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ هُوَ عَذَابُ الْحَرِيقِ مَعَ سَائِرِ أَنْوَاعِ عَذَابِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَالْأَخْدُودُ: الْحُفْرَةُ تُحْفَرُ فِي الْأَرْضِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ فَقَوْلُهُ النَّارِ: رُدَّ عَلَى الْأَخْدُودِ، وَلِذَلِكَ خُفِضَتْ، وَإِنَّمَا جَازَ رَدُّهَا عَلَيْهِ وَهِيَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِيهِ، فَكَأَنَّهَا إِذْ كَانَتْ فِيهِ هُوَ، فَجَرَى الْكَلَامُ عَلَيْهِ لِمَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ بِمَعْنَاهُ وَكَأَنَّهُ قِيلَ: قُتِلَ أَصْحَابُ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ذَاتِ الْحَطَبِ الْجَزْلِ، وَذَلِكَ إِذَا فُتِحَتِ الْوَأْوُ، فَأَمَّا الْوُقُودُ بِضَمِّ الْوَأْوِ، فَهُوَ الْإِتْقَادُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَرَعَلَيْهَا تُعُودُ﴾ ٦ ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ [البروج: ٦-٨] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ، إِذْ هُوَ لَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ عَلَيْهَا، يَعْنِي عَلَى النَّارِ، فَقَالَ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ تُعُودُ عَلَى حَافَةِ الْأَخْدُودِ، فَقِيلَ: عَلَى النَّارِ،

وَالْمُعْنَى: لِشَفِيرِ الْأُخْدُودِ، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ، وَكَانَ قِتَادَةٌ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ:
 ﴿النَّارِذَاتِ الْوُفُودِ ۗ إِذْ هُرِّعْنَ عَلَيْهَا قُوعُودٌ ۗ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ."

وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي تَأَوَّلَهُ قِتَادَةٌ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ قَالَ: قُتِلَ أَصْحَابُ
 الْأُخْدُودِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَى أَنَّ الصَّوَابَ مِنْ تَأْوِيلِ ذَلِكَ غَيْرُ
 هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ قِتَادَةٌ قَبْلُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يَعْنِي: حُضُورٌ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا
 قَالَ قِتَادَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى
 ذِكْرُهُ: وَمَا وَجَدَ هُوَ لِأَيِّ الْكُفَّارِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 بِالنَّارِ فِي شَيْءٍ، وَلَا فَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا بِسَبَبِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ،
 وَقَالَ: إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى إِلَّا إِيْمَانَهُمْ بِاللَّهِ، فَلِذَلِكَ حَسَنَ فِي
 مَوْضِعِهِ يُؤْمِنُوا، إِذْ كَانَ الْإِيْمَانُ لَهُمْ صِفَةً.

﴿الْعَزِيزِ﴾ يَقُولُ: الشَّدِيدُ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ انْتَقَمَ مِنْهُ، ﴿الْحَمِيدِ﴾ يَقُولُ:
 الْمُحْمُودُ بِإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 شَهِيدٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَتَوَبُّوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾
 [البروج: ٩-١٠] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
 وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ عَلَى فِعْلِهِ هُوَ لَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ فَتَنُوهُمْ شَاهِدٌ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ وَأَفْعَالِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ جَزَاءَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ ابْتَلَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِاللَّهِ بِتَعْدِيهِمْ، وَإِحْرَاقِهِمْ بِالنَّارِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ، وَابْنُ أَبِي زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يَقُولُ: ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَفِعْلِهِمْ الَّذِي فَعَلُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ أَجْلِ إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ فِي الدُّنْيَا، قَالَ الرَّبِيعُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البُرُوجُ: ١١-١٢] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ أَقْرَأُوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَهُمْ هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ حَرَقَهُمْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَقُولُ: وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتَّمَرُوا لِأَمْرِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا مَنَاهُمْ عَنْهُ.

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يَقُولُ: لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ بَسَاتِينَ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالْحَمْرُ وَاللَّبَنُ وَالْعَسَلُ.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي هُوَ هُوَ لَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، هُوَ الظَّفَرُ الْكَبِيرُ بِمَا طَبُّوا وَالتَّمَسُّوا بِإِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَمَلِهِمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِيهَا وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ لَنْ بَطْشَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ انْتِقَامُهُ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ لَشَدِيدٍ، وَهُوَ تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ لِقَوْمِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُحِلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ، نَظِيرَ الَّذِي حَلَّ بِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَفِتْنَتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ﴾ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ ﴿١٨﴾ [البروج: ١٣-١٨]، اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ أَبَدَى خَلْقَهُ، فَهُوَ يَبْدِئُ، بِمَعْنَى: يُحْدِثُ خَلْقَهُ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يُمَيِّتُهُمْ، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، كَهَيْئَتِهِمْ ﴿قَبْلَ مَمَاتِهِمْ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ الْعَذَابَ وَيُعِيدُهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهَهُمَا بِظَاهِرِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَنَّهُ يُبَدِّئُ الْعَذَابَ لِأَهْلِ

الْكُفْرِ بِهِ وَيُعِيدُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ فِي الدُّنْيَا، فَأَبْدَأَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يُعِيدُهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا قُلْتُ: هَذَا أَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَتَّبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ فَكَانَ لِلْبَيَانِ عَنْ مَعْنَى شِدَّةِ بَطْشِهِ الَّذِي قَدْ ذَكَرَهُ قَبْلَهُ، أَشْبَهَ بِهِ بِالْبَيَانِ عَمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرُهُ؛ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قُلْنَا مِنْ ذَلِكَ وَضُوحًا وَصِحَّةً، قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغُفُورُ الْوَدُودُ﴾ فَبَيَّنَ ذَلِكَ عَنْ أَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ ذِكْرِ خَبْرِهِ عَنْ عَذَابِهِ وَشِدَّةِ عِقَابِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغُفُورُ الْوَدُودُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَهُوَ ذُو الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَذُو الْمَحَبَّةِ لَهُ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ذُو الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿الْمَجِيدُ﴾ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالْبَصْرَةَ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ رَفْعًا، رَدًّا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ عَلَى أَنَّهُ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ خَفْضًا، عَلَى أَنَّهُ مِنْ صِفَةِ الْعَرْشِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَمَّهِنَّ قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، فَبِأَيَّتِهِنَّ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ يَقُولُ: هُوَ غَفَّارٌ لِدُنُوبٍ مِّنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا تَابَ وَأَنَابَ مِنْهَا، مُعَاقِبٌ مِّنْ أَصَرَ عَلَيْهَا وَأَقَامَ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِّنْ فِعْلٍ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ حَائِلٌ؛ لِأَنَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ الْجُنُودِ، الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِأَذَاهُمْ وَمَكْرُوهِهِمْ؛ يَقُولُ: قَدْ أَتَاكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَهُ، فَاصْبِرْ لِأَذَى قَوْمِكَ إِيَّاكَ، لِمَا نَالُوكَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهِهِ، كَمَا صَبَرَ الَّذِينَ تَجَنَّدَ هَؤُلَاءِ الْجُنُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ رُسُلِي، وَلَا يُنْبِئِكَ عَنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَتِي، كَمَا لَمْ يُنْبِئِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَى هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ مَنْ لَمْ يُصَدِّقْ وَيُؤْمِنْ بِكَ مِنْهُمْ إِلَى عَطَبٍ وَهَلَاكِ، كَالَّذِي كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُنُودِ، ثُمَّ بَيَّنَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْجُنُودِ مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ يَقُولُ: فِرْعَوْنٌ، فَاجْتَرَى بِذِكْرِهِ، إِذْ كَانَ رَئِيسَ جُنْدِهِ، مِنْ ذِكْرِ جُنْدِهِ وَتَبَاعِهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَثَمُودَ؛ وَخَفَضَ فِرْعَوْنَ رَدًّا عَلَى الْجُنُودِ، عَلَى التَّرْجِمَةِ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا فُتِحَ لِأَنَّهُ لَا يُجْرَى وَثَمُودُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ﴾ (١١) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ

هُوَ قَوْلُهُ أَنْ يُحِيدَ (١١) فِي لَوْجِ مَحْفُوظٍ (١٢) ﴿البروج: ١٩-٢٢﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا يَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِوَعِيدِ اللَّهِ، أَتَمُّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ
 أَنْبَاءٌ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ اللَّهِ، كَفَرَعُونَ وَقَوْمِهِ، وَثَمُودَ
 وَأَشْكَالَهُمْ، وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ النَّقَمِ، بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ، وَلَكِنَّهُمْ فِي
 تَكْذِيبِ بَوْحِي اللَّهِ وَتَنْزِيلِهِ، إِيْثَارًا مِنْهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ لَسُنَنِ
 آبَائِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ بِأَعْمَالِهِمْ، مُحْصٍ لَهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا
 شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ يَقُولُ، تَكْذِيبًا مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْقَائِلِينَ لِلْقُرْآنِ
 هُوَ شِعْرٌ وَسَجْعٌ: مَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَسَعِيدٌ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ، مُثَبَّتٌ فِي
 لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.

وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿مَحْفُوظٌ﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ مَنْ قَرَأَهُ مِنْ أَهْلِ
 الْحِجَازِ، أَبُو جَعْفَرٍ الْقَارِيُّ، وَأَبْنُ كَثِيرٍ. وَمَنْ قَرَأَهُ مِنْ قُرَاءِ الْكُوفَةِ عَاصِمٌ
 وَالْأَعْمَشُ وَحَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ، وَمِنَ الْبَصْرِيِّينَ أَبُو عَمْرٍو ﴿مَحْفُوظٌ﴾ خَفْضًا
 عَلَى مَعْنَى أَنَّ اللَّوْحَ هُوَ الْمُنْعُوتُ بِالْحِفْظِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ التَّأْوِيلُ
 فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ، وَالنَّقْصَانِ مِنْهُ، عَمَّا أَثَبَّتَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ
 مِنَ الْمَكِّيِّينَ ابْنُ مُحْيِصِنٍ، وَمِنَ الْمَدِينِيِّينَ نَافِعٌ (مَحْفُوظٌ) رَفْعًا، رَدًّا عَلَى الْقُرْآنِ،
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَعْتِهِ وَصِفَتِهِ، وَكَانَ مَعْنَى ذَلِكَ عَلَى قِرَاءَتَيْهَا: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ،
 مَحْفُوظٌ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِي لَوْحٍ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ
 الْأَمْصَارِ، صَحِيحَتَا الْمَعْنَى، فَبِأَيْتِهِنَّ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
 كَذَلِكَ، فَبِأَيِّ الْقِرَاءَتَيْنِ قَرَأَ الْقَارِئُ فَتَأْوِيلُ الْقِرَاءَةِ الَّتِي يَفْرُؤُهَا عَلَى مَا بَيْنَنَا،
 قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي لَوْحٍ﴾: فِي أُمَّ الْكِتَابِ"، وَقَالَ قَتَادَةُ: عِنْدَ اللَّهِ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا قِيلَ مُحْفُوظٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جِبْهَةِ إِسْرَافِيلَ، قَالَه أَنَسُ بْنُ
 مَالِكٍ.

□

سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سَبْعٌ عَشْرَةٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ إِنَّ
كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيَهَا حَافِظٌ ٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾
إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠﴾ [الطارق: ١ - ١٠].

أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالسَّمَاءِ وَبِالطَّارِقِ الَّذِي يَطْرُقُ لَيْلًا مِنَ النُّجُومِ الْمُضِيئَةِ، وَيَخْفَى
نَهَارًا، وَكُلُّ مَا جَاءَ لَيْلًا فَقَدْ طَرَقَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقِتَادَةُ،
وَالضَّحَّاكُ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الطَّارِقُ الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ،
فَقَالَ: هُوَ النَّجْمُ الثَّاقِبُ، يَعْنِي: يَتَوَقَّدُ ضِيَاؤُهُ وَيَتَوَهَّجُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقِتَادَةُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ:
"النَّجْمُ الثَّاقِبُ": كَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّي الثُّرَيَّا النَّجْمَ، وَيُقَالُ: إِنَّ الثَّاقِبَ
النَّجْمَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ زُحَلٌ. وَالثَّاقِبُ أَيضًا: الَّذِي قَدِ ارْتَفَعَ عَلَى النُّجُومِ،
وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلطَّائِرِ. إِذَا هُوَ لَحِقَ بِبَطْنِ السَّمَاءِ ارْتِفَاعًا: قَدِ ثَقَبَ، وَالْعَرَبُ
تَقُولُ: أَثَقَبَ نَارَكَ: أَيَّ أَضْهَاهَا".

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ اِخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَهُ مِنْ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ أَبُو جَعْفَرٍ، وَمِنْ قُرَاءِ الْكُوفَةِ حَمَزَةٌ ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَذَكَرَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرُؤُهَا: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ مُشَدَّدَةً، وَيَقُولُ: «إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ، وَهَكَذَا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ بِالتَّثْقِيلِ»، وَقَرَأَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نَافِعٌ.

وَمِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَبُو عَمْرٍو: (لَمَّا) بِالتَّخْفِيفِ، بِمَعْنَى: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَعَلَّيْهَا حَافِظٌ، وَعَلَى أَنَّ اللَّامَ جَوَابٌ إِنْ وَمَا الَّتِي بَعْدَهَا صِلَةٌ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَشْدِيدٌ.

وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي لَا اخْتَارَ غَيْرَهَا فِي ذَلِكَ: التَّخْفِيفُ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَقَدْ أَنْكَرَ التَّشْدِيدَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، غَيْرَ أَنَّ الْقُرَاءَةَ كَانَ يَقُولُ: لَا نَعْرِفُ جِهَةَ التَّثْقِيلِ فِي ذَلِكَ، وَنَرَى أَنَّهَا لُغَةٌ مِنْ هُدَيْلٍ، يَجْعَلُونَ إِلَّا مَعَ إِنْ الْمُخَفَّفَةَ لَمَّا، وَلَا يُجَاوِزُونَ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا مَا ذَكَرَ الْقُرَاءُ، مِنْ أَنَّهَا لُغَةٌ هُدَيْلٍ، فَالْقِرَاءَةُ بِهَا جَائِزَةٌ صَحِيحَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْإِخْتِيَارُ أَيْضًا إِذَا صَحَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا، الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى، وَهِيَ التَّخْفِيفُ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ الْأَعْرَفُ إِلَى الْأَنْكَرِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: قَرَأْتُ عِنْدَ ابْنِ سِيرِينَ: (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) فَانْكِرَهُ، وَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ " فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: إِذَنْ: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَعَلَّيْهَا حَافِظٌ مِنْ رَبِّهَا، يَحْفَظُ عَمَلَهَا، وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْسِبُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ): كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَفِظَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: حَفِظَةٌ يَحْفَظُونَ عَمَلَكَ وَرِزْقَكَ وَأَجَلَكَ إِذَا تَوَفَّيْتَهُ يَا ابْنَ آدَمَ قَبِضْتَ إِلَى رَبِّكَ".

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ الْمُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، الْمُنْكَرُ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ يَقُولُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ؟ ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَمَّا خَلَقَهُ مِنْهُ، فَقَالَ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ يَعْنِي: مِنْ مَاءٍ مَدْفُوقٍ، وَهُوَ مِمَّا أَخْرَجْتَهُ الْعَرَبُ بِلَفْظِ فَاعِلٍ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، سُكَّانُ الْحِجَازِ إِذَا كَانَ فِي مَذْهَبِ النَّعْتِ، كَقَوْلِهِمْ: هَذَا سِرٌّ كَاتِمٌ، وَهَمٌّ نَاصِبٌ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يَقُولُ: يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ مِنْهُمَا، كَمَا يُقَالُ: سَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، بِمَعْنَى يُخْرَجُ مِنْهُمَا، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى التَّرَائِبِ وَمَوْضِعِهَا،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنْ صَدْرِ الْمَرْأَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَعِكْرَمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو عِيَّاضٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: التَّرَائِبُ: مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ وَالصَّدرِ، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَالَ
سُفْيَانٌ: "الصُّلْبُ لِلرَّجُلِ، وَالتَّرَائِبُ لِلْمَرْأَةِ، وَالتَّرَائِبُ فَوْقَ الثَّدْيَيْنِ".

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ وَالْعَيْنَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ، أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَنَحْرِهِ، قَالَ
قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْأَضْلَاعُ الَّتِي أَسْفَلَ الصُّلْبِ، قَالَ سَعِيدٌ.
وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ عَصَارَةُ الْقَلْبِ، قَالَ مَعْمَرُ بْنُ أَبِي حَسِبَةَ الْمَدِينِيِّ.
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ
مِنَ الْمَرْأَةِ، حَيْثُ تَقَعُ عَلَيْهِ مِنْ صَدْرِهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ
الْعَرَبِ، وَبِهِ جَاءَتْ أَشْعَارُهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي خَلَقَكُمْ
أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ، فَجَعَلَكُمْ بَشَرًا سَوِيًّا، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مَاءً
مَدْفُوقًا، عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَاءِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ:
﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ عَلَى مَا هِيَ عَائِدَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَاءِ،

وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى رَدِّ النُّطْفَةِ فِي الْمَوْضِعِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ ﴿لِقَادِرٌ﴾، قَالَه عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُ عَلَى رَدِّ الْإِنْسَانِ مَاءً كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَهُ مِنْهُ، قَالَه الضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُ عَلَى حَبْسِ ذَلِكَ الْمَاءِ لِقَادِرٌ، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَجْعِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَالِ الْكِبَرِ إِلَى حَالِ الصَّغَرِ، قَالَ الضَّحَّاكُ: إِنَّ شَيْئًا رَدَدْتُهُ مِنَ الْكِبَرِ إِلَى الشَّبَابِ، وَمِنْ الشَّبَابِ إِلَى الصَّبَا، وَمِنْ الصَّبَا إِلَى النُّطْفَةِ، وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَكُونُ الْمَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ مِنْ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ.

وَقَالَ آخَرُونَ يَمُنُّ زَعَمٌ أَنَّ الْمَاءَ لِلْإِنْسَانِ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ لِقَادِرٌ، قَالَه قَتَادَةُ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى رَدِّ الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ حَيًّا، كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ لِقَادِرٌ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، لِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ فَكَانَ فِي إِتْبَاعِهِ قَوْلُهُ ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ﴾ نَبَأٌ مِنْ أَنْبَاءِ الْقِيَامَةِ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السَّابِقَ قَبْلَهَا أَيْضًا مِنْهُ، وَمِنْهُ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّهُ عَلَى إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ لِقَادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ؛ فَالْيَوْمُ مِنْ صِفَةِ الرَّجْعِ؛ لِأَنَّ

المعنى: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ لَقَادِرٌ، وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يَوْمَ تُخْتَبَرُ سَرَائِرُ الْعِبَادِ، فَيُظْهَرُ مِنْهَا يَوْمٌ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مُسْتَخْفِيًّا عَنْ أَعْيُنِ الْعِبَادِ، مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَانَ اللَّهُ أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا، وَكَلَّفَهُ الْعَمَلَ بِهَا.

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَقَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَمَا لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ مِنْ قُوَّةٍ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَأَلِيمِ نِكَالِهِ، وَلَا نَاصِرٍ يَنْصُرُهُ، فَيَسْتَنْقِذُهُ مِمَّنْ نَالَهُ بِمَكْرُوهِهِ، وَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَرْجِعُ إِلَى قُوَّةٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ، يَمْتَنِعُ بِهِمْ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ، وَنَاصِرٍ مِنْ حَلِيفٍ يَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ وَاضْطَهَدَهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ وَقَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّلْوَعِ ۝﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلِ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ ۱٤ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ ۱٥ ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ ۱٦ ۝ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنَا الْوَاحِدُ ۝ ۱٧ ۝﴾ [الطارق: ١١ - ١٧].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ تَرْجِعُ بِالْغَيْومِ وَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ كُلِّ عَامٍ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ شَمْسَهَا وَقَمَرَهَا يَغِيبُ وَيَطْلُعُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ بِالنَّبَاتِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ وَهَذَا الْخَبَرَ لَقَوْلُ فَضْلٍ: يَقُولُ: لَقَوْلُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بَيَانَهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْهُمْ فِي الْعِبَارَةِ عَنْهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَوْلُ حَقٌّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَوْلُ حُكْمٌ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ يَقُولُ: وَمَا هُوَ بِاللَّعِبِ وَلَا الْبَاطِلِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ يَمْكُرُونَ مَكْرًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ يَقُولُ: وَأَمْكُرُ مَكْرًا؛ وَمَكْرُهُ جَلٌّ تَنَاوُهُ بِهِمْ: إِمْلَاؤُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَهَّلْ يَا مُحَمَّدُ الْكَافِرِينَ وَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ.

﴿أَمِهْلُهُمْ رُؤِيدًا﴾ يَقُولُ: أَمِهْلُهُمْ أَنَا قَلِيلًا، وَأَنْظِرْهُمْ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي هُوَ وَقْتُ حُلُولِ النِّقْمَةِ بِهِمْ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

سُورَةُ الْأَعْلَى
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ عَشْرَةٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سُنْفُرْتُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) ﴿ [الأعلى: ١-٧]، اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال بعضهم: معناه: عظم ربك الأعلى، لا رب أعلى منه وأعظم، وكان بعضهم إذا قرأ ذلك قال: سبحان ربي الأعلى، و كان ابن عمر يقرأ: " (سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى) ويقول: وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك ".

وقرأ علي رضي الله عنه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال: سبحان ربي الأعلى".

وابن عباس، كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ يقول: سبحان ربي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١] فأتى على آخرها ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] يقول: سبحانك اللهم وبلى".

وَقَالَ قَتَادَةَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى^(١).

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: نَزَّهُ يَا مُحَمَّدُ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، أَنْ تُسَمِّيَ بِهِ شَيْئًا سِوَاهُ، يَنْهَاهُ بِذَلِكَ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، مِنْ تَسْمِيَتِهِمْ آهَتَهُمْ بَعْضَهَا اللَّاتَ وَبَعْضَهَا الْعُزَّى. وَقَالَ غَيْرُهُمْ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: نَزَّهُ اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وَقَالُوا: مَعْنَى ذَلِكَ: سَبَّحَ رَبَّكَ الْأَعْلَى؛ قَالُوا: وَلَيْسَ الْإِسْمُ مَعْنِيًّا. وَقَالَ آخَرُونَ: نَزَّهُ تَسْمِيَتِكَ يَا مُحَمَّدُ رَبَّكَ الْأَعْلَى وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ، أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا وَأَنْتَ لَهُ خَاشِعٌ مُتَدَلِّلٌ؛ قَالُوا وَإِنَّمَا عُنِيَ بِالْإِسْمِ: التَّسْمِيَةُ، وَلَكِنْ وُضِعَ الْإِسْمُ مَكَانَ الْمُصَدَّرِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: صَلِّ بِذِكْرِ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي بِذَلِكَ: صَلِّ وَأَنْتَ لَهُ ذَاكِرٌ، وَمِنْهُ وَجَلَّ خَائِفٌ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: نَزَّهُ اسْمَ رَبِّكَ أَنْ تَدْعُوَ بِهِ الْأَلْهَةَ وَالْأَوْثَانَ، لِمَا ذَكَرْتُ مِنَ الْأَخْبَارِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

(١) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: "مرسل عن قتادة، أخرجه ابن جرير. ورجاله رجال الشيخين،

ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً؛ أنه كان يقول ذلك، وسنده صحيح على شرطها".

انظر: أصل صفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١ / ٤٠٨)، حاشية.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَرَأُوا ذَلِكَ قَالُوا: سُبْحَانَ رَبِّيَ
 الْأَعْلَى، فَيَبِينُ بِذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مَعْلُومًا: عَظُمَ اسْمُ رَبِّكَ، وَنَزَّهَهُ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ يَقُولُ: الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَسَوَّى خَلْقَهَا
 وَعَدَّلَهَا؛ وَالتَّسْوِيَةُ: التَّعْدِيلُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِي قَدَّرَ خَلْقَهُ
 فَهَدَى. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى الَّتِي عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَهَدَى﴾، فَقَالَ
 بَعْضُهُمْ: هَدَى الْإِنْسَانَ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْبَهَائِمَ لِلْمَرَاتِعِ، قَالَه مُجَاهِدٌ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: هَدَى الذُّكُورَ لِمَاتَى الْإِنَاثِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا
 الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ فِيمَا مَضَى. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّ اللَّهَ عَمَّ
 بِقَوْلِهِ ﴿فَهَدَى﴾ الْخَبَرَ عَنْ هِدَايَتِهِ خَلْقَهُ، وَلَمْ يُحْصِصْ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى دُونَ
 مَعْنَى، وَقَدْ هَدَاهُمْ لِسَبِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهَدَى الذُّكُورَ لِمَاتَى الْإِنَاثِ، فَالْخَبَرُ
 عَلَى عُمُومِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ خَبَرٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ، دَالٌّ عَلَى خُصُوصِهِ. وَاجْتَمَعَتْ
 قُرَاءَةُ الْأَمْصَارِ عَلَى تَشْدِيدِ الدَّالِّ مِنْ قَدَرٍ، غَيْرِ الْكِسَائِيِّ فَإِنَّهُ خَفَّفَهَا،
 وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ التَّشْدِيدُ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ يَقُولُ: وَالَّذِي أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ
 مَرْعَى الْأَنْعَامِ، مِنْ صُنُوفِ النَّبَاتِ وَأَنْوَاعِ الْحَشِيشِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ
 أَبُو رَزِينٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الْمُرْعَى غُثَاءً، وَهُوَ مَا جَفَّ مِنَ النَّبَاتِ وَيَبَسَ، فَطَارَتْ بِهِ الرِّيحُ؛ وَإِنَّمَا عَنِي بِهِ هَاهُنَا أَنَّهُ جَعَلَهُ هَشِيمًا يَابَسًا مُتَغَيِّرًا إِلَى الْحَوَّةِ، وَهِيَ السَّوَادُ، مِنَ الْبَيَاضِ أَوْ الْخُضْرَةِ، مِنْ شِدَّةِ الْيُبْسِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُوَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمُرْعَى أَحْوَى: أَيِ أَخْضَرَ إِلَى السَّوَادِ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَعْتَلُّ لِقَوْلِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِ ذِي الرَّمَّةِ:

حَوَاءٌ قَرَحَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَّتْ *** فِيهَا الذَّهَابُ وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ

وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَدْفُوعٍ أَنْ يَكُونَ مَا اشْتَدَّتْ خُضْرَتُهُ مِنَ النَّبَاتِ، قَدْ تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ أَسْوَدًا، غَيْرَ صَوَابٍ عِنْدِي بِخِلَافِهِ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي أَنَّ الْحَرْفَ إِنَّمَا يَحْتَالُ لِمَعْنَاهُ الْمُخْرَجُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ مَفْهُومٌ إِلَّا بِتَقْدِيمِهِ عَنِ مَوْضِعِهِ، أَوْ تَأخِيرِهِ، فَإِنَّمَا وَلَهُ فِي مَوْضِعِهِ وَجْهٌ صَحِيحٌ فَلَا وَجْهَ لِطَلَبِ الْإِحْتِيَالِ لِمَعْنَاهُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: سَنُقَرِّئُكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ فَلَا تَنْسَاهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ يُعَلِّمُهُ هَذَا الْقُرْآنَ، وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ، وَنَهَى مِنْهُ أَنْ

يَعَجَلُ بِقِرَائَتِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦].

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى النُّسْيَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: التَّرْكَ؛ وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: سَنُقْرِئُكَ يَا مُحَمَّدٌ فَلَا تَتْرُكِ الْعَمَلَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتْرُكَ الْعَمَلَ بِهِ، مِمَّا نَنْسَخُهُ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: لَمْ يَشَأْ اللَّهُ أَنْ تَنْسَى شَيْئًا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] وَلَا يَشَاءُ، قَالَ: وَأَنْتَ قَائِلٌ فِي الْكَلَامِ: لِأَعْطَيْتَكَ كُلَّ مَا سَأَلْتَ إِلَّا مَا شِئْتِ، وَإِلَّا أَنْ أَشَاءَ أَنْ أَمْنَعَكَ، وَالنِّيَّةُ أَنْ لَا تَمْنَعَهُ، وَلَا تَشَاءَ شَيْئًا، قَالَ: وَعَلَى هَذَا مَجَارِي الْأَيَّانِ، يُسْتَشْنَى فِيهَا، وَنِيَّةُ الْحَالِفِ: اللَّهَامُ.

وَالْقَوْلُ الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ عِنْدِي، قَوْلٌ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَلَا تَنْسَى إِلَّا أَنْ نَشَاءَ نَحْنُ أَنْ نُنْسِيكَهُ بِنَسْخِهِ وَرَفْعِهِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرَ مَعَانِيهِ.

وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْجَهْرَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ عَمَلِكَ، مَا أَظْهَرْتَهُ وَأَعْلَنْتَهُ ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ يَقُولُ: وَمَا يَخْفَى مِنْهُ فَلَمْ تُظْهِرْهُ، مِمَّا كَتَمْتَهُ، يَقُولُ: هُوَ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ، سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَيْهَا؛ يَقُولُ: فَاحْذَرُهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ عَامِلٌ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِكَ بِغَيْرِ الَّذِي أَدْنَى لَكَ بِهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْسِرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ٨ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ٩ ﴿سَيَذَكِّرُنَا خِشْيَ﴾ ١٠ ﴿وَيَنْجِبَهَا الْأَشْقَىٰ﴾ ١١ ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ١٣ ﴿[الأعلى: ٨-١٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَنُسَهِّلَكَ يَا مُحَمَّدُ لِعَمَلِ الْخَيْرِ، وَهُوَ الْيُسْرَى؛ وَالْيُسْرَى: هُوَ الْفَعْلَى مِنَ الْيُسْرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَذَكِّرْ عِبَادَ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ عَظَمَتَهُ، وَعَظْمَتَهُ، وَحَدِّزْهُمْ عُقُوبَتَهُ ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ يَقُولُ: إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى الَّذِينَ قَدْ آيَسْتِكَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ، فَلَا تَنْفَعُهُمُ الذِّكْرَى. وَقَوْلُهُ ﴿فَذَكِّرْ﴾ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَذْكِيرِ جَمِيعِ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ قَدْ آيَسْتِكَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَيَذَكِّرُنَا خِشْيَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: سَيَذَكِّرُنَا يَا مُحَمَّدُ إِذْ ذَكَرْتَ الَّذِينَ أَمَرْتِكَ بِتَذْكِيرِهِمْ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَيَخَافُ عِقَابَهُ، ﴿وَيَنْجِبَهَا﴾ يَقُولُ: وَيَنْجِبُ الذِّكْرَى ﴿الْأَشْقَى﴾ يَعْنِي: أَشْقَى الْفَرِيقَيْنِ ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعُهُمُ الذِّكْرَى.

قَالَ قَتَادَةُ: قَوْلُهُ: "﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ٩ ﴿سَيَذَكِّرُنَا خِشْيَ﴾ ١٠ فَاتَّقُوا اللَّهَ، مَا خَشِيَ اللَّهُ عَبْدٌ قَطُّ إِلَّا ذَكَرَهُ ﴿وَيَنْجِبَهَا الْأَشْقَى﴾ ١١ فَلَا وَاللَّهِ لَا يَتَنَكَّبُ عَبْدٌ هَذَا الذِّكْرَ زُهْدًا فِيهِ وَبُغْضًا لِأَهْلِهِ، إِلَّا شَقِيًّا بَيْنَ الشَّقَاءِ".

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ يَقُولُ: الَّذِي يَرُدُّ نَارَ جَهَنَّمَ، وَهِيَ النَّارُ الْكُبْرَى، وَيَعْنِي بِالْكُبْرَى لِشِدَّةِ الْحَرِّ وَالْأَلَمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ يَقُولُ: ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِي النَّارِ الْكُبْرَى وَلَا يَحْيَا، وَذَلِكَ أَنَّ نَفْسَ أَحَدِهِمْ تَصِيرُ فِيهَا فِي حَلْقِهِ، فَلَا تَخْرُجُ فَتُفَارِقُهُ فَيَمُوتُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الْجِسْمِ فَيَحْيَا، وَقِيلَ: لَا يَمُوتُ فِيهَا فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا وَصَفَتِ الرَّجُلَ بِوُقُوعٍ فِي شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، قَالُوا: لَا هُوَ حَيٌّ، وَلَا هُوَ مَيِّتٌ، فَخَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِالَّذِي جَرَى بِهِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٦، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ١٨، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ١٩، [الأعلى: ١٤-١٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَدْ نَجَحَ وَأَدْرَكَ طَلِبَتَهُ مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الْكُفْرِ وَمَعَاصِي اللَّهِ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، فَأَدَّى فَرَائِضَهُ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، قَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾: مِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرْضَخَ فَلْيَفْعَلْ، ثُمَّ لِيَقْمَ فَلْيَصَلِّ.

وَقَالَ قَتَادَةُ، قَوْلُهُ: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ تَزَكَّى رَجُلٌ مِنْ مَالِهِ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ".

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنَى بِذَلِكَ زَكَاةَ الْفِطْرِ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، فَقَالَ لِي: إِذَا غَدَوْتَ غَدًا إِلَى الْعِيدِ فَمَرِّ بِي، قَالَ: فَمَرَرْتُ بِهِ، فَقَالَ: هَلْ طَعِمْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفْضَتَ عَلَى نَفْسِكَ مِنَ الْمَاءِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مَا فَعَلْتَ بِزَكَاتِكَ؟ قُلْتُ: قَدْ وَجَّهْتُهَا، قَالَ: إِنَّهَا أَرَدْتُكَ لِهَذَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٤﴾، وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا يَرُونَ صَدَقَةً أَفْضَلَ مِنْهَا، وَمِنْ سِقَايَةِ الْمَاءِ " .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَحَدَّ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ .

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَذَكَرَ اللَّهُ وَدَعَاهُ وَرَغِبَ إِلَيْهِ .
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: وَذَكَرَ اللَّهُ فَوَحَّدهُ، وَدَعَاهُ وَرَغِبَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يُحْصِصِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذِكْرِهِ نَوْعًا دُونَ نَوْعٍ .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَصَلَّى﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ: فَصَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ .
وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ: صَلَاةُ الْعِيدِ يَوْمَ الْفِطْرِ .

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَدَعَا؛ وَقَالُوا: الصَّلَاةُ هَاهُنَا: الدُّعَاءُ .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ﴾: الصَّلَوَاتِ، وَذَكَرَ
اللَّهُ فِيهَا بِالتَّحْمِيدِ وَالتَّمَجِيدِ وَالدُّعَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يَقُولُ لِلنَّاسِ: بَلْ تُؤْثِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَبْقَى، يَقُولُ: وَزِينَةُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَبْقَى بَقَاءً؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةُ
بَاقِيَةٌ، لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى، وَقَالَ بِنُحُوهِ ابْنُ مَسْعُودٍ.

قَالَ قَتَادَةَ: "﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فَاخْتَارَ النَّاسُ الْعَاجِلَةَ إِلَّا مَنْ
عَصَمَ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ فِي الْخَيْرِ ﴿وَأَبْقَى﴾ فِي الْبَقَاءِ".

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ
عَامَّةُ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بِالتَّاءِ، إِلَّا أَبَا عَمْرٍو، فَإِنَّهُ قَرَأَهُ بِاليَاءِ،
وَقَالَ: يَعْنِي الْأَشْقِيَاءَ، وَالَّذِي لَا أُؤْثِرُ عَلَيْهِ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ التَّاءِ، لِاجْتِمَاعِ
الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أَبِي: ﴿بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ﴾ فَذَلِكَ
أَيْضًا شَاهِدٌ لِصِحَّةِ الْقِرَاءَةِ بِالتَّاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي
أَشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ هَذَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُشِيرَ بِهِ إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي فِي ﴿سَبِّحْ اسْمَ
رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ، قَالَه الرَّبِيعُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، قَالَ قَتَادَةُ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى، قَالَ قَتَادَةُ: تَتَابَعَتْ كُتُبُ اللَّهِ كَمَا تَسْمَعُونَ، أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى".

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: "﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾" ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى: فِي الصُّحُفِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى: أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى".

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرُ اسْمِ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٤﴾ بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١١﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾: لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَصُحُفِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَإِنَّمَا قُلْتُ: ذَلِكَ أُولَى بِالصَّحَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى حَاضِرٍ، فَلِأَنَّ يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى مَا قَرُبَ مِنْهَا، أُولَى مِنْ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى غَيْرِهِ، وَأَمَّا الصُّحُفُ: فَإِنَّهَا جَمْعُ صَحِيفَةٍ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهَا: كُتُبُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴿الغاشية: ١-٧﴾، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يَعْنِي: قِصَّتَهَا وَخَبَرَهَا، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْغَاشِيَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْقِيَامَةُ تَغْشَى النَّاسَ بِالْأَهْوَالِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْغَاشِيَةُ: النَّارُ تَغْشَى وَجُوهَ الْكُفَرَةِ، قَالَ سَعِيدٌ. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وَلَمْ يُخْبِرْنَا أَنَّهُ عَنَى غَاشِيَةَ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَنَّهُ عَنَى غَاشِيَةَ النَّارِ، وَكِلْتَاهُمَا غَاشِيَةٌ، هَذِهِ تَغْشَى النَّاسَ بِالْبَلَاءِ وَالْأَهْوَالِ وَالْكَرُوبِ، وَهَذِهِ تَغْشَى الْكُفَّارَ بِاللَّفْحِ فِي الْوُجُوهِ، وَالشُّوَاطِظِ وَالنُّحَاسِ، فَلَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ أَصَحُّ مِنْ أَنْ يُقَالَ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَيَعْمُ الْخَبْرُ بِذَلِكَ كَمَا عَمَّهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ، وَهِيَ وَجُوهُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ. ﴿خَاشِعَةٌ﴾: يَقُولُ: ذَلِيلَةٌ، قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَامِلَةٌ﴾ يَعْنِي: عَامِلَةٌ فِي النَّارِ، وَقَوْلُهُ: ﴿نَاصِبَةٌ﴾ يَقُولُ: نَاصِبَةٌ فِيهَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: تَرُدُّ هَذِهِ الْوُجُوهُ نَارًا حَامِيَةً قَدْ حَمَيْتْ وَاشْتَدَّ حَرُّهَا، وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ ﴿تَصَلَّى﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ، بِمَعْنَى: تَصَلَّى الْوُجُوهُ، وَقَرَأَ ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو: (تَصَلَّى) بِضَمِّ التَّاءِ اعْتِبَارًا بِقَوْلِهِ: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ﴾، وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ أَثَمَّهَا قِرَاءَتَانِ صَحِيحَتَا الْمَعْنَى، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ﴾ يَقُولُ: تُسْقَى أَصْحَابُ هَذِهِ الْوُجُوهُ مِنْ شَرَابِ عَيْنٍ قَدْ أُنِيَ حَرُّهَا، فَبَلَغَ غَايَتَهُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ﴾ مِنْ عَيْنٍ حَاضِرَةٍ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾ يَقُولُ: لَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْخَاشِعَةِ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، طَعَامٌ إِلَّا مَا يُطْعَمُونَهُ مِنْ ضَرِيْعٍ، وَالضَّرِيْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ: نَبْتُ يُقَالُ لَهُ الشَّبْرُقُ، وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ الضَّرِيْعُ إِذَا بَيَسَ، وَيُسَمِّيهِ غَيْرُهُمْ: الشَّبْرُقُ، وَهُوَ سُمَّ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَشَرِيْكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الضَّرِيْعُ: الْحِجَارَةُ، قَالَه سَعِيدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الضَّرِيعُ: شَجَرٌ مِنْ نَارٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: الضَّرِيعُ: الشَّوْكُ مِنَ النَّارِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الضَّرِيعَ: الشَّوْكُ الْيَابِسُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَرَقٌ، تَدْعُوهُ الْعَرَبُ الضَّرِيعَ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ شَوْكٌ مِنْ نَارٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يَقُولُ: لَا يُسْمِنُ هَذَا الضَّرِيعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكَلْتَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ يَقُولُ: وَلَا يُشْبِعُهُمْ مِنْ جُوعٍ يُصِيبُهُمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْشُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَارٍ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ٨-١٨].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نَاعِمَةٌ﴾ يَقُولُ: هِيَ نَاعِمَةٌ بِتَنْعِيمِ اللَّهِ أَهْلَهَا فِي جَنَّتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ يَقُولُ: لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمَلَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةِ رَبِّهَا رَاضِيَةٌ، وَقِيلَ: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ وَالْمَعْنَى: لِثَوَابِ سَعْيِهَا فِي الْآخِرَةِ رَاضِيَةٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ وَهِيَ بُسْتَانٌ. عَالِيَةٌ: يَعْنِي رَفِيعَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ يَقُولُ: لَا تَسْمَعُ هَذِهِ الْوُجُوهُ، الْمَعْنَى لِأَهْلِهَا، فِيهَا فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ لَغِيَةٌ، يَعْنِي بِاللَّغِيَةِ: كَلِمَةٌ لَغْوٌ، وَاللَّغْوُ:

الْبَاطِلُ، فَقِيلَ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ لَعْوٌ لَا غِيَةَ، كَمَا قِيلَ لِصَاحِبِ الدَّرْعِ: دَارِعٌ،
وَلِصَاحِبِ الْفَرَسِ: فَارِسٌ، وَلِقَائِلِ الشُّعْرِ شَاعِرٌ؛ وَكَمَا قَالَ الْحُطَيْئَةُ:

أَغْرَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّ *** كَ لَا بِنُ بِالصِّيفِ تَامِرُ

يَعْنِي: صَاحِبَ لَبَنِ، وَصَاحِبَ تَمْرٍ، وَزَعَمَ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ أَنَّ مَعْنَى
ذَلِكَ: لَا تَسْمَعُ فِيهَا حَالِفَةً عَلَى الْكَذِبِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لَا غِيَةَ؛ وَهَذَا الَّذِي
قَالَهُ مَذْهَبٌ وَوَجْهٌ، لَوْلَا أَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى
خِلَافِهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ خِلَافُهُمْ فِيهَا كَانُوا عَلَيْهِ مُجْمِعِينَ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ وَبَعْضُ قُرَاءِ
الْمَدِينَةِ وَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ، بِمَعْنَى: لَا تَسْمَعُ الْوُجُوهَ،
وَقَرَأَ ذَلِكَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو: ﴿لَا تُسْمَعُ﴾ بِضَمِّ التَّاءِ، بِمَعْنَى مَا لَمْ
يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَيُؤَنَّثُ تَسْمَعُ، لِتَأْنِيثِ لَا غِيَةَ. وَقَرَأَ ابْنُ مُحْيِصِنٍ بِالضَّمِّ أَيْضًا،
غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرُوهَا بِالْيَاءِ، عَلَى وَجْهِ التَّذْكِيرِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ
صَحِيحَاتُ الْمَعَانِي، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يَقُولُ: فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِي غَيْرِ

أُخْدُودٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ وَالسُّرُرُ: جَمْعُ سَرِيرٍ، مَرْفُوعَةٌ لِيَرَى الْمُؤْمِنُ إِذَا جَلَسَ عَلَيْهَا جَمِيعَ مَا خَوَّلَهُ رَبُّهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالْمُلْكِ فِيهَا، وَيَلْحَقُ جَمِيعَ ذَلِكَ بَصَرُهُ، وَقِيلَ: عُنِيَ بِقَوْلِ مَرْفُوعَةٍ: مَوْضُونَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ يَعْنِي: مَوْضُونَةٌ، كَقَوْلِهِ: سُرُرٌ مَصْفُوفَةٌ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ".

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ وَهِيَ جَمْعُ كُوبٍ، وَهِيَ الْأَبَارِيقُ الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا. وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى، وَذَكَرْنَا مَا فِيهِ مِنَ الرَّوَايَةِ، بِمَا أَغْنَى عَنِ إِعَادَتِهِ، وَعَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ عَلَى حَافَةِ الْعَيْنِ الْجَارِيَةِ، كُلَّمَا أَرَادُوا الشُّرْبَ، وَجَدُوهَا مَلَأَى مِنَ الشَّرَابِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَهَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ﴾ يَعْنِي بِالتَّهَارِقِ: الْوَسَائِدَ وَالْمُرَافِقَ؛ وَالتَّهَارِقُ: وَاحِدُهَا تَهْرَقَةٌ، بِضَمِّ النُّونِ. وَقَدْ حُكِيَ عَنِ بَعْضِ كَلْبٍ سَمَاعًا نُهْرَقَةٌ، بِكَسْرِ النُّونِ وَالرَّاءِ. وَقِيلَ: مَصْفُوفَةٌ؛ لِأَنَّ بَعْضَهَا بِجَنْبِ بَعْضٍ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَزَرَائِيٌّ مَبْثُوثَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَفِيهَا طَنَافِسُ وَبُسُطٌ كَثِيرَةٌ مَبْثُوثَةٌ مَفْرُوشَةٌ، وَالْوَاحِدَةُ: زَرَبِيَّةٌ، وَهِيَ الطَّنْفِسَةُ الَّتِي لَهَا خَمْلٌ رَقِيقٌ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنُكْرِي قُدْرَتِهِ عَلَى مَا وَصَفَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، مِنْ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَهْلِ عِدَاوَتِهِ، وَالنَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَهْلِ وِلَايَتِهِ: أَفَلَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ، إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَهَا، وَسَخَّرَهَا لَهُمْ وَذَلَّلَهَا، وَجَعَلَهَا تَحْمِلُ حِمْلَهَا بَارِكَةً، ثُمَّ تَنْهَضُ بِهِ، وَالَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ غَيْرُ عَزِيزٍ عَلَيْهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا وَصَفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي قَدَرَ بِهَا عَلَى خَلْقِهَا، لَنْ يُعْجِزَهُ خَلْقُ مَا شَابَهَا، قَالَ قَتَادَةُ: "لَمَّا نَعَتَ اللَّهُ مَا فِي الْجَنَّةِ، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الصَّلَاةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ فَكَانَتِ الْإِبِلُ مِنْ عَيْشِ الْعَرَبِ وَمِنْ حَوْلِهِمْ".

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَهَا الَّذِي أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ مُعَدُّ لِأَوْلِيَائِهِ مَا وَصَفَ، وَلِأَعْدَائِهِ مَا ذَكَرَ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةَ الَّتِي لَا يُعْجِزُهُ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَ فِعْلَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ يَقُولُ: وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ أُقِيمَتْ مُتَّصِبَةً لَا تَسْقُطُ، فَتَنْبَسِطُ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهَا جَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ مُتَّصِبَةً جَامِدَةً، لَا تَبْرَحُ مَكَانَهَا، وَلَا تَزُولُ عَنْ مَوْضِعِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ يَقُولُ: وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ، يُقَالُ: جَبَلٌ مُسَطَّحٌ: إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ اسْتِوَاءٌ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (١٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (١٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (١٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (١٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (١٦) [الغاشية: ٢١-٢٦]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَذَكِّرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ عِبَادِي بِآيَاتِي، وَعِظْهُمْ بِحُجَجِي، وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَتِي. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ يَقُولُ: إِنَّمَا أَرْسَلْتَنكَ إِلَيْهِمْ مُذَكِّرًا، لِنُذَكِّرَهُمْ نِعْمَتِي عِنْدَهُمْ، وَتُعَرِّفَهُمُ اللَّازِمَ لَهُمْ، وَنَعِظْهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ يَقُولُ: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلِّطٍ، وَلَا أَنْتَ بِجَبَّارٍ، تَحْمِلُهُمْ عَلَى مَا تُرِيدُ، يَقُولُ: كُلُّهُمْ إِلَيَّ، وَدَعْوُهُمْ وَحُكْمِي فِيهِمْ؛ يُقَالُ: قَدْ تَسَيَّرَ فُلَانٌ عَلَى قَوْمِهِ: إِذَا تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: "﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلِّطٍ أَنْ تُكْرِهَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ هَذَا: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وَقَالَ: ﴿اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥] وَاَرْضُدُّوهُمْ لَا يَخْرُجُوا فِي الْبِلَادِ، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، قَالَ: فَنَسِخَتْ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، قَالَ: جَاءَ اقْتُلْهُ أَوْ

يُسَلِّمُ؛ قَالَ: وَالتَّذْكَرَةُ كَمَا هِيَ لَمْ تُنْسَخْ، وَقَرَأَ: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]."

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾»^(١).

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ يَتَوَجَّهُ لِرُجُوعِهِنَّ:

أَحَدُهُمَا: فَذَكَرَ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ عَنْكَ، وَأَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ فَكَفَرَ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: "إِلَّا" اسْتِثْنَاءً مِنَ الَّذِينَ كَانَ التَّذْكَيرُ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَذْكَرُوا، كَمَا يُقَالُ: مَضَى فُلَانٌ، فَدَعَا إِلَّا مَنْ لَا تُرْجَى إِجَابَتُهُ، بِمَعْنَى: فَدَعَا النَّاسَ إِلَّا مَنْ لَا تُرْجَى إِجَابَتُهُ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ مُنْقَطِعًا عَمَّا قَبْلَهُ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ حِينَئِذٍ: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ، يُعَذِّبُهُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ الْإِسْتِثْنَاءُ الْمُنْقَطِعُ يُمْتَحَنُ بِأَنْ يُحْسَنَ مَعَهُ إِنْ، فَإِذَا حَسُنَتْ مَعَهُ كَانَ مُنْقَطِعًا، وَإِذَا لَمْ تُحْسَنْ كَانَ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلًا صَحِيحًا، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: سَارَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، وَلَا يَصْلُحُ دُخُولُ إِنْ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ صَحِيحٌ.

(١) أخرجه مسلم (٢١).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ، يَقُولُ: فَيُعَذِّبُهُ
 اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ عَلَى كُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابُ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ يَقُولُ: إِنَّ إِلَيْنَا رُجُوعَ مَنْ كَفَرَ وَمَعَادَهُمْ.
 ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ إِنَّ عَلَى اللَّهِ حِسَابَهُ، وَهُوَ يُجَازِيهِ بِمَا
 سَلَفَ مِنْهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، يُعْلِمُ بِذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ الْمُتَوَلَّى
 عُقُوبَتَهُ دُونَهُ، وَهُوَ الْمُجَازِي وَالْمُعَاقِبُ، وَأَنَّ الَّذِي إِلَيْهِ التَّذْكِيرُ وَتَبْلِيغُ
 الرَّسَالَةِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.



سُورَةُ الْفَجْرِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ٥﴾ [الفجر: ١-٥].

هَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْفَجْرِ، وَهُوَ فَجْرُ الصُّبْحِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ النَّهَارُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ صَلَاةُ الصُّبْحِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ فَجْرُ الصُّبْحِ، قَالَه عِكْرِمَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْعَشْرِ أَيُّ لَيَالٍ هِيَ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ لَيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَسْرُوقٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ:

أَوَّلُ ذِي الْحِجَّةِ؛ وَقَالَ: هِيَ عَشْرُ الْمُحَرَّمِ مِنْ أَوَّلِهِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنَّهَا عَشْرُ الْأَضْحَى، لِاجْتِمَاعِ الْحِجَّةِ

مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَيْهِ، وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿

وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ قَالَ: «عَشْرُ الْأَضْحَى» (١).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٦٠٨)، والحاكم في المستدرک عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ ٣ وَاللَّيْلُ إِذَا سَرَّ ٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنَ الْوَتْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْوَتْرُ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الشَّفْعُ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ. وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿الشَّفْعُ﴾: الْيَوْمَانِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، ﴿وَالْوَتْرُ﴾: الْيَوْمُ الثَّلَاثُ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿الشَّفْعُ﴾: يَوْمَانِ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، ﴿وَالْوَتْرُ﴾: يَوْمُ النَّفْرِ الْآخِرِ، يَقُولُ اللَّهُ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفْعُ: الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْخَلْقُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ شَفْعٌ وَوَتْرٌ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ: الصَّلَاةُ الْمُكْتُوبَةُ، مِنْهَا الشَّفْعُ كَصَلَاةِ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ، وَمِنْهَا الْوَتْرُ كَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ، قَالَه عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَلَمْ يُحْصِصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوَتْرِ دُونَ نَوْعٍ بَخِرٍ وَلَا عَقْلٍ،

وَكُلُّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ، مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ
هَذَا لِعُمُومِ قَسَمِهِ بِذَلِكَ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَالْوَتْرُ﴾ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ
وَالْبَصْرَةَ وَبَعْضُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ بِكَسْرِ الْوَاوِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَمَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي
قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، وَلُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ فِي الْعَرَبِ، فَبَيَّتَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.
وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرٌ﴾ يَقُولُ: وَاللَّيْلِ إِذَا سَارَ فَذَهَبَ، يُقَالُ مِنْهُ:
سَرَى فُلَانٌ لَيْلًا يَسِرِي: إِذَا سَارَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
يَسِرٌ﴾ لَيْلَةً جَمَعَ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْمُرْدَلِفَةِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ،
ابْنُ عَبَّاسٍ، مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَعِكْرِمَةُ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
﴿يَسِرٌ﴾ بِغَيْرِ يَاءٍ، وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَاءِ بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ؛ وَحَذْفِ الْيَاءِ فِي
ذَلِكَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا، لِيُوفَّقَ بَيْنَ رُءُوسِ الْآيِ إِذْ كَانَتْ بِالرَّاءِ، وَالْعَرَبُ رُبَّمَا
أَسْقَطَتِ الْيَاءَ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ مِثْلَ هَذَا، اِكْتِفَاءً بِكُسْرَةِ مَا قَبْلَهَا مِنْهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَلْ فِيهَا
أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَقْنَعٌ لِذِي حَجْرٍ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ: إِنَّ فِي هَذَا
الْقَسَمِ مُكْتَفَى لِمَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ، مِمَّا هُوَ أَغْلَظُ مِنْهُ فِي الْأَقْسَامِ، فَأَمَّا مَعْنَى
قَوْلِهِ: ﴿لِذِي حَجْرٍ﴾ فَإِنَّهُ لِذِي حَجِي وَذِي عَقْلٍ؛ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ

مَالِكًا نَفْسَهُ قَاهِرًا لَهَا ضَابِطًا: إِنَّهُ لَدُو حِجْرٍ، وَمِنْهُ قَوْهُمُ: حَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَى
فُلَانٍ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ
زَيْدٍ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ
يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلْدَادِ ﴿٨﴾ وَنُومُدَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي
الْإِلْدَادِ ﴿١١﴾﴾ [الفجر: ٦-١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، ﴿إِرْمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
بِعَادٍ؟

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِرْمَ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ اسْمُ
بَلَدَةٍ، ثُمَّ اِخْتَلَفَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ فِي الْبَلَدَةِ الَّتِي عُيِّنَتْ بِذَلِكَ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: عُيِّنَتْ بِهَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ.
وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ دِمَشْقُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُيِّنَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِرْمَ﴾ أُمَّةٌ قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: الْقَدِيمَةُ قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: تِلْكَ قَبِيلَةٌ مِنْ عَادٍ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَابْنُ إِسْحَاقَ.

وَقَالَ آخَرُونَ ﴿إِرْمَ﴾ الْهَالِكُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالصَّحَّاحُ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ إِرْمَ إِمَّا بَلَدَةٌ كَانَتْ عَادٌ تَسْكُنُهَا، فَلِذَلِكَ رُدَّتْ عَلَى عَادٍ لِاتِّبَاعِهَا، وَلَمْ يُجْرَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَإِمَّا اسْمٌ قَبِيلَةٌ فَلَمْ يُجْرَ أَيْضًا، كَمَا لَا يُجْرَى أَسْمَاءُ الْقَبَائِلِ، كَتَمِيمٍ وَبَكْرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ إِذَا أَرَادُوا بِهِ الْقَبِيلَةَ. وَأَمَّا اسْمٌ عَادٍ فَلَمْ يُجْرَ، إِذْ كَانَ اسْمًا أَعْجَمِيًّا فَأَمَّا مَا ذُكِرَ عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ الْقَدِيمَةَ، فَقَوْلٌ لَا مَعْنَى لَهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَعْنَاهُ لَكَانَ مَخْفُوضًا بِالتَّنْوِينِ، وَفِي تَرْكِ الإِجْرَاءِ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَعْتٍ وَلَا صِفَةٍ وَأَشْبَهُه الأَقْوَالِ فِيهِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي: أَنَّهَا اسْمٌ قَبِيلَةٌ مِنْ عَادٍ، وَلِذَلِكَ جَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِتَرْكِ إِضَافَةِ عَادٍ إِلَيْهَا، وَتَرْكِ إِجْرَائِهَا، كَمَا يُقَالُ: أَلَمْ تَرَ مَا فَعَلَ رَبُّكَ بِتَمِيمٍ نَهْشَلٍ؟ فَيُتْرَكُ إِجْرَاءُ نَهْشَلٍ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ، فَتَرْكُ إِجْرَائِهَا لِذَلِكَ، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ بِالرَّدِّ عَلَى تَمِيمٍ، وَلَوْ كَانَتْ إِرْمٌ اسْمَ بَلَدَةٍ أَوْ اسْمَ جَدِّ لِعَادٍ لَجَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِإِضَافَةِ عَادٍ إِلَيْهَا، كَمَا يُقَالُ: هَذَا عُمَرُ وَزَيْدٌ وَحَاتِمٌ طَيِّبٌ وَأَعَشَى هَمْدَانٌ، وَلَكِنَّهَا اسْمٌ قَبِيلَةٌ مِنْهَا، فِيمَا أَرَى، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَلِذَلِكَ أَجْمَعَتِ الْقِرَاءَةُ فِيهَا عَلَى تَرْكِ الإِضَافَةِ وَتَرْكِ الإِجْرَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: ذَاتِ الطَّوْلِ، وَذَهَبُوا فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْعَرَبِ لِلرَّجُلِ الطَّوِيلِ: رَجُلٌ مُعَمَّدٌ، وَقَالُوا: كَانُوا طَوَالَ الأَجْسَامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ قِيلَ لَهُمْ ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عَمَدٍ،
يَتَّجِعُونَ الْغُيُوثَ، وَيَتَّقِلُونَ إِلَى الْكَلَاءِ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ،
قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ ذَلِكَ لَهُ لِبِنَاءِ بَنَاهُ بَعْضُهُمْ، فَشَيَّدَ عُمُدَهُ، وَرَفَعَ
بِنَاءَهُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ ذَلِكَ لَهُمْ لِشِدَّةِ أَبْدَانِهِمْ وَقُوَاهُمْ، قَالَ الضَّحَّاكُ.
وَأَشْبَهُهُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ
بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ سَيَّارَةً؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ
الْعِمَادِ، مَا عُمِدَ بِهِ الْحَيَامُ مِنَ الْخَشَبِ، وَالسَّوَارِي الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْبِنَاءُ،
وَلَا يُعْلَمُ بِنَاءٌ كَانَ لَهُمْ بِالْعِمَادِ بِخَيْرٍ صَحِيحٍ، بَلْ وَجَّهَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ قَوْلَهُ:
﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إِلَى أَنَّهُ عُنِيَ بِهِ طَوْلُ أَجْسَامِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ عُنِيَ بِهِ عِمَادُ
حَيَامِهِمْ، فَأَمَّا عِمَادُ الْبُنْيَانِ، فَلَا يُعْلَمُ كَثِيرٌ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ،
وَتَأْوِيلُ الْقُرْآنِ إِنَّمَا يُوَجِّهُ إِلَى الْأَغْلَبِ الْأَشْهَرِ مِنْ مَعَانِيهِ، مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ
سَبِيلٌ، دُونَ الْأَنْكَرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَرَّبُّكَ
عِمَادِ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾، يَعْنِي: مِثْلَ عَادٍ، وَالْهَاءُ عَائِدَةٌ
عَلَى عَادٍ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ عَائِدَةً عَلَى إِرَمَ، لِمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلَ أَنَّمَا قَبِيلَةٌ، وَإِنَّمَا عُنِيَ

بِقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا﴾ فِي الْعِظَمِ وَالْبَطْشِ وَالْأَيْدِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ، لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ الْأَعْمَدَةِ فِي الْبِلَادِ، وَقَالُوا: الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا مِنْ صِفَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ، وَالْهَاءُ الَّتِي فِي مِثْلَهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ ذِكْرِ ذَاتِ الْعِمَادِ، قَالَ نَحْوَهُ ابْنُ زَيْدٍ. وَهَذَا قَوْلٌ لَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْعِمَادَ وَاحِدٌ مُذَكَّرٌ، وَالَّتِي لِلْأُنْثَى، وَلَا يُوصَفُ الْمَذَكَّرُ بِالَّتِي، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْعِمَادِ لَقِيلَ: الَّذِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهُ فِي الْبِلَادِ، وَإِنْ جَعَلْتَ الَّتِي لِإِرْمٍ، وَجَعَلْتَ الْهَاءَ عَائِدَةً فِي قَوْلِهِ: ﴿مِثْلَهَا﴾ عَلَيْهَا؛ وَقِيلَ: هِيَ دِمَشْقُ أَوْ إِسْكَنْدَرِيَّةُ، فَإِنَّ بِلَادَ عَادٍ هِيَ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وَالْأَحْقَافُ: هِيَ جَمْعُ حِقْفٍ، وَهُوَ مَا انْعَطَفَ مِنَ الرَّمْلِ وَانْحَنَى، وَكَيْسَتْ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ، وَلَا دِمَشْقُ مِنْ بِلَادِ الرَّمَالِ، بَلْ ذَلِكَ الشَّحْرُ مِنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتٍ، وَمَا وَالْأَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ يَقُولُ: وَبِشَمُودَ الَّذِي خَرَقُوا الصَّخْرَ وَدَخَلُوهُ، فَاتَّخَذُوهُ بَيْوتًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَابَ فُلَانٌ الْفَلَاةَ يُجِوبُهَا جَوْبًا: إِذَا دَخَلَهَا وَقَطَعَهَا، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
 أَيضًا بِفِرْعَوْنَ صَاحِبِ الْأَوْتَادِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ذِي
 الْأَوْتَادِ﴾ وَلَمْ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: ذِي الْجُنُودِ الَّذِي
 يَقُودُونَ لَهُ أَمْرَهُ، وَقَالُوا: الْأَوْتَادُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجُنُودُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ، قَالَه
 مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ مِظَالٌ وَمَلَاعِبَ يُلْعَبُ لَهُ تَحْتَهَا، قَالَه قَتَادَةُ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَدِّبُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ، قَالَه سَعِيدُ بْنُ
 جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ بُنْيَانٌ يُعَدِّبُ النَّاسَ عَلَيْهِ، قَالَه
 سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: الْأَوْتَادُ
 الَّتِي تُوتَدُ، مِنْ خَشَبٍ كَانَتْ أَوْ حَدِيدٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعَانِي
 الْأَوْتَادِ، وَوُصِفَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ يُعَدِّبُ النَّاسَ بِهَا، كَمَا قَالَ
 أَبُو رَافِعٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ يُلْعَبُ لَهُ بِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿الَّذِينَ عَادَا
 وَتَمُودَ وَفِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿طَغَوْا﴾ نَجَّازُوا مَا أَبَاحَهُ لَهُمْ

رَبِّهِمْ، وَعَتَوْا عَلَى رَبِّهِمْ إِلَىٰ مَا حَظَرَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ وَقَوْلِهِ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾
الَّتِي كَانُوا فِيهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾^(١٣) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
^(١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغِ الْمَرَادِ^(١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ^(١٥)
[الفجر: ١٢-١٥].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَكْثَرُوا فِي الْبِلَادِ الْمَعَاصِي، وَرُكُوبَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَنْزَلَ بِهِمْ يَا
مُحَمَّدُ رَبُّكَ عَذَابَهُ، وَأَحَلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، بِمَا أَفْسَدُوا فِي الْبِلَادِ، وَطَغَوْا عَلَى اللَّهِ
فِيهَا، وَقِيلَ: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ سَوْطَ عَذَابٍ وَإِنَّمَا كَانَتْ نِقْمًا تَنْزِلُ بِهِمْ، إِمَّا
رِيحًا تَدْمِرُهُمْ، وَإِمَّا رَجْفًا يُدْمِدُمُ عَلَيْهِمْ، وَإِمَّا غَرْفًا يُهْلِكُهُمْ، مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ
بِسَوْطٍ وَلَا عَصَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِ الْقَوْمِ الَّذِينَ خُوِطِبُوا بِهَذَا
الْقُرْآنِ، الْجُلْدُ بِالسَّيَاطِ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُ الْقَوْمِ الْحَبَرَ عَنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ الَّذِي
يُعَذَّبُ بِهِ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، أَنْ يَقُولُوا: ضَرَبَ فُلَانٌ حَتَّىٰ بِالسَّيَاطِ، إِلَىٰ أَنْ صَارَ
ذَلِكَ مَثَلًا، فَاسْتَعْمَلُوهُ فِي كُلِّ مُعَذَّبٍ بِنَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدٍ، وَقَالُوا: صَبَّ
عَلَيْهِ سَوْطُ عَذَابٍ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغِ الْمَرَادِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ لَأَعْلَىٰ الَّذِينَ قَصَصْتُ عَلَيْكَ قَصَصَهُمْ، وَلَضَرَبَاتِهِمْ مِنْ
أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، لِبَالِغِ الْمَرَادِ يَرْضُدُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، عَلَىٰ قَنَاطِرِ

جَهَنَّمَ، لِيُكَرِّسَهُمْ فِيهَا إِذَا وَرَدُّوَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿بِالْمِرْصَادِ﴾ بِحَيْثُ يَرَى وَيَسْمَعُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ بِمَرْصَدٍ لِأَهْلِ الظُّلْمِ، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، وَسُفْيَانُ، وَالْحَسَنُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ بِالنِّعَمِ وَالْغِنَى ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بِالْمَالِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بِمَا أَوْسَعَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ، وَيُسْرِ بِهٍ وَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِي بِهَذِهِ الْكِرَامَةِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاتِ أَكَلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ [الفجر: ١٦-١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يَقُولُ: وَأَمَّا إِذَا مَا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ بِالْفَقْرِ ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ يَقُولُ: فَضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَقَتَّرَهُ، فَلَمْ يُكْثِرْ مَالَهُ، وَلَمْ يُوسِّعْ عَلَيْهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ يَقُولُ: فَيَقُولُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ: رَبِّي أَهْنَانِي، يَقُولُ: أَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ، وَلَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا وَهَبَ لَهُ مِنْ سَلَامَةِ جَوَارِحِهِ، وَرِزْقِهِ مِنَ الْعَافِيَةِ فِي جِسْمِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: مَا أَسْرَعَ كُفْرَ ابْنِ آدَمَ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، قَوْلُهُ: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾: ضَيَّقَهُ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [فَقَرَأَتْ عَامَّةٌ قُرَاءَ الْأَمْصَارِ ذَلِكَ بِالتَّخْفِيفِ، فَقَدَرَ: بِمَعْنَى فَقَتَرَ، خَلَا أَبِي جَعْفَرٍ الْقَارِي، فَإِنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّشْدِيدِ: (فَقَدَرَ) وَذَكَرَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَدَرَ، بِمَعْنَى يُعْطِيهِ مَا يَكْفِيهِ، وَيَقُولُ: لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ مَا قَالَ رَبِّي أَهَانِي. وَالصَّوَابُ مِنْ قِرَاءَةِ ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالتَّخْفِيفِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَمَا الَّذِي أَنْكَرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ كَرَامَتِهِ مَنْ أَكْرَمَ كَثْرَةَ مَالِهِ، وَسَبَبُ إِهَانَتِهِ مَنْ أَهَانَ قِلَّةَ مَالِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: مَا أَسْرَعَ مَا كَفَرَ ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كَلَّا إِنِّي لَا أَكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِكَثْرَةِ الدُّنْيَا، وَلَا أَهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِقِلَّتِهَا، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِطَاعَتِي، وَأَهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِمَعْصِيَتِي.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَنْكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حَمْدَ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ عَلَى نِعَمِهِ دُونَ فَقْرِهِ، وَشَكْوَاهُ الْفَاقَةَ وَقَالُوا: مَعْنَى الْكَلَامِ: كَلَّا، أَي لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَكَذَا، وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَهُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، عَلَى الْغِنَى وَالْفَقْرِ.

وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ قَتَادَةَ لِذِلَّةِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧] وَالآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا، عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَهَانَ مَنْ أَهَانَ بِأَنَّهُ لَا يُكْرِمُ الْيَتِيمَ، وَلَا يُحْضِرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، وَسَائِرُ

المُعَانِي الَّتِي عَدَّدَ، وَفِي إِبَانَتِهِ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَهَانَ مَنْ أَهَانَ،
الدَّلَالَةَ الْوَاضِحَةَ عَلَى سَبَبِ تَكْرِيمِهِ مَنْ أَكْرَمَ، وَفِي تَبْيِينِهِ ذَلِكَ عَقِيبَ قَوْلِهِ:
﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،
فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥-١٦] بَيَانٌ وَاضِحٌ عَنِ الَّذِي أَنْكَرَ مِنْ قَوْلِهِ مَا
وَصَفْنَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: بَلْ إِنَّمَا أَهَنْتُ مَنْ
أَهَنْتُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُكْرِمُ الْيَتِيمَ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ عَلَى الْخُطَابِ، فَقَالَ: بَلْ
لَسْتُمْ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، فَلِذَلِكَ أَهَنْتُكُمْ، ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾
اِخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَبُو جَعْفَرٍ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ
الْكُوفَةِ ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ بِالتَّاءِ أَيْضًا وَفَتْحِهَا، وَإِثْبَاتِ
الْأَلْفِ فِيهَا، بِمَعْنَى: وَلَا يُحْضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ.

وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قُرَّاءِ مَكَّةَ وَعَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ، بِالتَّاءِ وَفَتْحِهَا وَحَذْفِ
الْأَلْفِ: وَلَا (مُحْضُونَ) بِمَعْنَى: وَلَا تَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِ الْمُسْكِينِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ
عَامَّةُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ: (يُحْضُونَ) بِالْيَاءِ وَحَذْفِ الْأَلْفِ، بِمَعْنَى: وَلَا يُكْرِمُ
الْقَائِلُونَ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ رَبِّي أَكْرَمَنِي، وَإِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ
رَبِّي أَهَانَنِي الْيَتِيمَ، (وَلَا يُحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ) وَكَذَلِكَ يَقْرَأُ الَّذِينَ
ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ (يُكْرِمُونَ) وَسَائِرُ الْخُرُوفِ مَعَهَا بِالْيَاءِ، عَلَى وَجْهِ

الْحَبْرَ عَنِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَرَأَ: (مُحَاضُونَ) بِالتَّاءِ
وَضَمِّهَا وَإِثْبَاتِ الأَلِفِ، بِمَعْنَى: وَلَا تُحَافِظُونَ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: أَنَّ هَذِهِ قِرَاءَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ فِي قِرَاءَةِ
الأَمْصَارِ، أَعْنِي الْقِرَاءَاتِ الثَّلَاثِ صَحِيحَاتِ الْمُعَانِي، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ
فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَتَأْكُلُونَ﴾ أَيُّهَا
النَّاسُ المِيرَاثَ، ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾، يَعْنِي: أَكْلًا شَدِيدًا، لَا تَتْرَكُونَ مِنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ
مِنْ قَوْلِهِمْ: لَمَمْتُ مَا عَلَى الخِوَانِ أَجْمَعُ، فَأَنَا أَلَمُّ لَمًّا: إِذَا أَكَلْتُ مَا عَلَيْهِ، فَاتَّيْتُ
عَلَى جَمِيعِهِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ الحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَأْكُلُونَ
أَكْلًا شَدِيدًا، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ.

وَقَالَ الحَسَنُ: نَصِيبُهُ وَنَصِيبَ صَاحِبِهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اللَّمُّ: السَّفُّ، لَفُّ كُلِّ شَيْءٍ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الأَكْلُ اللَّمُّ: الَّذِي يَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ يَجِدُهُ وَلَا يَسْأَلُ، فَأَكَلَ

الَّذِي لَهُ، وَالَّذِي لِصَاحِبِهِ. كَانُوا لَا يُورَثُونَ النِّسَاءَ، وَلَا يُورَثُونَ الصِّغَارَ،

وَقَرَأَ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي
نَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الْوُلْدَانِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٢٧] أَي: لَا تُورَثُونَهُنَّ أَيْضًا ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ يَأْكُلُ مِيرَاثَهُ، وَكُلَّ

شَيْءٍ لَا يَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَا يَدْرِي أَحْلَالٌ أَوْ حَرَامٌ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَبْذُرُ الْإِنْسَانَ وَآنِي لَهُ الذِّكْرَى ٢٣﴾ [الفجر: ٢٠-٢٣].

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ وَتُحِبُّونَ جَمَعَ الْمَالِ أَيَّهَا النَّاسُ وَاقْتِنَاءَهُ حُبًّا كَثِيرًا شَدِيدًا؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدِ جَمَّ الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ: إِذَا اجْتَمَعَ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَيَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَدَمِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا، وَتَلَهَّفُهُمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يَعْنِي: إِذَا رَجَّتْ وَزُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً، وَحَرَّكَتْ تَحْرِيكًا بَعْدَ تَحْرِيكِ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعُمَرُ، مَوْلَى غُفْرَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا جَاءَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَمْلَاكُهُ صُفُوفًا صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَجَاءَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾: "جِيءَ بِهَا تَقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَقُودُونَهَا"، - وَقَالَ بَنَحُوهُ - أَبُو وَائِلٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ تَفْرِيطُهُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَفِيمَا يُقَرَّبُ إِلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ يَقُولُ: مِنْ أَيِّ وَجْهِ لَهُ التَّذْكَيرُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا (٢٦) يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) [الفجر: ٢٤-٣٠].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُحْبِرًا عَنْ تَلَهُّفِ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَنَدُّمِهِ عَلَى تَفْرِيطِهِ فِي الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا الَّتِي تُورِثُهُ بَقَاءَ الْأَبَدِ، فِي نَعِيمٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ لِحَيَاتِي هَذِهِ، الَّتِي لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، مَا يُنَجِّبُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَيُوجِبُ لِي رِضْوَانَهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةَ، وَمُجَاهِدًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿أَجْمَعَتِ الْقُرَاءُ قُرَاءً الْأَمْصَارِ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ عَلَى كَسْرِ الذَّالِ مِنْ يُعَذِّبُ، وَالشَّاءِ مِنْ يُوثِقُ، خَلَا الْكِسَائِيُّ، فَإِنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ بِفَتْحِ الذَّالِ وَالشَّاءِ، اعْتِلَالًا مِنْهُ بِخَبَرِ رُوِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَهُ كَذَلِكَ، وَاهِي الْإِسْنَادِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: مَا عَلَيْهِ قُرَاءَةُ الْأَمْصَارِ، وَذَلِكَ كَسْرُ الذَّالِ وَالشَّاءِ، لِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءَةِ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ

الْكَلَامِ: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يُوثِقُ كَوَاقِبَهُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ تَأْوَلُهُ قَارِئُو ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، كَقِتَادَةَ، وَالْحَسَنَ.

وَأَمَّا الَّذِي قَرَأَ ذَلِكَ بِالْفَتْحِ، فَإِنَّهُ وَجَّهَ تَأْوِيلَهُ إِلَى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يُوثِقُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا كَوَاقِبَهُ يَوْمَئِذٍ، وَقَدْ تَأْوَلَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالْفَتْحِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَ الْكَافِرِ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَ الْكَافِرِ أَحَدٌ، وَقَالَ: كَيْفَ يَجُوزُ الْكُسْرُ، وَلَا مُعَذِّبَ يَوْمَئِذٍ سِوَى اللَّهِ، وَهَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ غَلَطٌ؛ لِأَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ تَأْوَلُوهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ. مَعَ إِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِالْمَعْنَى الَّتِي جَاءَ بِهِ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وَمَا أَحْسَبُهُ دَعَاهُ إِلَى قِرَاءَةِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِلَّا ذَهَابَهُ عَن وَجْهِ صِحَّتِهِ فِي التَّأْوِيلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُحْبِرًا عَن قَبْلِ الْمَلَائِكَةِ لِأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، يَعْنِي بِالْمُطْمَئِنَّةِ: الَّتِي اطْمَأَنَّتْ إِلَى وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكِرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَصَدَّقَتْ بِذَلِكَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ، كَابْنِ عَبَّاسٍ، وَقِتَادَةَ، وَالْحَسَنَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: الْمُصَدِّقَةُ الْمُؤَقَّتَةُ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهَا، الْمُسَلَّمَةُ لِأَمْرِهِ فِيمَا هُوَ فَاعِلٌ بِهَا، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ أَبِي: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْآمِنَةُ»، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنَّ الْآمِنَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، يَعْنِي بِهِ الْمُؤْمِنَةَ، وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَلِكِ لِلْعَبْدِ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ مُبَشِّرُهُ بِرِضَا رَبِّهِ عَنْهُ، وَإِعْدَادِهِ مَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: بُشِّرْتُ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَيَوْمَ الْجَمْعِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ قَيْلِ الْمَلَائِكَةِ لِنَفْسِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْبَعْثِ، تَأْمُرُهَا أَنْ تَرْجِعَ فِي جَسَدِ صَاحِبِهَا؛ قَالُوا: وَعَنِي بِالرَّدِّ هَاهُنَا صَاحِبُهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يُقَالُ ذَلِكَ لَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ. وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ، أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ رَدِّ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْبَعْثِ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَادْخِلِي فِي عِبَادِي وَادْخِلِي جَنَّتِي﴾، اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَادْخِلِي فِي عِبَادِي الصَّالِحِينَ، وَادْخِلِي جَنَّتِي، قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَادْخُلِي فِي طَاعَتِي ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُرَاحِمٍ.

وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُوجِّهُ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ إِلَى: فَادْخُلِي فِي حِزْبِي، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بِالْإِيمَانِ، وَالْمُصَدِّقَةَ بِالثَّوَابِ وَالْبَعْثِ ارْجِعِي، تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: إِذَا أُعْطُوا كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ﴾ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ؛ قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ أَنْ تَقُولَ لَهُمْ شَبَهَ هَذَا الْقَوْلِ: يَتَوَوَّنَ ارْجِعُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هَذَا الْمَرْجِعِ؛ قَالَ: وَأَنْتَ تَقُولُ لِلرَّجُلِ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: مُضْرِي، فَتَقُولُ: كُنْ تَمِيمًا أَوْ قَيْسِيًّا، أَيَّ أَنْتَ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ، فَتَكُونُ كُنْ صَلَةً، كَذَلِكَ الرَّجُوعُ يَكُونُ صَلَةً، لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ إِلَى الْقِيَامَةِ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَيْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ، أَنْتِ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَةٌ قَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ: (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ الْهَنْدَائِي، وَفِي قَوْلِ الْكَلْبِيِّ: (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي فِي جَنَّتِي) يَعْنِي: الرُّوحُ تَرْجِعُ فِي الْجَسَدِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ بِمَعْنَى: فَادْخُلِي فِي عِبَادِي الصَّالِحِينَ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ.

سُورَةُ الْبَلَدِ

مَكِّيَّةٌ، وَأَيَاتُهَا عَشْرُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَوْلَا ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ⑥ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ [البلد: ١-٧]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أُقْسِمُ يَا مُحَمَّدُ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَهُوَ مَكَّةُ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ كَابِنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَقَتَادَةَ، وَابْنَ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يَعْنِي: بِمَكَّةَ؛ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، يَعْنِي بِمَكَّةَ، يَقُولُ: أَنْتَ بِهِ حَلَالٌ تَصْنَعُ فِيهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ أَرَدْتَ قَتْلَهُ، وَأَسْرِ مَنْ أَرَدْتَ أَسْرَهُ، مُطْلَقٌ ذَلِكَ لَكَ؛ يُقَالُ مِنْهُ: هُوَ حِلٌّ، وَهُوَ حَلَالٌ، وَهُوَ حَرْمٌ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَهُوَ مُحِلٌّ، وَهُوَ مُحْرَمٌ، وَأَحْلَلْنَا، وَأَحْرَمْنَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ دَخَلَ مَكَّةَ أَنْ يَقْتَلَ مَنْ شَاءَ، وَيُحْيِيَ مَنْ شَاءَ؛ فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ ابْنَ خَطَلٍ صَبْرًا وَهُوَ آخِذٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتَلَ فِيهَا حَرَامًا حَرَّمَهُ اللَّهُ، فَأَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مَا صَنَعَ بِأَهْلِ مَكَّةَ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي تَحْرِيمِ الْحَرَمِ: ﴿وَاللَّهُ

عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧] يَعْنِي بِالنَّاسِ
أَهْلَ الْقِبْلَةِ.

وبنحو الذي قلنا قال مجاهدٌ، ومنصورٌ، وقتادةٌ، وابنُ زيدٍ، وعطاءٌ،
والضحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأُقْسِمُ بِوَالِدٍ وَبِوَلَدِهِ الَّذِي
وَلَدَ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِذَلِكَ مِنَ الْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِالْوَالِدِ: كُلُّ وَالِدٍ، وَمَا وَلَدَ: كُلُّ عَاقِرٍ لَمْ يَلِدْ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ
عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: آدَمُ وَوَلَدُهُ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو
صَالِحٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: إِبْرَاهِيمُ وَمَا وَلَدَ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: مَا قَالَهُ الَّذِي قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِكُلِّ وَالِدٍ
وَوَلَدِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَمَّ كُلَّ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُحْصَى ذَلِكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ
يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ، أَوْ عَقْلِ، وَلَا خَبَرَ بِخُصُوصِ ذَلِكَ، وَلَا بُرْهَانَ
يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِخُصُوصِهِ، فَهُوَ عَلَى عُمُومِهِ كَمَا عَمَّهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وَهَذَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ
التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَقَدْ خَلَقْنَا ابْنَ آدَمَ فِي شِدَّةٍ
وَعَنَاءٍ وَنَصَبٍ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: خُلِقَ خَلْقًا لَمْ نُخْلُقْ خَلْقَهُ شَيْئًا، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ، وَعِكْرِمَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ خُلِقَ مُتَّصِبًا مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ زَيْدٍ. وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ خُلِقَ يُكَابِدُ الْأُمُورَ وَيُعَاجِلُهَا، فَقَوْلُهُ: ﴿فِي كَبِدٍ﴾ مَعْنَاهُ: فِي شِدَّةٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ مَعَانِي الْكَبِدِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي رَجُلٍ بَعِيْنِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، كَانَ يُدْعَى أَبَا الْأَشْدَيْنِ، وَكَانَ شَدِيدًا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَيَحْسَبُ هَذَا الْقَوِيُّ بِجَلْدِهِ وَقُوَّتِهِ، أَنْ لَنْ يَفْهَرَهُ أَحَدٌ وَيَغْلِبَهُ، فَاللَّهُ غَالِبُهُ وَقَاهِرُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ يَقُولُ هَذَا الْجَلِيدُ الشَّدِيدُ: أَهْلَكْتُ مَالًا كَثِيرًا، فِي عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْفَقْتُ ذَلِكَ فِيهِ، وَهُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ؛ وَهُوَ فَعْلٌ مِنَ التَّلْبُدِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ، بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، يُقَالُ مِنْهُ: لَبَدَ بِالْأَرْضِ يَلْبُدُ: إِذَا لَصَقَ بِهَا، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْأَمْصَارِ: ﴿مَا لَا لُبْدًا﴾
بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ، وَقَرَأَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بِتَشْدِيدِهَا.

وَالصَّوَابُ بِتَخْفِيفِهَا؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَيْظُنُّ هَذَا الْقَائِلُ
﴿أَهْلَكَتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ فِي حَالِ إِنْفَاقِهِ مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ أَنْفَقَهُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ

النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠ ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعُقَبَةَ﴾ ١١ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ﴾ ١٢ ﴿فَكَرَبَةَ﴾ ١٣ ﴿أَوْ اطَّعِمْنِي يَوْمَ ذِي مَسْعَةَ﴾ ١٤

يَسْمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ١٦ ﴿[البلد: ٨-١٦] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَمْ نَجْعَلْ

هَذَا الْقَائِلُ: ﴿أَهْلَكَتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ عَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا حُجَجَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلِسَانًا
يُعَبِّرُ بِهِ عَنِ نَفْسِهِ مَا أَرَادَ، وَشَفَتَيْنِ، نِعْمَةً مِنَّا بِذَلِكَ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَهَدَيْنَاهُ الطَّرِيقَيْنِ،

وَنَجْدٌ: طَرِيقٌ فِي ارْتِفَاعٍ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ

بَعْضُهُمْ: عَنِي بِذَلِكَ: نَجْدُ الْخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ

إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ،

وَأَبْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ: نَجْدُ الْخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرِّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: قَاطِعُ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣].

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَهَدَيْنَاهُ الثَّدْيَيْنِ: سَبِيلِي اللَّبَنِ الَّذِي يَتَغَذَّى بِهِ، وَيَنْبُتُ عَلَيْهِ لَحْمُهُ وَجِسْمُهُ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ.

وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا قَوْلَ فِي ذَلِكَ نَعْلَمُهُ غَيْرَ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَا؛ وَالثَّدْيَانِ، وَإِنْ كَانَا سَبِيلِي اللَّبَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِذْ عَدَدَ عَلَى الْعَبْدِ نِعْمَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] إِنَّمَا عَدَدَ عَلَيْهِ هِدَايَتَهُ إِلَيْهِ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ مِنْ نِعْمِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠٢٠)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في ضعيف

الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٦)، برقم (١٨٧٩).

اَفْتَحَامِهَا؟ فَقَالَ: اَفْتَحَامُهَا وَقَطْعُهَا فَكُ رَقَبَةٌ مِنَ الرَّقِّ، وَاسْرُ الْعُبُودَةِ، قَالَ الْحَسَنُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ: لَيْسَ مُسْلِمٌ يُعْتِقُ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، إِلَّا كَانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الرَّقَابِ أَيُّهَا أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَكْثَرُهَا ثَمَنًا»^(١).

وَعَنْ أَبِي نَجِيحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَيُّهَا مُسْلِمٌ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ، عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ؛ وَأَيُّهَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مِنْهُ مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا، عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهَا مِنَ النَّارِ»^(٢).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَهِيَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٩٠٣٨)، بلفظ: «أغلاها ثمنًا»، وقال محققوه: "إسناده حسن، خليفة بن

غالب صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين".

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٦٥)، وأحمد في المسند (١٧٠٢٢)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط مسلم، معدان بن أبي طلحة من رجاله، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابه فلم يخرج له سوى مسلم"، والحاكم في المستدرک (٤٣٧١)، وقال: "صحيح عال ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٢٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧٣٥٧)، وقال محققوه: "صحيح لغيره، وهذا إسناده ضعيف لانقطاعه"، وعند مسلم (١٥٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار».

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَهُ بَعْضُ قُرَاءِ مَكَّةَ وَعَامَّةُ قُرَاءِ
 الْبَصْرَةِ، عَنِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَمِنَ الْكُوفِيِّينَ: الْكِسَائِيُّ: (فَكَ رَقَبَةً أَوْ
 أَطْعَمَ)، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ يَحْتَجُّ فِيمَا بَلَغَنِي فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ
 الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كَانَ مَعْنَاهُ: كَانَ عِنْدَهُ، فَلَا فَكَ رَقَبَةً، وَلَا أَطْعَمَ، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ
 الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾
 عَلَى الْإِضَافَةِ ﴿أَوْ إِطْعَامًا﴾ عَلَى وَجْهِ الْمَصْدَرِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ
 وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءٌ مِنَ الْقُرَاءِ، وَتَأْوِيلٌ مَفْهُومٌ، فَبَيَّيْتُهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.
 فَقِرَاءَتُهُ إِذَا قُرِئَ عَلَى وَجْهِ الْفِعْلِ تَأْوِيلُهُ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، لَا فَكَ رَقَبَةً،
 وَلَا أَطْعَمَ، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ عَلَى
 التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَحْسَنُ مَخْرَجًا فِي الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِطْعَامَ
 اسْمٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فِعْلٌ، وَالْعَرَبُ تُؤَثِّرُ رَدَّ الْأَسْمَاءِ
 عَلَى الْأَسْمَاءِ مِثْلَهَا، وَالْأَفْعَالُ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَلَوْ كَانَ مَجِيءُ التَّنْزِيلِ ثُمَّ إِنْ كَانَ
 مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، كَانَ أَحْسَنَ، وَأُشْبِهَ بِالْإِطْعَامِ وَالْفِكَ مِنْ ثُمَّ كَانَ، وَلِذَلِكَ
 قُلْتُ: (فَكَ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ) أَوْجَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْآخِرِ، وَإِنْ كَانَ لِلْآخِرِ
 وَجْهُ مَعْرُوفٌ، وَوَجْهُهُ أَنْ تُضْمَرَ أَنْ ثُمَّ تُلْقَى.

وَإِذَا وَجَّهَ الْكَلَامُ إِلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿فَكَ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامًا﴾ تَفْسِيرًا
 لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾؟ هِيَ ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾

﴿١٢﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ ﴿﴾ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ [القارعة: ١٠] ثُمَّ قَالَ: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١] مُفَسِّرًا لِقَوْلِهِ: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] ثُمَّ قَالَ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْهَاوِيَةُ؟ هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ﴾ يَقُولُ: أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَجَاعَةٍ، وَالسَّاعِبُ: الْجَائِعُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يَقُولُ: أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ مَجَاعَةٍ صَغِيرًا لَا أَبَ لَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَهُوَ الْيَتِيمُ ذُو الْمَقْرَبَةِ؛ وَعُنِيَ بِذِي الْمَقْرَبَةِ: ذَا الْقَرَابَةِ، كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ: ذُو اللُّصُوقِ بِالتُّرَابِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سَاقِطٌ فِي التُّرَابِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْمُلتَرِّقُ بِالْأَرْضِ مِنَ الْحَاجَةِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْمُحْتَاجُ، كَانَ لَاصِقًا بِالتُّرَابِ، أَوْ غَيْرَ لَاصِقٍ؛ وَقَالُوا: إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَرَبَّ الرَّجُلُ: إِذَا افْتَقَرَ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ ذُو الْعِيَالِ الْكَثِيرِ الَّذِينَ قَدْ لَصِقُوا بِالتُّرَابِ مِنَ الضَّرِّ وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ قَوْلٌ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ: أَوْ مَسْكِينًا قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مُتْرَبَةً﴾ إِنَّمَا هِيَ مَفْعَلَةٌ مِنْ تَرَبَ الرَّجُلُ: إِذَا أَصَابَهُ التُّرَابُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [١٧] وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأْتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾ [البلد: ١٧-٢٠] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ثُمَّ كَانَ هَذَا الَّذِي قَالَ: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا لَبَدًا﴾ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيُؤْمِنُ مَعَهُمْ كَمَا آمَنُوا، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، يَقُولُ: وَمَنْ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا نَابَهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يَقُولُ: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْمَرْحَمَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ﴾ يَقُولُ: الَّذِينَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرْتَهَا، مِنْ فَكِّ الرَّقَابِ، وَإِطْعَامِ الْيَتِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأْتِنَا﴾ يَقُولُ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا وَحُجَجِنَا مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ يَقُولُ: هُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتِ الشَّمَالِ، وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْمَشْأَمَةِ، وَلَمْ قِيلَ لِلْيَسَارِ الْمَشْأَمَةُ فِيمَا مَضَى، بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلَيْهِمْ نَارُ جَهَنَّمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مُطَبَّقَةٌ؛ يُقَالُ مِنْهُ: أُؤَصِّدُ وَأَصِدْتُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

□

سُورَةُ الشَّمْسِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا خَمْسٌ عَشْرَةٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا نَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ [الشمس: ١-٨].

قَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ قَسَمٌ، أَقْسَمَ رَبُّنَا تَعَالَى ذِكْرُهُ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا؛ وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَقْسِمُ بِالشَّمْسِ، وَبِضُحَى الشَّمْسِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَضُحَاهَا﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَالشَّمْسِ وَالنَّهَارِ، وَكَانَ يَقُولُ: الضُّحَى: هُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، قَالَه قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَضُؤَيْهَا، قَالَه مُجَاهِدٌ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: أَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا؛ لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الظَّاهِرَةَ هُوَ النَّهَارُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا نَلَّهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالْقَمَرِ إِذَا تَبَعَ الشَّمْسَ، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، تَلَاهَا الْقَمَرُ طَالِعًا، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا نَلَّهَا: هَذَا قَسَمٌ، وَالْقَمَرُ يَتَلَوُ الشَّمْسَ نِصْفَ الشَّهْرِ الْأَوَّلِ، وَتَتَلَوُهُ النِّصْفَ الْآخَرَ، فَأَمَّا

النَّصْفُ الْأَوَّلُ فَهُوَ يَتْلُوهَا، وَتَكُونُ أَمَامَهُ وَهُوَ وَرَاءَهَا، فَإِذَا كَانَ النِّصْفُ
الْآخِرُ كَانَ هُوَ أَمَامَهَا يَقْدُمُهَا، وَتَلِيهِ هِيَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ يَقُولُ: وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، قَالَ: إِذَا أَصَاءَ،
قَالَ قَتَادَةُ: إِذَا غَشِيَهَا النَّهَارُ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِمَعْنَى:
وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَا الظُّلْمَةَ، وَيَجْعَلُ الهَاءَ وَالْأَلِفَ مِنْ جَلَّاهَا كِنَايَةً عَنِ الظُّلْمَةِ،
وَيَقُولُ: إِنَّمَا جازَ الكِنَايَةَ عَنْهَا، وَلَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ قَبْلُ، لِأَنَّ مَعْنَاهَا مَعْرُوفٌ، كَمَا
يُعْرَفُ مَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ: أَصْبَحَتْ بَارِدَةً، وَأَمْسَتْ بَارِدَةً، وَهَبَّتْ شَمَالًا،
فَكَانَتْ عَنْ مُؤْتَنَاتٍ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ، إِذْ كَانَ مَعْرُوفًا مَعْنَاهُنَّ.

وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ: مَا قَالَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ حَكَيْنَا قَوْلَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ
أَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ لِلَّذِي قَالَهُ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَجْهٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى
الشَّمْسَ، حَتَّى تَغِيبَ فَتُظْلِمَ الْأَفَاقُ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: إِذَا غَشَاهَا اللَّيْلُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَالسَّمَاءِ وَمَنْ بَنَاهَا، يَعْنِي:
وَمَنْ خَلَقَهَا، وَبَنَاؤُهُ إِيَّاهَا: تَصْيِيرُهُ إِيَّاهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا، وَبِنْحُو الَّذِي قُلْنَا فِي
ذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقِيلَ: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ وَهُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَانِيهَا، فَوَضَعَ مَا مَوْضِعَ مَنْ كَمَا قَالَ:
﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] فَوَضَعَ مَا فِي مَوْضِعِ مَنْ وَمَعْنَاهُ، وَمَنْ وَلَدَ؛ لِأَنَّهُ
قَسَمَ أَقْسَمَ بِأَدَمَ وَوَلَدِهِ، وَكَذَلِكَ: ﴿وَلَا تَتَكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ

النِّسَاءِ ﴿النساء: ٢٢﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٣] وَإِنَّمَا هُوَ: فَانكِحُوا مَنْ طَابَ لَكُمْ، وَجَائِزٌ تَوْجِيهِ ذَلِكَ إِلَى مَعْنَى الْمُصَدَّرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا، وَوَالِدٍ وَوِلَادَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ وَهَذِهِ أَيْضًا نَظِيرُ الَّتِي قَبْلَهَا، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَالْأَرْضِ وَمَنْ طَحَاهَا، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿طَحَاهَا﴾ بَسَطَهَا يَمِينًا وَشِمَالًا، وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿طَحَاهَا﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ فِيهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: وَمَا بَسَطَهَا، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: دَحَاهَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: وَمَا قَسَمَهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ نَفْسُهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَوَّى النَّفْسَ وَخَلَقَهَا، فَعَدَلَ خَلَقَهَا، فَوَضَعَ مَا مَوْضِعَ مَنْ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ أَيْضًا الْمُصَدَّرُ، فَيَكُونُ تَأْوِيلُهُ: وَنَفْسٍ وَتَسْوِيَّتِهَا، فَيَكُونُ الْقَسَمُ بِالنَّفْسِ وَتَسْوِيَّتِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَبَيَّنَ لَهَا مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَأْتِيَ أَوْ تَذَرِ مِنْ خَيْرٍ، أَوْ شَرٍّ أَوْ طَاعَةٍ، أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَفَهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: فَبَيَّنَ لَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِيهَا ذَلِكَ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ زَيْدٍ.
 الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ١٠ كَذَّبَتْ
 ثَمُودُ بِطَعُونِهَا ١١ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ
 فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥ ﴿[الشمس: ٩-١٥].

قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ يَقُولُ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، فَكَثَّرَ
 تَطْهِيرَهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْاصِي، وَأَصْلَحَهَا بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَبِنَحْوِ
 الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ،
 وَعِكْرَمَةُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْقَسَمِ كَمَا
 قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَدْ خَابَ فِي طَلْبَتِهِ،
 فَلَمْ يُدْرِكْ مَا طَلَبَ وَالتَّمَسَ لِنَفْسِهِ مِنَ الصَّلَاحِ ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ يَعْنِي: مَنْ
 دَسَّسَ اللَّهُ نَفْسَهُ فَأَحْمَلَهَا، وَوَضَعَ مِنْهَا، بِخُذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَى حَتَّى رَكِبَ
 الْمَعْاصِي، وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ، وَقِيلَ: دَسَّاهَا وَهِيَ دَسَّسَهَا، فَقُلِبَتْ إِحْدَى
 سِينَاتِهَا يَاءً، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَصْلَهَا،
 وَقَالَ سَعِيدٌ: مَنْ أَعْوَاهَا.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ يَقُولُ: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيَانِهَا، يَعْنِي: بِعَذَابِهَا الَّذِي وَعَدَهُمُوهُ صَالِحٌ عليه السلام، فَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ طَاغِيًا طَغَى عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللَّهُ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهَا، قَالَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ.

وَقِيلَ: ﴿طَغْوَاهَا﴾ بِمَعْنَى: طُغْيَانِهِمْ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ لِلتَّوْفِيقِ بَيْنَ رُؤُوسِ الْآيِ، إِذْ كَانَتِ الطَّغْوَى أَشْبَهَ بِسَائِرِ رُؤُوسِ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ [يونس: ١٠] بِمَعْنَى: وَآخِرُ دُعَائِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾ يَقُولُ: إِذْ تَارَ أَشْقَى ثَمُودَ، وَهُوَ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ، [رُوي] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ النَّاقَةَ، وَالَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا﴾: أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ^(١).

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي: أُحَيْمِرَ ثَمُودَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: صَالِحًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِثَمُودَ صَالِحٍ: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ احذروا نَاقَةَ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٩٤٢)، ومسلم، برقم (٢٨٥٥).

وَسُقِيَاهَا، وَإِنَّمَا حَذَّرَهُمْ سُقْيَا النَّاقَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَنَّ
لِلنَّاقَةِ شِرْبَ يَوْمٍ، وَهَمَّ شِرْبُ يَوْمٍ آخَرَ، غَيْرَ يَوْمِ النَّاقَةِ، عَلَى مَا قَدْ بَيَّنَّتْ فِيهَا
مَضَى قَبْلَ، وَكَمَا قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾: قَسَمَ
اللَّهُ الَّذِي قَسَمَ لَهَا مِنْ هَذَا الْمَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ يَقُولُ: فَكَذَّبُوا صَالِحًا فِي خَبَرِهِ الَّذِي
أَخْبَرَهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ شِرْبَ النَّاقَةِ يَوْمًا، وَهَمَّ شِرْبُ يَوْمٍ
مَعْلُومٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يَجْلُ بِهِمْ نِقْمَتَهُ، إِنْ هُمْ عَقَرُوهَا، كَمَا وَصَفَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
فَقَالَ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤]، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ
التَّكْذِيبُ بِالْعَقْرِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ جَازَ تَقْدِيمُ التَّكْذِيبِ قَبْلَ الْعَقْرِ،
وَالْعَقْرِ قَبْلَ التَّكْذِيبِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ وَقَعَ عَنْ سَبَبٍ حَسَنٍ ابْتِدَائِيًّا قَبْلَ
السَّبَبِ وَبَعْدَهُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: أَعْطَيْتَ فَأَحْسَنْتَ، وَأَحْسَنْتَ فَأَعْطَيْتَ؛ لِأَنَّ
الإِعْطَاءَ: هُوَ الإِحْسَانُ، وَمِنْ الإِحْسَانِ الإِعْطَاءُ، وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ الْعَقْرُ هُوَ
سَبَبُ التَّكْذِيبِ، جَازَ تَقْدِيمُ أَيِّ ذَلِكَ شَاءَ الْمُتَكَلِّمُ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ
قَوْلَهُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ كَلِمَةٌ مُكْتَفِيَةٌ بِنَفْسِهَا، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ جَوَابٌ
لِقَوْلِهِ: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَعَقَرَهَا، فَقَالَ:
وَكَيْفَ؟ قِيلَ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ قَبْلَ قَتْلِ النَّاقَةِ مُسْلِمِينَ،
لَهَا شِرْبُ يَوْمٍ، وَهَمَّ شِرْبُ يَوْمٍ آخَرَ، قِيلَ: جَاءَ الْخَبْرُ أَنَّهُمْ بَعْدَ تَسْلِيمِهِمْ
ذَلِكَ، أَجْمَعُوا عَلَى مَنَعِهَا الشُّرْبَ، وَرَضُوا بِقَتْلِهَا، وَعَنْ رِضَا جَمِيعِهِمْ قَتْلَهَا

قَاتِلْهَا، وَعَقْرَهَا مِنْ عَقْرَهَا وَلِذَلِكَ نُسِبَ التَّكْذِيبُ وَالْعَقْرُ إِلَى جَمِيعِهِمْ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ذَلِكَ، وَكُفِّرَهُمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ صَالِحًا، وَعَقْرَهُمْ نَاقَتَهُ ﴿فَسَوَّاهَا﴾، يَقُولُ: فَسَوَّى الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ جَمِيعِهِمْ، فَلَمْ يُفَلِّتْ مِنْهُمْ أَحَدًا، كَمَا [رُوي] عَنْ قَتَادَةَ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ أَحْمِرَ ثَمُودَ أَبِي أَنْ يَعْقِرَهَا، حَتَّى بَايَعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَذَكَرَهُمْ وَأُنثَاهُمْ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْمُ فِي عَقْرِهَا دَمَدَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا.

وَقَالَ الْحَسَنُ: لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ طَلَبُوا فَصِيلَهَا، فَصَارَ فِي قَارَةِ الْجَبَلِ، فَقَطَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَا يَخَافُ تَبَعَهُ دَمْدَمَتِهِ عَلَيْهِمْ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الْحَسَنُ: ذَاكَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا يَخَافُ تَبَعَهُ مِمَّا صَنَعَ بِهِمْ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: لَا يَخَافُ أَنْ يُتَّبَعَ بِشَيْءٍ مِمَّا صَنَعَ بِهِمْ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَلَمْ يَخَفِ الَّذِي عَقَرَهَا عُقْبَاهَا: أَيِ عُقْبَى فِعْلَتِهِ الَّتِي فَعَلَ، قَالَ ذَلِكَ الضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرْأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ: (فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) بِالْفَاءِ، وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي مَصَاحِفِهِمْ، وَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْعِرَاقِ فِي الْمَصْرَيْنِ بِالْوَاوِ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَصَاحِفِهِمْ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَتَّهَمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، غَيْرِ مُخْتَلِفَتَيْ الْمَعْنَى، فَبِأَيْتِهَمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُرْأَةُ فِي إِمَالَةٍ مَا كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَكَانَ يَفْتَحُ ذَلِكَ كُلَّهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ، وَيَمِيلُونَ مَا كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ، غَيْرِ عَاصِمٍ وَالْكَسَائِيِّ، فَإِنَّ عَاصِمًا كَانَ يَفْتَحُ جَمِيعَ ذَلِكَ، مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ وَذَوَاتِ الْيَاءِ، لَا يُضْجَعُ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ الْكَسَائِيُّ يَكْسِرُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو يَنْظُرُ إِلَى اتِّسَاقِ رُؤُوسِ الْآيِ، فَإِنَّ كَانَتْ مُتَّسِقَةً عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، أَمَالَ جَمِيعَهَا، وَأَمَّا عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ، فَأَيْتَهُمْ لَا يَمِيلُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَالَةَ الشَّدِيدَةِ، وَلَا يَفْتَحُونَهُ الْفَتْحَ الشَّدِيدَ، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ؛ وَأَفْصَحُ ذَلِكَ وَأَحْسَنُهُ: أَنْ يَنْظُرَ إِلَى ابْتِدَاءِ السُّورَةِ، فَإِنَّ كَانَتْ رُؤُوسُهَا بِالْيَاءِ، أُجْرِيَ جَمِيعُهَا بِالْإِمَالَةِ غَيْرِ الْفَاحِشَةِ، وَإِنْ كَانَتْ رُؤُوسُهَا بِالْوَاوِ، فَتَحَتْ جَرَى جَمِيعُهَا بِالْفَتْحِ غَيْرِ الْفَاحِشِ، وَإِذَا انْفَرَدَ نَوْعٌ مِنْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ، أَمِيلَ ذَوَاتِ الْيَاءِ إِلَّا مَالَةَ الْمُعْتَدِلَةِ، وَفُتِحَ ذَوَاتُ الْوَاوِ الْفَتْحَ الْمُتَوَسِّطِ، وَإِنْ أُمِيلَتْ هَذِهِ، وَفُتِحَتْ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ لِحْنًا، غَيْرَ أَنَّ الْفَصِيحَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ.

سُورَةُ اللَّيْلِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ١-١٠]، يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُتَقَسِّمًا بِاللَّيْلِ إِذَا غَشِيَ النَّهَارَ بِظُلْمَتِهِ، فَأَذْهَبَ ضَوْءَهُ، وَجَاءَتْ ظُلْمَتُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، النَّهَارَ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ وَهَذَا أَيْضًا قَسَمٌ، أَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا هُوَ أَضَاءَ فَأَنَارَ، وَظَهَرَ لِلْأَبْصَارِ، مَا كَانَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ قَدْ حَالَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُؤْيَيْهِ وَإِتْيَانِهِ إِيَّاهَا عِيَانًا، وَكَانَ قِتَادَةٌ يَذْهَبُ فِيهَا أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَقْسَمَ بِهِ لِعَظَمِ شَأْنِهِ عِنْدَهُ، كَمَا [رُوي عنه أنه] قال: آيَاتَانِ عَظِيمَتَانِ يُكَوِّرُهُمَا اللَّهُ عَلَى الْخَلَائِقِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: ٥-٦] وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ "مَا" بِمَعْنَى "مِنْ"، فَيَكُونُ ذَلِكَ قَسَمًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِخَالِقِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَىٰ، وَهُوَ ذَلِكَ الْخَالِقُ، وَأَنْ يُجْعَلَ "مَا" مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَعْنَى الْمُصْدَرِ، وَيَكُونُ قَسَمًا بِخَلْقِهِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ، وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّهَا

كَانَا يَقْرَأَنِ ذَلِكَ ﴿وَالذَّكْرَ وَالْأُنثَى﴾ وَيَأْتُرُهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾ يَقُولُ: إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ أَيُّهَا النَّاسُ؛ لِأَنَّ مِنْكُمْ الْكَافِرَ بَرِّهَ، وَالْعَاصِيَ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالْمُؤْمِنَ بِهِ، وَالْمُطِيعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ، وَالْكَلَامُ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى، وَكَذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ كَقَتَادَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِإِعْطَائِهِ مِنْ مَالِهِ، وَمَا وَهَبَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاتَّقَى اللَّهَ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَصَدَّقَ بِالْخَلْفِ مِنَ اللَّهِ، عَلَى إِعْطَائِهِ مَا أَعْطَى مِنْ مَالِهِ فِيمَا أَعْطَى فِيهِ مِمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِإِعْطَائِهِ فِيهِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَصَدَّقَ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ ذَلِكَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَصَدَّقَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: وَصَدَّقَ بِمَوْعُودِ اللَّهِ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.
 وَأَشْبَهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَأَوْلَاهَا بِالصَّوَابِ
 عِنْدِي: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ التَّصَدِيقُ بِالْحَلْفِ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَفَقَتِهِ وَإِنَّمَا قُلْتُ:
 ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قَبْلَهُ مُنْفِقًا أَنْفَقَ طَالِبًا
 بِنَفَقَتِهِ الْحَلْفَ مِنْهَا، فَكَانَ أَوْلَى الْمُعَانِي بِهِ أَنْ يَكُونَ الَّذِي عَقِبَهُ الْخَبْرُ عَنْ
 تَصَدِيقِهِ بِوَعْدِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِالْحَلْفِ إِذْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَرْضَاهُ، مَعَ
 أَنَّ الْخَبْرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ وَرَدَّ عَنْ أَبِي
 الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ
 إِلَّا وَبِجَنِّيهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ
 مُنْفِقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾
 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِلْعَسْرَى﴾^(١).

وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير ابن أبي حاتم - محققا (١٠ / ٣٤٤١)، برقم (١٩٣٦٥)، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا))، البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨ / ٥٣٨)، والطبراني في الدعاء (ص: ٤٥٩)، برقم (١٥٩٤)، والحاكم في المستدرک (٣٩٤٢)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يُعْتَقُ عَلَيَّ
 الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يُعْتَقُ عَجَائِرَ وَنِسَاءً إِذَا أَسْلَمَنَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَيُّ بُنْيَ،
 أَرَاكَ تُعْتَقُ أَنْاسًا ضِعْفَاءَ، فَلَوْ أَنَّكَ أَعْتَقْتَ رَجُلًا جُلْدًا يُقَوْمُونَ مَعَكَ،
 وَيَمْنَعُونَكَ، وَيُدْفَعُونَ عَنْكَ، فَقَالَ: أَيُّ أَبْتِ، إِنَّمَا أُرِيدُ، أَظُنُّهُ قَالَ: مَا عِنْدَ
 اللَّهِ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِي، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلَتْ فِيهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾
 ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنَسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿١﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَنَسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ يَقُولُ: فَسَنُهَيْتُهُ لِلْخَلَّةِ الْيُسْرَى، وَهِيَ
 الْعَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، لِيُوجِبَ لَهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 بِالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنَعَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ، مِنْ صَرْفِهِ فِي الْوُجُوهِ
 الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِصَرْفِهِ فِيهَا، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ، فَلَمْ يَرْغَبْ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ لَهُ
 بِطَاعَتِهِ، بِالزِّيَادَةِ فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ نَحْوَ
 اخْتِلَافِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ وَأَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ: مَعْنَاهُ: وَكَذَّبَ
 بِالْحَلْفِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: وَكَذَّبَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَكَذَّبَ بِالْجَنَّةِ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ.
وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَسَنِّيئِرُهُ فِي الدُّنْيَا لِلْخَلَّةِ
الْعُسْرَى، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ يَسَّرْتُ غَنَمَ فُلَانٍ: إِذَا وَلَدَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِلْوِلَادَةِ.
وَقِيلَ: ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وَلَا تَيْسَّرُ فِي الْعُسْرَى لِلَّذِي تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ
الْكَلَامِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ أَحَدُهُمَا ذِكْرُ
الْحَيْرِ، وَالْآخَرُ ذِكْرُ الشَّرِّ، جَازَ ذَلِكَ بِالتَّيْسِيرِ فِيهِمَا جَمِيعًا؛ وَالْعُسْرَى الَّتِي
أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُيسِّرُهَا: الْعَمَلُ بِمَا يَكْرَهُهُ وَلَا يَرْضَاهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي
قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَ الْأَثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كُنَّا
جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَكَّتِ الْأَرْضُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا
مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَقَ ۝
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝۱ فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى ۝۲ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝۳ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝۴ فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝۵﴾
(١) ﴿١٠﴾.

(١) أخرجه أحمد في المسند بهذا اللفظ (١١١٠)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط
الشيخين"، وأخرجه البخاري (٤٩٤٥ و ٤٩٤٧) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: قال: كنا مع النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بقيق الغرقد في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة،

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْعَمَلُ لِأَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ لِأَمْرٍ نَأْتِنُهُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيسَّرٍ لِعَمَلِهِ»^(١).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾^(١١) ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(١٢) ﴿وَلِإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾^(١٣) ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^(١٤) ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾^(١٥) ﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾^(١٦) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾^(١٧) ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(١٨) ﴿[الليل: ١١-١٨] يُعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ أَيُّ: شَيْءٍ يَدْفَعُ عَنْ هَذَا الَّذِي بَخَلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَعْنَى عَنْ رَبِّهِ، مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِذَا﴾ هُوَ ﴿تَرَدَّى﴾؟ ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ: إِذَا تَرَدَّى فِي جَهَنَّمَ: أَيُّ سَقَطَ فِيهَا فَهَوَى، قَالَ ذَلِكَ أَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِذَا مَاتَ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ.

وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: إِذَا تَرَدَّى فِي جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنَ التَّرَدِّي؛ فَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ مَعْنَى الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: رُدِّي فُلَانٌ، وَقَلَّمَا يُقَالُ: تَرَدَّى.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾ يُقَوْلُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَبْيَانَ الْحِجِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالطَّاعَةِ مِنَ الْمُعْصِيَةِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ.

ومقعده من النار»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر» ثم قرأ:...

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٤٦٠٠)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وقریباً من

هذا اللفظ أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ يَقُولُ: وَإِنَّ لَنَا مُلْكَ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، نُعْطِي مِنْهُمَا مَنْ أَرَدْنَا مِنْ خَلْقِنَا، وَنَحْرِمُهُ مَنْ شِئْنَا وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُوفِّقُ لِمَا يَشَاءُ مِنْ أَحَبِّ مَنْ خَلَقَهُ، فَيَكْرِمُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَهَيِّئُ لَهُ الْكِرَامَةَ وَالثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ خُذْلَانَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَنِ طَاعَتِهِ، فَيَهَيِّئُهُ بِمَعْصِيَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُخْزِيهِ بِعُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَنْذَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَارًا تَتَوَهَّجُ، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ، يَقُولُ: احذروا أَنْ تَعْصُوا رَبَّكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَكْفُرُوا بِهِ، فَتَصَلُّوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ: تَلَظَّى، وَإِنَّمَا هِيَ تَتَلَظَّى، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ مُسْتَقْبَلٌ، وَلَوْ كَانَ فِعْلًا مَاضِيًا لَقِيلَ: فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَطَّتْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَا يَدْخُلُهَا فَيَصَلِّي بِسَعِيرِهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يَقُولُ: الَّذِي كَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ يُأْبَى، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: وَمَنْ يُأْبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَقَرَأَ: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ يَقُولُ: وَسَيُوقَى صِلَى النَّارِ الَّتِي تَلَظَّى التَّقِيُّ، وَوُضِعَ أَفْعَلُ مَوْضِعَ فَعِيلٍ، كَمَا قَالَ طَرَفَةُ:

تَمَّتْ رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمْتُ *** فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ يَقُولُ: الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ فِي الدُّنْيَا فِي حُقُوقِ اللَّهِ الَّتِي أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا ﴿يَتَزَكَّى﴾ يَعْنِي: يَتَطَهَّرُ بِإِعْطَائِهِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِ. الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [سُورَةُ بَرَاءَةِ: ٢١-١٩] كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يُوَجِّهُ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَيَّ: وَمَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عِنْدَ هَذَا الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَتَزَكَّى ﴿مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ يَعْنِي: مِنْ يَدٍ يُكَافِئُهُ عَلَيْهَا، يَقُولُ: لَيْسَ يُنْفَقُ مَا يُنْفَقُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُعْطِي مَا يُعْطِي، مُجَازَاةَ إِنْسَانٍ يُجَازِيهِ عَلَى يَدٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَلَا مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى نِعْمَةٍ سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ، أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ يُؤْتِيهِ فِي حُقُوقِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، قَالَ: وَإِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى لَكِنْ؛ وَقَالَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ فِي الْمُكَافَأَةِ مُسْتَقْبَلًا، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: وَلَمْ يَرُدَّ بِمَا أَنْفَقَ مُكَافَأَةً مِنْ أَحَدٍ، وَيَكُونُ مَوْقِعُ اللَّامِ الَّتِي فِي أَحَدٍ فِي الْهَاءِ الَّتِي حَفَضَتْهَا عِنْدَهُ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: وَمَا لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ فِيمَا أَنْفَقَ مِنْ نِعْمَةٍ يَلْتَمِسُ ثَوَابَهَا، قَالَ: وَقَدْ تَضَعُ الْعَرَبُ الْحَرْفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا، وَاسْتَشْهَدُوا لِذَلِكَ بِبَيْتِ النَّبِغَةِ:

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي *** عَلَى وَعِلِّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلِ

وَالْمَعْنَى: حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَةً وَعِلِّ عَلَى مَخَافَتِي، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الَّذِي حَكَيْنَا قَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِمَّا يَجُوزُ هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي جَاءَتْ

بِهِ الْأَثَارُ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، وَقَالُوا: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ بَعْتَقِهِ مَنْ أَعْتَقَ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَعَبَدُ اللَّهِ^(١).

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ، أَعْتَقَ نَاسًا لَمْ يَلْتَمِسْ مِنْهُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، مِنْهُمْ بِلَالٌ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ.

وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ هَؤُلَاءِ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ نَصْبًا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: وَمَا يُؤْتِي الَّذِي يُؤْتِي مِنْ مَالِهِ مُلْتَمِسًا مِنْ أَحَدٍ ثَوَابَهُ، إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَصَبُهُ عَلَى مُحَالَفَةِ مَا بَعْدُ إِلَّا مَا قَبْلَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ يَقُولُ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ هَذَا الْمُؤْتَى مَالَهُ فِي حُقُوقِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، يَتَزَكَّى بِمَا يُشْبِهُهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ عَوَظًا مِمَّا آتَى فِي الدُّنْيَا فِي سَبِيلِهِ، إِذَا لَقِيَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

□

(١) يعني ابن الزبير كما في أسباب النزول، للواحد (ص: ٤٨٠)، تحقيق: زغلول.

سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ③﴾
 وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥
 وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ⑧ ﴿[الضحى: ١-٨] أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ بِالضُّحَى، وَهُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَحِيَّ فُلَانٌ
 لِلشَّمْسِ: إِذَا ظَهَرَ مِنْهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾
 [طه: ١١٩] أَي لَا يُصِيبُكَ فِيهَا الشَّمْسُ، وَقَدْ ذَكَرْتُ اخْتِلَافَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي
 مَعْنَاهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] مَعَ ذِكْرِي اخْتِيَارَنَا فِيهِ.
 وَقِيلَ: عُنِيَ بِهِ وَقْتُ الضُّحَى، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ
 بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَاللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ بِظِلَامِهِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِذَا ذَهَبَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: إِذَا اسْتَوَى وَسَكَنَ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ،
 وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي فِي ذَلِكَ قَوْلٌ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ: وَاللَّيْلُ إِذَا سَكَنَ بِأَهْلِهِ، وَثَبَّتْ بِظِلَامِهِ، كَمَا يُقَالُ: بَحْرٌ سَاجٍ: إِذَا كَانَ سَاكِنًا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ أَعْشَى بَنِي ثَعْلَبَةَ:

فَمَا ذُنُبَنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ *** وَبَحْرُكَ سَاجٍ مَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا
وَقَوْلُ الرَّاجِزِ:

يَا حَبَدًا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجِ *** وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَاجِ
وَقَوْلُهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، وَمَعْنَاهُ: مَا تَرَكَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ وَمَا أَبْغَضَكَ، وَقِيلَ: ﴿وَمَا قَلَى﴾ وَمَعْنَاهُ، وَمَا قَلَاكَ، اكْتِفَاءً بِفَهْمِ السَّامِعِ لِمَعْنَاهُ، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ فَعَرِفَ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكْذِيبًا مِنْ اللَّهِ قُرَيْشًا فِي قِيلِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، لَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ: قَدْ وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبَّهُ وَقَلَاهُ.
وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جُنْدُبًا الْبَجَلِيَّ قَالَ: قَالَتِ امْرَأَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَرَى صَاحِبِكَ إِلَّا قَدْ أَبْطَأَ عَنْكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(١)

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (١٧٩٧).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلِلدَّارِ
الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الدَّارِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ يَقُولُ: فَلَا
تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، فَإِنَّ الَّذِي لَكَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكَ مِنْهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمِهِ، حَتَّى تَرْضَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُعَدِّدًا عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعَمَهُ عِنْدَهُ، وَمَذْكِرَهُ الْآءِ قَبْلَهُ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَا مُحَمَّدُ رَبَّكَ يَتِيمًا
فَآوَى، يَقُولُ: فَجَعَلَ لَكَ مَأْوَى تَأْوِي إِلَيْهِ، وَمَنْزِلًا تَنْزِلُهُ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى﴾ وَوَجَدَكَ عَلَى غَيْرِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ عَلَى
أَمْرِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَقِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَوَجَدَكَ فِي قَوْمٍ ضَالِّينَ فَهَدَاكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يَقُولُ: وَوَجَدَكَ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ، يُقَالُ
مِنْهُ: عَالَ فُلَانٌ يُعِيلُ عَيْلَةً، وَذَلِكَ إِذَا افْتَقَرَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ *** وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجَلُ

يَعْنِي: مَتَى يَفْتَقِرُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ سُفْيَانُ، وَقَتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝١ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ٩-١١] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ يَقُولُ: فَلَا تَظْلِمْهُ،
فَتَذَهَبُ بِحَقِّهِ، اسْتِضْعَافًا مِنْكَ لَهُ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ يَقُولُ: وَأَمَّا مَنْ سَأَلَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ فَلَا تَنْهَرَهُ، وَلَكِنْ أَطْعِمَهُ وَأَقْضِ لَهُ حَاجَتَهُ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ يَقُولُ: فَادْكُرْهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ مُجَاهِدٌ.

□

سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَمَانٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ [الشرح: ١-٨] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُذَكِّرُهُ الْآءَهُ عِنْدَهُ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، حَاضًّا لَهُ بِذَلِكَ عَلَى شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، لِيَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنْهُ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ ﴿١﴾ يَا مُحَمَّدُ، لِلْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ﴿٢﴾ صَدْرَكَ ﴿٣﴾ فَنَلِينُ لَكَ قَلْبَكَ، وَنَجْعَلُهُ وَعَاءً لِلْحِكْمَةِ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٣﴾ يَقُولُ: وَعَفَرْنَا لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَحَطَطْنَا عَنْكَ ثِقَلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كُنْتَ فِيهَا؛ وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فِيمَا ذُكِرَ: «وَحَلَلْنَا عَنْكَ وَفَرَكَ» ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ يَقُولُ: الَّذِي أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْبَعِيرِ إِذَا كَانَ رَجِيعَ سَفَرٍ، قَدْ أَوْهَنَهُ السَّفَرُ، وَأَذْهَبَ حِمْمَهُ: هُوَ نَقْضُ سَفَرٍ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ يَقُولُ: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ، فَلَا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، وَذَلِكَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّ مَعَ الشَّدَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، مِنْ جِهَادٍ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ أَوْلَاهِ: مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ، رَجَاءٌ وَفَرَجًا بَأَنْ يُظْفِرَكَ بِهِمْ، حَتَّى يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، قَالَ ذَلِكَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: يَتَّبِعُ الْيُسْرَ الْعُسْرَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ، فَانصَبْ إِلَى رَبِّكَ فِي الدُّعَاءِ، وَسَلِّهِ حَاجَاتِكَ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالصَّحَّاحُ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكَ ﴿فَانصَبْ﴾ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، قَالَ ذَلِكَ الْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ، فَانصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، أَمَرَ نَبِيِّهِ أَنْ يَجْعَلَ فَرَاغَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ بِهِ مُشْتَغَلًا، مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهِ وَآخِرَتِهِ، مِمَّا أَدَّى لَهُ الشُّغْلَ بِهِ، وَأَمْرُهُ بِالشُّغْلِ بِهِ إِلَى النَّصَبِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالِاشْتِغَالِ فِيهَا قَرَبَهُ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِهِ حَاجَاتِهِ، وَلَمْ يُخَصَّصْ بِذَلِكَ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ دُونَ حَالٍ، فَسَوَاءٌ كُلُّ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ، مِنْ صَلَاةٍ كَانَ فَرَاغُهُ، أَوْ جِهَادٍ، أَوْ أَمْرِ دُنْيَا

كَانَ بِهِ مُشْتَعَلًا، لِعُمُومِ الشَّرْطِ فِي ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ خُصُوصِ حَالِ فَرَاعٍ، دُونَ حَالِ أُخْرَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالِى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالِى رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ فَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ قَدْ جَعَلُوا رَغْبَتَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ إِلَى الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ.

□

سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَمَانٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿[التين: ١-٦]، اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾ فقال بعضهم: عني بالتين: التين الذي يؤكل، والزيتون: الزيتون الذي يُعَصَّرُ.

قَالَ ذَلِكَ الْحَسَنُ، وَعِكْرَمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَالْكَلْبِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: التين: مَسْجِدُ دِمَشْقَ، وَالزَّيْتُونَ: بَيْتُ الْمُقَدَّسِ، قَالَ ذَلِكَ كَعْبٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَعِكْرَمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: التين: مَسْجِدُ نُوحٍ، وَالزَّيْتُونَ: مَسْجِدُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: قَوْلُ مَنْ قَالَ: التين: هُوَ التينُ الَّذِي يُؤْكَلُ، وَالزَّيْتُونَ: هُوَ الزَّيْتُونُ الَّذِي يُعَصَّرُ مِنْهُ الزَّيْتُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَلَا يُعْرَفُ جَبَلٌ يُسَمَّى تِينًا، وَلَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ: زَيْتُونٌ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَقْسَمَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالتينِ وَالزَّيْتُونِ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ: الْقَسَمُ بِمَنَابِتِ التينِ، وَمَنَابِتِ الزَّيْتُونِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَذْهَبًا، وَإِنْ لَمْ

يَكُنْ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَذَلِكَ، دَلَالَةٌ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلَا مِنْ قَوْلٍ مَنْ لَا
يَجُوزُ خِلَافُهُ؛ لِأَنَّ دِمَشْقَ بِهَا مَنَابِتُ التِّينِ، وَبَيْتُ الْمُقَدَّسِ مَنَابِتُ الزَّيْتُونِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ
جَبَلُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَمَسْجِدُهُ، قَالَ ذَلِكَ
قَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الطُّورُ: هُوَ كُلُّ جَبَلٍ يُنْبِتُ.

وَقَوْلُهُ ﴿سَيْنِينَ﴾ حَسَنٌ، قَالَ ذَلِكَ عِكْرِمَةُ، وَهِيَ لُغَةُ الْحَبَشَةِ، يَقُولُونَ
لِلشَّيْءِ الْحَسَنِ: سَيْنَا سَيْنَا، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْجَبَلُ، وَقَالُوا: سَيْنِينَ: مُبَارَكٌ حَسَنٌ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ،
وَقَتَادَةُ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: طُورُ سَيْنِينَ: جَبَلٌ
مَعْرُوفٌ؛ لِأَنَّ الطُّورَ هُوَ الْجَبَلُ ذُو النَّبَاتِ، فَإِضَافَتُهُ إِلَى سَيْنِينَ تَعْرِيفٌ لَهُ،
وَلَوْ كَانَ نَعْتًا لِلطُّورِ، كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ حَسَنٌ أَوْ مُبَارَكٌ، لَكَانَ الطُّورُ
مُنَوَّنًا، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُضَافُ إِلَى نَعْتِهِ، لِغَيْرِ عِلَّةٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يَقُولُ: وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ مِنْ أَعْدَائِهِ أَنْ يُجَارِبُوا
أَهْلَهُ، أَوْ يَغْزُوهُمْ، وَقِيلَ: الْأَمِينُ، وَمَعْنَاهُ: الْأَمْنُ، وَهَذَا كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾
[العنكبوت: ٦٧]، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مَكَّةَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا

فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَكَعْبٌ، وَالْحُسَيْنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَإِبْرَاهِيمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: فِي أَعْدَلِ خَلْقٍ، وَأَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْكَلْبِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾، فَبَلَّغْنَا بِهِ اسْتِوَاءَ سَبَابِهِ وَجَلَدِهِ وَقُوَّتِهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ، وَأَعْدَلُ مَا يَكُونُ وَأَقْوَمُهُ، قَالَ ذَلِكَ عِكْرِمَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَيَوَانِ إِلَّا وَهُوَ مُنْكَبٌ عَلَى وَجْهِهِ غَيْرَ الْإِنْسَانِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ صُورَةٍ وَأَعْدَلَهَا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إِنَّمَا هُوَ نَعْتٌ لِمَحْدُوفٍ، وَهُوَ فِي تَقْوِيمِ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: لَقَدْ خَلَقْنَاهُ فِي تَقْوِيمِ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى أَرْضِ الْعُمَرِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَقَتَادَةُ، وَعِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى النَّارِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ، قَالَ ذَلِكَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّحَّةِ، وَأَشْبَهَهَا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلَ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى أَرْضِ الْعُمَرِ، إِلَى عُمَرِ الْخُرْفِيِّ، الَّذِينَ ذَهَبَتْ عُقُوبَتُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ وَالْكِبَرِ، فَهُوَ فِي أَسْفَلَ مِنْ سَفَلٍ، فِي إِدْبَارِ الْعُمَرِ وَذَهَابِ الْعَقْلِ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: هَذَا الْقَوْلُ أَوْلَى بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، أَخْبَرَ عَنْ خَلْقِهِ ابْنَ آدَمَ، وَتَضَرِّيفِهِ فِي الْأَحْوَالِ، اِحْتِجَاجًا بِذَلِكَ عَلَى مُنْكَرِي قُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلَدِينَ﴾ [التين: ٧] يَعْني: بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ، وَمَحَا أَنْ يُحْتَجَّ عَلَى قَوْمٍ كَانُوا مُنْكَرِينَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، بِمَا كَانُوا لَهُ مُنْكَرِينَ. وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بِمَا لَا يَقْدِرُوا عَلَى دَفْعِهِ، مِمَّا يُعَايِنُونَهُ وَيَحْسُونَهُ، أَوْ يَقْرُونَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا لَهُ مُحْسِنِينَ.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ لِلنَّارِ الَّتِي كَانَ اللَّهُ يَتَوَعَّدُهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ مُنْكَرِينَ، وَكَانُوا لِأَهْلِ الْهَرَمِ وَالْخُرْفِ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ وَالْجِلْدِ شَاهِدِينَ، عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا احْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا لَهُ مُعَانِينَ، مِنْ تَضَرِّيفِهِ خَلْقَهُ،

وَنَقَلَهُ إِيَّاهُمْ مِنْ حَالِ التَّقْوِيمِ الْحَسَنِ وَالشَّبَابِ وَالْجَلْدِ، إِلَى الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ
وَفَنَاءِ الْعُمُرِ، وَحُدُوثِ الْخَرْفِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦] اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي
مَعْنَى هَذَا الْإِسْتِثْنَاءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ صَحِيحٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، قَالُوا: وَإِنَّمَا جَازَ اسْتِثْنَاءُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ، وَهُمْ جَمْعٌ، مِنْ الْهَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ وَهِيَ كِنَايَةٌ لِلْإِنْسَانِ،
وَالْإِنْسَانُ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ كَانَ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى
الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْجِنْسِ، كَمَا قِيلَ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾
[العصر: ١-٢]، قَالُوا: وَكَذَلِكَ جَازَ أَنْ يُقَالَ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾
فِيَصَافٍ أَفْعَلٍ إِلَى جَمَاعَةٍ، وَقَالُوا: وَلَوْ كَانَ مَقْصُودًا بِهِ قَصْدَ وَاحِدٍ بَعَيْنِهِ، لَمْ
يَجْزِ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُقَالَ: هَذَا أَفْضَلُ قَائِمِينَ، وَلَكِنْ يُقَالَ: هَذَا أَفْضَلُ قَائِمٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَدْ يَدْخُلُونَ فِي الَّذِينَ
رُدُّوا إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِينَ؛ لِأَنَّ أَرْدَلَ الْعُمُرِ قَدْ يَرُدُّ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، قَالُوا:
وَإِنَّمَا اسْتِثْنَى قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِنْ مَعْنَى مُضْمَرٍ فِي قَوْلِهِ:
﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قَالُوا: وَمَعْنَاهُ: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، فَذَهَبَتْ
عُقُولُهُمْ وَخَرِفُوا، وَانْقَطَعَتْ أَعْمَاهُمْ، فَلَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَسَنَةٌ ﴿إِلَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَإِنَّ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْخَيْرِ، فِي حَالِ صِحَّةِ
عُقُولِهِمْ، وَسَلَامَةِ أَبْدَانِهِمْ، جَارٍ لَهُمْ بَعْدَ هَرَمِهِمْ وَخَرْفِهِمْ وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ

يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعًا، لِأَنَّهُ يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٥-٦]، هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ، بَعْدَ أَنْ يَرَدَّ أَسْفَلَ سَافِلِينَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ وَيَتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ فِي جَهَنَّمَ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥﴾، فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مُسْتَثْنُونَ مِنَ الْهَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ وَجَازَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ مِنْهَا إِذْ كَانَتْ كِنَايَةً لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٢-٣]، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ. وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّحَّةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فِي حَالِ صِحَّتِهِمْ وَشَبَابِهِمْ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ بَعْدَ هَرَمِهِمْ، كَهَيْئَةِ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فِي حَالِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ عَلَى الْعَمَلِ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ لِمَا وَصَفْنَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِأَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَنقُوصٍ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: غَيْرٌ مَحْسُوبٍ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ: فَالَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَقْطُوعٍ.

وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: فَالَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَنقُوصٍ، كَمَا كَانَ لَهُ أَيَّامٌ صِحَّتِهِ وَشَبَابِهِ، وَهُوَ عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَلٌ مَنِينٌ: إِذَا كَانَ ضَعِيفًا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالِّينِ ۗ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين: ٧-٨] اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ: فَمَنْ يُكْذِبُكَ يَا مُحَمَّدٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا، بِالذِّينِ، يَعْنِي: بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمَا بَعَثَكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟ قَالُوا: مَا فِي مَعْنَى مِنْ؛ لِأَنَّهُ عُنِيَ بِهِ ابْنُ آدَمَ، وَمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿بَعْدُ﴾ هَذِهِ الْحُجَجِ ﴿بِالذِّينِ﴾.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ لَهُ: اسْتَيْقِنْ مَعَ مَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْبَيَانِ، أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى مَا مَعْنَى
 مَنْ، وَوَجْهُ تَأْوِيلِ الْكَلَامِ إِلَى: فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ هَذَا
 الْبَيَانِ مِنَ اللَّهِ بِالذِّينِ؟ يَعْنِي: بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمُجَازَاتِهِ الْعِبَادَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ
 تَأَوَّلَ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَعْنَى: فَمَا الَّذِي يُكَذِّبُكَ بِأَنَّ النَّاسَ يُدَانُونَ
 بِأَعْمَالِهِمْ؟ وَكَأَنَّهُ قَالَ: فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَكْذِيبِكَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، بَعْدَ مَا
 تَبَيَّنَ لَهُ خَلْقُنَا الْإِنْسَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَا؟

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿بِالذِّينِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِالْحِسَابِ، قَالَ ذَلِكَ
 عِكْرِمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: بِحُكْمِ اللَّهِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: الذِّينُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ:
 الْجُزَاءُ وَالْحِسَابُ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ مَعَانِي الذِّينِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْجُزَاءُ
 وَالْحِسَابُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ مَعَانِي الذِّينِ الْحُكْمَ
 فِي كَلَامِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِذَلِكَ: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ
 بِهِ عَلَيْكَ أَنْ تُطِيعَهُ فِيهِ؟ فَيَكُونُ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ
 بِأَحْكَمَ مِنْ حَكَمِ فِي أَحْكَامِهِ، وَفَصَلَ قَضَائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ؟

سُورَةُ الْعَلَقِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ عَشْرَةٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ [العلق: ١-٨].

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿١﴾ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ بِذِكْرِ رَبِّكَ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ ﴿٣﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: "الْقَلَمُ: نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُمْ، وَلَمْ يَصْلُحْ عَيْشٌ".

وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَلِكَ عَائِشَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، وَعُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ، وَأَبُو رَجَاءٍ الْعَطَّارِيُّ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ، مَعَ أَشْيَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا عَلَّمَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنْعَمَ عَلَيْهِ رَبُّهُ بِتَسْوِيَّتِهِ خَلْقَهُ، وَتَعْلِيمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَإِنْعَامِهِ بِمَا لَا كُفُوَ لَهُ، ثُمَّ يَكْفُرُ بِرَبِّهِ الَّذِي فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَيَطْغَى عَلَيْهِ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ۖ ﴿١٠٠﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى ۖ﴾ يَقُولُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى رَبِّهِ، فَيَكْفُرُ بِهِ، لِأَن رَأَى نَفْسَهُ اسْتَعْنَتْ، وَقِيلَ: أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى لِحَاجَةِ رَأَى إِلَى اسْمٍ وَخَيْرٍ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ الْعَرَبُ فِي كُلِّ فِعْلٍ اقْتَضَى الْإِسْمَ وَالْفِعْلَ، إِذَا أَوْقَعَهُ الْمُخْبِرُ عَنِ نَفْسِهِ عَلَى نَفْسِهِ، مُكْنِيًا عَنْهَا فَيَقُولُ: مَتَى تَرَكَ خَارِجًا؟ وَمَتَى تَحْسِبُكَ سَائِرًا؟ فَإِذَا كَانَ الْفِعْلُ لَا يَقْتَضِي إِلَّا مَنْصُوبًا وَاحِدًا، جَعَلُوا مَوْضِعَ الْمَكْنَى نَفْسَهُ، فَقَالُوا: قَتَلْتَ نَفْسَكَ، وَلَمْ يَقُولُوا: قَتَلْتَكَ وَلَا قَتَلْتَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ مَرْجِعُهُ، فَذَائِقُ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ مَا لَا قَبْلَ لَهُ بِهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿١٠١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠٢﴾﴾ [العلق: ٩-١٠] ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَمَا بَعْدَهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا بَلَّغْنَا: لَيْنَ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا يُصَلِّي، لِأَطَّانَ رَفِئْتَهُ؛ وَكَانَ فِيمَا ذُكِرَ قَدْ نَهَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ أَبَا جَهْلٍ الَّذِي يَنْهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنِ الْحَقِّ، مُكَذِّبٌ بِهِ، يُعَجِّبُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَهْلٍ أَبِي جَهْلٍ، وَجَرَائِئِهِ عَلَى رَبِّهِ، فِي نَهْيِهِ مُحَمَّدًا عَنِ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ، وَهُوَ مَعَ أَيَادِيهِ عِنْدَهُ مُكَذِّبٌ بِهِ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَجَاءَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَنَهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿١٠﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١١﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ [العلق: ١٦].

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾﴾ [العلق: ١١-١٢] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ﴿١١﴾ عَلَى الْهُدَى﴾ يَعْنِي: عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَسَدَادٍ فِي صَلَاتِهِ لِرَبِّهِ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَوْ أَمَرَ مُحَمَّدًا هَذَا الَّذِي يَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ، بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَخَوْفِ عِقَابِهِ، قَالَ ذَلِكَ قِتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾﴾ [العلق: ١٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ ﴿١٣﴾ أَبُو جَهْلٍ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا، ﴿١٣﴾ وَتَوَلَّى﴾ يَقُولُ: وَأَدْبَرَ عَنْهُ، فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ، قَالَ ذَلِكَ قِتَادَةُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ﴿١٦﴾ فَلْيُعْذِرْ نَادِيَهُ، ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ ﴿١٩﴾ [العلق: ١٤-١٥].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَمْ يَعْلَم أَبُو جَهْلٍ إِذْ يَنْهَى مُحَمَّدًا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالصَّلَاةِ لَهُ، بِأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ فَيَخَافُ سَطْوَتَهُ وَعِقَابَهُ. وَقِيلَ: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى، ﴿١١﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، ﴿١١﴾ فَكُرِّرْتَ أَرَأَيْتَ مَرَّاتٍ ثَلَاثًا عَلَى الْبَدَلِ، وَالْمَعْنَى: ﴿١١﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿١١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾، وَهُوَ مُكَذِّبٌ مُتَوَلِّئٌ عَنْ رَبِّهِ، أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَئِن لَّرَبَّنَا﴾ يَقُولُ: لَيْسَ كَمَا قَالَ: إِنَّهُ يَطَأُ عُنُقَ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ، قَوْلُهُ: ﴿لَئِن لَّرَبَّنَا﴾، يَقُولُ: ﴿لَئِن لَّرَبَّنَا﴾ أَبُو جَهْلٍ عَنْ مُحَمَّدٍ، ﴿لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ يَقُولُ: لِنَأْخُذَنَّ بِمُقَدِّمِ رَأْسِهِ، فَلْنُضْمِنَهُ وَلِنُدَلِّلَنَّهُ؛ يُقَالُ مِنْهُ: سَفَعْتُ بِيَدِهِ: إِذَا أَخَذْتَ بِيَدِهِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ ﴿لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ وَالْمَعْنَى: لِنَسُودَنَّ وَجْهَهُ، فَانْتَفَى بِذِكْرِ النَّاصِيَةِ مِنَ الْوَجْهِ كُلِّهِ، إِذْ كَانَتْ النَّاصِيَةُ فِي مُقَدِّمِ الْوَجْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَى ذَلِكَ: لِنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وَقَوْلُهُ: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبِي خَاطِئَةٍ﴾ فَخَفَضَ نَاصِيَةً رَدًّا عَلَى النَّاصِيَةِ الْأُولَى بِالتَّكْرِيرِ، وَوَصَفَ النَّاصِيَةَ بِالْكَذِبِ وَالْخَطِيئَةِ، وَالْمَعْنَى لِصَاحِبِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلْيَدْعُ أَبُو جَهْلٍ أَهْلَ مَجْلِسِهِ وَأَنْصَارَهُ، مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ، وَالنَّادِي: هُوَ الْمَجْلِسُ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ فِيمَا بَلَّغْنَا؛ لِأَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمَّا نَهَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْمَقَامِ، انْتَهَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَغْلَظَ لَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: عَلَامَ يَتَوَعَّدُنِي مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا؟ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَئِن لَّرَبَّنَا لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾، فَلْيَدْعُ حِينْتِدُّ نَادِيَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ دَعَا نَادِيَهُ، دَعَوْنَا الزَّبَانِيَةَ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ جَاءَتْ الْأَخْبَارُ.

وَقَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: ذِكْرُ الْإِنْتَارِ الْمُرُويَّةِ فِي ذَلِكَ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنُحَكَّ عَنْ هَذَا؟ وَتَوَعَّدَهُ، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْتَهَرَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَدَّعُ الرِّبَانِيَةَ ﴿﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، أَخَذَتْهُ رَبَانِيَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَتُنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ، لِأَطَّانَ عَلَى رَقَبَتِهِ، لِأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَأَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَيَبْتَقِي بِيَدَيْهِ؛ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهُوَ لَا وَأَجْنِحَةٌ؛ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا» (٢)، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ، لَا أَدْرِي

فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْعَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ لَهْدَىٰ (١١) أَوْ أَمْرًا لِلنُّفُوسِ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣)

(١) ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٧٥)، وقال: "قلت: وإسناده صحيح على

شرط مسلم".

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٩٧).

﴿يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ﴾ ﴿الرَّيْعَمُ أَنَّ اللَّهَ رَى﴾ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِنَةٍ ﴿١٦﴾
 فَيَدْعُو نَادِيَهُ. ﴿يَدْعُو قَوْمَهُ﴾ ﴿سَدَعُ الزَّيْنَةِ﴾، الْمَلَائِكَةُ ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُهُ وَأَسْجُدُ وَأَقْتَرِبُ﴾ ﴿١﴾.
 وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِن رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكُعْبَةِ، لَا تَبْنِيَهُ حَتَّى أَطَّأَ عَلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ فَعَلَ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا» ﴿٢﴾.
 وَبِالَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى النَّادِي قَالَ أَهْلُ التَّوِيلِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَجُجَاهِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْهُذَيْلِ، وَقَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ أَبُو جَهْلٍ، إِذْ يَنْهَى مُحَمَّدًا عَنِ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالصَّلَاةِ لَهُ، ﴿لَا تُطِيعُهُ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُطِيعُ أَبَا جَهْلٍ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ لِرَبِّكَ ﴿وَأَسْجُدْ﴾ لِرَبِّكَ ﴿وَأَقْتَرِبْ﴾ مِنْهُ، بِالتَّحَبُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ أَبَا جَهْلٍ لَنْ يَقْدِرَ عَلَى صَرْكَ، وَنَحْنُ نَمْنَعُكَ مِنْهُ.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٧٩٧)، وأحمد في المسند، برقم (٨٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٤٩٥٨)، بدون لفظة: «عيانًا»، فهي في رواية الترمذي، برقم

(٣٣٤٨)، وأحمد في المسند، برقم (٣٤٨٣).

سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا خَمْسٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَلَ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَّمَتْهُنَّ حَتَّىٰ مَطْلَعِ
الْفَجْرِ (٥) [القدر: ١-٥].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّا أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي
لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْحُكْمِ الَّتِي يَقْضِي اللَّهُ فِيهَا قَضَاءَ السَّنَةِ؛ وَهُوَ مَصْدَرٌ
مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرَ، فَهُوَ يَقْدُرُ قَدْرًا.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا
أَنْزَلَهُ مِنْهُ حَتَّىٰ جَمَعَهُ" (١).

وَقَالَ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةٍ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً،
ثُمَّ فُرِّقَ فِي السَّنِينَ، وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾
[الواقعة: ٧٥]، قَالَ: نَزَلَ مُتَفَرِّقًا" (٢)، وَقَالَ ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، برقم (٣٧٨١)، وقال: "هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه"، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم (٢٠٥٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ يَقُولُ: وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ شَيْءٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: الْعَمَلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ، خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي غَيْرِهَا أَلْفَ شَهْرٍ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَعَمَرُو بْنُ قَيْسٍ الْمَلَائِيُّ.
وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَأَشْبَهُهُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بظَاهِرِ التَّنْزِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَمَلٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَأَمَّا الْأَقْوَالُ الْأُخْرَى، فَدَعَاوَى مَعَانَ بَاطِلَةً، لَا دَلَالََةَ عَلَيْهَا مِنْ خَبْرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَلَا هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي التَّنْزِيلِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ وَجَبْرِيلُ مَعَهُمْ، وَهُوَ الرُّوحُ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ يَعْنِي بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، مِنْ كُلِّ أَمْرٍ فَضَّاهُ اللَّهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، مِنْ رِزْقٍ وَأَجَلٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: يُقْضَى فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ مُنْتَهَى الْخَبْرِ، وَمَوْضِعُ الْوَقْفِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ لَا يَلْقَوْنَ مُؤْمِنًا وَلَا مُؤْمِنَةً إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: "مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ"، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِهَا وَجَهَ مَعْنَى "مِنْ كُلِّ أَمْرٍ": مِنْ كُلِّ مَلِكٍ؛ كَانَ مَعْنَاهُ

عِنْدَهُ: تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ مَلَكٍ يُسَلِّمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ؛ وَلَا أَرَى الْقِرَاءَةَ بِهَا جَائِزَةً، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى
خِلَافِهَا، وَأَنَّهَا خِلَافٌ لِمَا فِي مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي مُصْحَفٍ
مِنْ مَصَاحِفِ الْمُسْلِمِينَ فِي قَوْلِهِ: أَمْرٌ، يَاءٌ، وَإِذَا قُرِئَتْ: " مِنْ كُلِّ امْرِئٍ "
لِحَقَّتْهَا هَمْزَةٌ، تَصِيرُ فِي الْخَطِّ يَاءً.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ، عَلَى مَا
تَأَوَّلَهُ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَلَّمْهُي حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ ﴿٥﴾ سَلَامٌ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مِنْ أَوْلِيهَا
إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَتِهَا، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى.

وَعَنِي بِقَوْلِهِ: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.
وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ فَقَرَأَتْ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ
الْأَمْصَارِ، سِوَى يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ وَالْأَعْمَشِ وَالْكَسَائِيِّ ﴿مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ،
بِمَعْنَى: حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ؛ تَقُولُ الْعَرَبُ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ طُلُوعًا وَمَطْلَعًا.
وَقَرَأَ ذَلِكَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَالْأَعْمَشُ وَالْكَسَائِيُّ: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بِكَسْرِ
اللَّامِ، تَوَجِيهًا مِنْهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْإِكْتِفَاءِ بِالِاسْمِ مِنَ الْمَصْدَرِ، وَهُمْ يَنْوُونَ
بِذَلِكَ الْمَصْدَرَ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: فَتُحُ اللَّامِ لِصِحَّةِ مَعْنَاهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ،
 وَذَلِكَ أَنَّ الْمُطَّلِعَ بِالْفَتْحِ هُوَ الطُّلُوعُ، وَالْمُطَّلِعُ بِالْكَسْرِ: هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي
 تَطَّلَعُ مِنْهُ، وَلَا مَعْنَى لِلْمَوْضِعِ الَّذِي تَطَّلَعُ مِنْهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

□

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَمَانٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ١-٤].

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، ﴿مُنْفَكِينَ﴾ يَقُولُ: مُنْتَهَيْنِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، لَمْ يَكُونُوا تَارِكِينَ صِفَةَ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِهِمْ، حَتَّى بُعِثَ، فَلَمَّا بُعِثَ تَفَرَّقُوا فِيهِ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ أَنْ يُقَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُفْتَرِقِينَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ، وَهِيَ إِرْسَالُ اللَّهِ إِيَّاهُ رَسُولًا إِلَى خَلْقِهِ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدِي مِنْ انْفِكَائِ الشَّيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، وَلِذَلِكَ صَلَحَ بِغَيْرِ خَبَرٍ، وَلَوْ كَانَ بِمَعْنَى مَا زَالَ، اِحْتِاجَ إِلَى خَبَرٍ يَكُونُ تَمَامًا لَهُ، وَاسْتَوْفَى قَوْلُهُ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وَهِيَ نَكْرَةٌ عَلَى الْبَيِّنَةِ، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ، كَمَا قِيلَ: ﴿ذُو الْعَرْشِ

الْمَجِيدُ فَعَالٌ ﴿ [البروج: ١٦]، فَقَالَ: حَتَّى يَأْتِيَهُمْ بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ،
 يَبْعَثُهُ اللَّهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَرَجَمَ عَنِ الْبَيِّنَةِ، فَقَالَ: تِلْكَ الْبَيِّنَةُ، ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو
 صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾، يَقُولُ: يَقْرَأُ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً مِنَ الْبَاطِلِ، ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ يَقُولُ:
 فِي الصُّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ كُتِبَ مِنَ اللَّهِ قِيمَةٌ عَادِلَةٌ مُّسْتَقِيمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ،
 لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ يَقُولُ: وَمَا تَفَرَّقَ
 الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَذَّبُوا بِهِ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ، يَعْنِي: مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿الْبَيِّنَةُ﴾
 يَعْنِي: بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ رَسُولٌ بِإِزْسَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ إِلَى خَلْقِهِ؛ يَقُولُ: فَلَمَّا بَعَثَهُ
 اللَّهُ تَفَرَّقُوا فِيهِ، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَأَمَنَ بَعْضُهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ
 غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ فِيهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا أَمَرَ اللَّهُ
 هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
 لَهُ الدِّينَ؛ يَقُولُ: مُفْرِدِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، لَا يَخْلُطُونَ طَاعَتَهُمْ رَبَّهُمْ بِشْرِكٍ،
 فَأَشْرَكَتِ الْيَهُودُ بِرَبِّهَا بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى بِقَوْلِهِمْ فِي
 الْمَسِيحِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَجَحُودِهِمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿حُفَاءَ﴾ قَدْ مَضَى بَيَانًا فِي مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ قَبْلُ، بِشَوَاهِدِهِ الْمُغْنِيَّةِ
عَنْ إِعَادَتِهَا، غَيْرَ أَنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ مَا لَمْ نَذْكُرْ قَبْلُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ، [رُويَ]
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُفَاءَ﴾ يَقُولُ: "حُجَّاجًا مُسْلِمِينَ غَيْرَ
مُشْرِكِينَ"، يَقُولُ: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وَيُحْجُوا ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾.
وَقَالَ قَتَادَةُ: "وَالْحَنِيفِيَّةُ: الْخِتَانُ، وَتَحْرِيمُ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ
وَالعَمَّاتِ، وَالْحَالَاتِ، وَالْمَنَاسِكِ".

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ يَقُولُ: وَلَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَلَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾ يَعْنِي أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ بِهِ هُوَ لَأَيِّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، هُوَ الدِّينُ الْقِيَمَةُ، وَيَعْنِي بِالْقِيَمَةِ:
الْمُسْتَقِيمَةَ الْعَادِلَةَ، وَأُضِيفَ الدِّينُ إِلَى الْقِيَمَةِ، وَالدِّينُ هُوَ الْقِيَمُ، وَهُوَ مِنْ
نَعْتِهِ لِاخْتِلَافِ لَفْظِيَّهَا، وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فِيهَا أَرَى فِيهَا ذُكْرَ لَنَا: (وَذَلِكَ
الدِّينُ الْقِيَمَةُ) وَأُنْتُ الْقِيَمَةُ؛ لِأَنَّهَا جُعِلَتْ صِفَةً لِلْمِلَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَذَلِكَ
الْمِلَّةُ الْقِيَمَةُ، دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، قَالَ قَتَادَةُ: "هُوَ الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ
بِهِ رَسُولَهُ، وَشَرَعَ لِنَفْسِهِ، وَرَضِيَ بِهِ".

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُتِبَ قِيَمَةً﴾، ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾: "هُوَ وَاحِدٌ؛
قِيَمَةً: مُسْتَقِيمَةً مُعْتَدِلَةً".

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ [البينة: ٦-٧]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ جَمِيعِهِمْ، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يَقُولُ: مَا كَثِيرِينَ، لَا يَبِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا، ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، هُمْ شَرٌّ مِنْ بَرَاءَةِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ؛ وَالْعَرَبُ لَا تَهْمَزُ الْبَرِيَّةَ، وَبِتَرَكِ الْهَمْزِ فِيهَا قَرَأَتْهَا قُرَاءُ الْأَمْصَارِ، غَيْرَ شَيْءٍ يُذَكِّرُ عَنْ نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ، فَإِنَّهُ حَكَى بَعْضُهُمْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَهْمِزُهَا، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] وَأَنَّهَا فَعِيلَةٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَهْمِزُواهَا، فَإِنَّ لِتَرَكِهِمُ الْهَمْزَ فِي ذَلِكَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونُوا تَرَكُوا الْهَمْزَ فِيهَا، كَمَا تَرَكُوهُ مِنَ الْمَلِكِ، وَهُوَ مُفْعَلٌ مِنْ أَلَكَ أَوْ لَأَكَ، وَمِنْ يَرَى، وَتَرَى، وَنَرَى، وَهُوَ يَفْعَلُ مِنْ رَأَيْتَ. وَالْآخَرُ: أَنْ يَكُونُوا وَجَّهُوا إِلَى أَنَّهَا فَعِيلَةٌ مِنَ الْبَرَى وَهُوَ التَّرَابُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَطَاعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يَقُولُ: مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ فَهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ [البينة: ٨]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ثَوَابٌ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ يَعْنِي: بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ لَا ظَعْنَ فِيهَا، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ.

يَقُولُ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يَقُولُ: مَا كَثِيرٌ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِمَا أَطَاعُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا لِحُلَاصِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ فِي ذَلِكَ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الثَّوَابِ يَوْمَئِذٍ، عَلَى طَاعَتِهِمْ رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَجَزَاهُمْ عَلَيْهَا مِنَ الْكِرَامَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: هَذَا الْخَيْرُ الَّذِي وَصَفْتُهُ، وَوَعَدْتُهُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾؛ يَقُولُ: لِمَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، فَاتَّقَاهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

سُورَةُ الزُّلْزَلَةِ

مَدَنِيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَمَانٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ [الزلزلة: ١-٨].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ لِقِيَامِ السَّاعَةِ، ﴿زِلْزَالَهَا﴾ فَرَجَّتْ رَجًّا؛ وَالزُّلْزَالُ: مَصْدَرٌ إِذَا كَسَرْتَ الزَّيَّ، وَإِذَا فُتِحَتْ كَانَ اسْمًا؛ وَأُضِيفَ الزُّلْزَالُ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ صِفَتُهَا، كَمَا يُقَالُ: لَأُكْرِمَنَّكَ كَرَامَتَكَ، بِمَعْنَى: لَأُكْرِمَنَّكَ كَرَامَةً، وَحَسُنَ ذَلِكَ فِي ﴿زِلْزَالَهَا﴾ لِوُافِقَتِهَا رُءُوسَ الْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يَقُولُ: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، وَالْمَيْتُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ ثِقْلٌ لَهَا، وَهُوَ فَوْقَ ظَهْرِهَا حَيًّا ثِقْلٌ عَلَيْهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَالَ النَّاسُ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ لِقِيَامِ السَّاعَةِ: مَا لِلْأَرْضِ وَمَا قِصَّتْهَا ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يَقُولُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الْأَرْضُ ﴿أَخْبَارَهَا﴾، وَتُحَدِّثُهَا أَخْبَارَهَا، عَلَى الْقَوْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنْ تَتَكَلَّمُ فَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِهَذَا، وَأَوْحَى إِلَيَّ بِهِ، وَأَذِنَ لِي فِيهِ، وَأَمَّا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: تُنَبِّئُ، وَتُنَبِّئُهَا أَخْبَارَهَا: إِخْرَاجُهَا أَثْقَالَهَا مِنْ بَطْنِهَا إِلَى ظَهْرِهَا.

وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلٌ عِنْدِي صَحِيحُ الْمَعْنَى، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى: يَوْمَئِذٍ تُبَيِّنُ الْأَرْضُ أَخْبَارَهَا بِالزَّلْزَلَةِ وَالرَّجَّةِ، وَإِخْرَاجِ الْمُوتَى مِنْ بُطُونِهَا إِلَى ظُهُورِهَا، بِوَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهَا، وَإِذْنِهِ لَهَا بِذَلِكَ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿بَانَ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَذُكِرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ: "يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا".

وَقِيلَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا مَنْ كَانَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْمُعَاصِي، وَمَا عَمِلُوا عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، قَالَ ذَلِكَ سُفْيَانُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقِيلَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أَوْحَى إِلَيْهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ التَّأخِيرُ بَعْدُ ﴿لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ﴾ قَالُوا: وَوَجْهُ الْكَلَامِ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، ﴿لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، قَالُوا: وَلَكِنَّهُ اعْتَرَضَ بَيْنَ ذَلِكَ بِهِذِهِ الْكَلِمَةِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ

النَّاسِ أَشْتَاتًا ﴿١﴾، عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ فِرْقًا مُتَفَرِّقِينَ، فَآخِذٌ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَآخِذٌ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، يَقُولُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ مُتَفَرِّقِينَ، عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ، ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، فَيَرَى الْمُحْسِنُ فِي الدُّنْيَا، الْمُطِيعَ لِلَّهِ عَمَلُهُ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْكِرَامَةِ، عَلَى طَاعَتِهِ إِيَّاهُ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَيَرَى الْمُسِيءَ الْعَاصِيَ لِلَّهِ عَمَلُهُ، وَجَزَاءَ عَمَلِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْهُوَانِ وَالْحِزْيِ فِي جَهَنَّمَ، عَلَى مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَكُفْرِهِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ يَقُولُ: فَمَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا وَزَنَ ذَرَّةً مِنْ خَيْرٍ، يَرَى ثَوَابَهُ هُنَالِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يَقُولُ: وَمَنْ كَانَ عَمَلٌ فِي الدُّنْيَا وَزَنَ ذَرَّةً مِنْ شَرٍّ يَرَى جَزَاءَهُ هُنَالِكَ، وَقِيلَ: وَمَنْ يَعْمَلْ، وَالْحَبْرُ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ، لِفَهْمِ السَّامِعِ مَعْنَى ذَلِكَ، لَمَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الدَّلِيلِ قَبْلُ، عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ: فَمَنْ عَمِلَ؛ ذَلِكَ دَلَالَةٌ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَا كَانَ مَفْهُومًا مَعْنَى الْكَلَامِ عِنْدَ السَّامِعِينَ، وَكَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعْمَلُ﴾ حَثٌّ لِأَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَالزَّجْرُ عَنِ مَعْصِيَتِهِ، مَعَ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ دَلَالَةِ الْكَلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مُرَادٌ بِهِ الْحَبْرُ عَنِ مَاضِي فِعْلِهِ، وَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَخْرَجَ الْحَبْرَ عَلَى وَجْهِ الْحَبْرِ عَنِ مُسْتَقْبَلِ الْفِعْلِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾: "لَيْسَ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ عَمِلَ خَيْرًا وَلَا شَرًّا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُرَدُّ حَسَنَاتِهِ، وَيُعَذِّبُهُ بِسَيِّئَاتِهِ، وَقِيلَ فِي ذَلِكَ غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيُعَجَّلُ لَهُ عُقُوبَةُ سَيِّئَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُوَخَّرُ لَهُ ثَوَابُ حَسَنَاتِهِ، وَالْكَافِرُ يُعَجَّلُ لَهُ ثَوَابُ حَسَنَاتِهِ، وَيُوَخَّرُ لَهُ عُقُوبَةُ سَيِّئَاتِهِ"، قَالَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾»^(١).

□

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢١٤).

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ⑩ نَارُ حَامِيَةٍ ⑪﴾.

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا: الْخَيْلُ الَّتِي تَعُدُّوهَا، وَهِيَ تُحْمَحِمُ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَسَالِمٌ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْإِبِلُ، قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ [يعني ابن مسعود]، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ.

وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالْعَادِيَاتِ: الْخَيْلُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِبِلَ لَا تَضْبَحُ، وَإِنَّمَا تَضْبَحُ الْخَيْلُ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّمَا تَعُدُّو ضَبْحًا، وَالضَّبْحُ: هُوَ مَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ، قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الضَّبْحُ مِنَ الْخَيْلِ: الْحُمَحْمَةُ، وَمِنَ الْإِبِلِ: النَّفْسُ".

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ الْخَيْلُ تُورِي النَّارَ بِحَوَافِرِهَا، قَالَ ذَلِكَ عِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ،

وَعَطَاءٌ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: "تَقْدَحُ بِحَوَافِرِهَا حَتَّى يُجْرَجَ مِنْهَا النَّارُ"، وَقَالَ
الضَّحَّاكُ: "تُورِي الْحِجَارَةَ بِحَوَافِرِهَا".

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْحَيْلَ هِجَنَ الْحَرْبِ بَيْنَ أَصْحَابِهِنَّ
وَرُكَبَانِهِنَّ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: الَّذِينَ يُورُونَ النَّارَ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ
الْحَرْبِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: مَكْرُ الرَّجَالِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْأَلْسِنَةُ، قَالَ ذَلِكَ عِكْرَمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ الْأِبْلُ حِينَ تَسِيرُ تَنْسِفُ بِمَنَاسِمِهَا الْحَصَى، قَالَ ذَلِكَ
عَبْدُ اللَّهِ.

وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَقْسَمَ
بِالْمُورِيَاتِ الَّتِي تُورِي النَّيْرَانَ قَدْحًا؛ فَالْحَيْلُ تُورِي بِحَوَافِرِهَا، وَالنَّاسُ
يُورُونَهَا بِالزَّنْدِ، وَاللِّسَانُ مَثَلًا يُورِي بِالْمَنْطِقِ، وَالرَّجَالُ يُورُونَ بِالْمَكْرِ مَثَلًا،
وَكَذَلِكَ الْحَيْلُ تَهِيجُ الْحَرْبَ بَيْنَ أَهْلِهَا: إِذَا التَّقَتْ فِي الْحَرْبِ؛ وَلَمْ يَضَعْ اللَّهُ
دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُ دُونَ بَعْضٍ فَكُلُّ مَا أَوْرَتِ النَّارُ قَدْحًا،
فَدَاخِلَةٌ فِيهَا أَقْسَمَ بِهِ، لِعُمُومِ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا عَلَى عَدْوِهَا عَلَانِيَةً، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: عَنِي بِذَلِكَ الْإِبِلُ حِينَ تَدْفَعُ بُرُكْبَانِهَا مِنْ جَمْعِ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى مِنَى، قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَقْسَمَ بِالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، وَلَمْ يُخَصَّصْ مِنْ ذَلِكَ مُغِيرَةً دُونَ مُغِيرَةٍ، فَكُلُّ مُغِيرَةٍ صُبْحًا، فَدَاخِلَةٌ فِيهَا أَقْسَمَ بِهِ؛ وَقَدْ كَانَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ يَذْكُرُ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْأَحْرَفِ وَيَأْبَاهَا، وَيَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: "﴿وَالْعَدِيْبَتِ صُبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِيْبَتِ قَدْحًا﴾ ٢: هَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قَالَ: كُلُّ هَذَا قَسَمٌ، قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ أَبِي يَنْظُرُ فِيهِ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ، وَلَا يَذْكُرُهُ، يُرِيدُ بِهِ الْقَسَمَ."

وَقَوْلُهُ ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَرَفَعْنَ بِالْوَادِي عُبَارًا؛ وَالنَّقْعُ: الْعُبَارُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ التُّرَابُ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ بِهِ كِنَايَةٌ اسْمِ الْمَوْضِعِ، وَكُنِيَ عَنْهُ، وَلَمْ يَجْرَ لَهُ ذِكْرٌ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْعُبَارَ لَا يُثَارُ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ، فَاسْتَعْنَى بِفَهْمِ السَّامِعِينَ بِمَعْنَاهُ مِنْ ذِكْرِهِ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَوَسَطْنَ بِرُكْبَانِهِنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ، يُقَالُ: وَسَطْتُ الْقَوْمَ بِالتَّخْفِيفِ، وَوَسَطْتُهُ بِالتَّشْدِيدِ، وَتَوَسَّطْتُهُ: بِمَعْنَى وَاحِدٍ، قَالَ ذَلِكَ عِكْرِمَةُ، ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ مُزْدَلِفَةً، قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ يَقُولُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ لِنِعْمِ رَبِّهِ. وَالْأَرْضُ الْكَنُودُ: الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا، قَالَ الْأَعَشَى:

أَحَدْتُ لَهَا تُحَدِّثُ لِرُؤُوسِكَ إِهْمًا *** كُنْدٌ لِرُؤُوسِ الزَّائِرِ الْمُعْتَادِ
وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ كِنْدَةً: لِقَطْعِهَا أَبَاهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَالرَّبِيعُ، وَقَتَادَةُ، وَسِمَاكٌ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُنُودِهِ رَبٌّ لَشَهِيدٌ: يَعْنِي لَشَاهِدٌ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِحُبِّ الْمَالِ لَشَدِيدٌ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي وَجْهِ وَصْفِهِ بِالشَّدَّةِ لِحُبِّ الْمَالِ، فَقَالَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ: أَيُّ لَبْخِيلٍ؛ قَالَ: يُقَالُ لِلْبَخِيلِ: شَدِيدٌ وَمُتَشَدِّدٌ، وَاسْتَشْهَدُوا لِقَوْلِهِ ذَلِكَ بَيْتِ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْيَشْكُرِيِّ:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ النَّفُوسَ وَيَصْطَفِي *** عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدِّدِ

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: وَإِنَّهُ حُبُّ الْحَيْرِ لَقَوِيٌّ، وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ
 الْكُوفَةِ: كَانَ مَوْضِعُ ﴿حُبِّ﴾ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ شَدِيدٍ، وَأَنْ يُضَافَ شَدِيدٌ إِلَيْهِ
 فَيَكُونُ الْكَلَامُ: وَإِنَّهُ لَشَدِيدٌ حُبُّ الْحَيْرِ؛ فَلَمَّا تَقَدَّمَ الْحُبُّ فِي الْكَلَامِ، قِيلَ:
 شَدِيدٌ وَحُدْفَ مِنْ آخِرِهِ، لَمَّا جَرَى ذِكْرُهُ فِي أَوَّلِهِ وَلِرُؤُوسِ الْآيَاتِ، قَالَ:
 وَمِثْلُهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿كَرَّمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾
 [إبراهيم: ١٨]، وَالْعَصُوفُ لَا يَكُونُ لِلْيَوْمِ، إِنَّمَا يَكُونُ لِلرِّيحِ؛ فَلَمَّا جَرَى ذِكْرُ
 الرِّيحِ قَبْلَ الْيَوْمِ طُرِحَتْ مِنْ آخِرِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فِي يَوْمٍ عَاصِفِ الرِّيحِ، وَاللَّهِ
 أَعْلَمُ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ حُبُّ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾: "الْحَيْرُ: الدُّنْيَا؛ وَقَرَأَ:
 ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾ [البقرة: ١٨٠] قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا: الْمَالُ؟
 قَالَ: نَعَمْ، وَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ إِلَّا الْمَالُ؟ قَالَ: وَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، وَلَكِنَّ
 النَّاسَ يَعُدُّونَهُ خَيْرًا، فَسَمَّاهُ اللَّهُ خَيْرًا، لِأَنَّ النَّاسَ يُسَمُّونَهُ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا،
 وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَبِيثًا، وَسُمِّيَ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُوءًا، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ:
 ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، قَالَ: لَمْ
 يَمَسْسَهُمْ قِتَالٌ؛ قَالَ: وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ بِسُوءٍ، وَلَكِنَّ يُسَمُّونَهُ سُوءًا".

وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ حُبُّ الْحَيْرِ لَشَدِيدٌ، وَإِنَّ اللَّهَ
 عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ لَشَاهِدٌ، وَلَكِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قُدِّمَ،

وَمَعْنَاهُ التَّأخِيرُ، فَجُعِلَ مُعْتَرِضًا بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ يَقُولُ: أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ، إِذَا أَثِيرَ مَا فِي الْقَبْرِ، وَأَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى وَبُحِثَ، وَذُكِرَ أُمَّهَا فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ: (إِذَا بُحِثَ مَا فِي الْقُبُورِ)، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَلِلْعَرَبِ فِي بُعْثِرَ لُغَتَانِ: تَقُولُ: بُعْثِرَ، وَبُحِثِرَ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يَقُولُ: وَمَيِّزَ وَبَيَّنَّ، فَأَبْرَزَ مَا فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسُفْيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ يَقُولُ: إِنَّ رَبَّهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَمَا أَسْرُوا فِي صُدُورِهِمْ، وَأَضْمَرُوهُ فِيهَا، وَمَا أَعْلَنُوهُ بِجَوَارِحِهِمْ مِنْهَا، عَلَيْهِمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ السَّاعَةُ الَّتِي يَفْرَعُ قُلُوبَ النَّاسِ هَوْلُهَا، وَعَظِيمٌ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ عِنْدَهَا، وَذَلِكَ صَيِّحَةٌ لَا لَيْلَ بَعْدَهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَوَكَيْعٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُعْظَمًا شَأْنَ الْقِيَامَةِ وَالسَّاعَةِ الَّتِي يَفْرَعُ الْعِبَادَ هَوْلُهَا: أَيُّ شَيْءٍ الْقَارِعَةُ؟ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَيُّ شَيْءٍ السَّاعَةُ الَّتِي يَفْرَعُ الْخَلْقَ هَوْلُهَا: أَيُّ مَا أَعْظَمَهَا وَأَفْظَعَهَا وَأَهْوَلَهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ شَيْءٍ الْقَارِعَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَسَاقَطُ فِي النَّارِ وَالسَّرَاجِ،

لَيْسَ بَبَعُوضٍ وَلَا ذُبَابٍ، وَيَعْنِي بِالْمُبْتُوثِ: الْمَفْرَقَ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْمَنْفُوشِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَيَوْمَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ؛ وَالْعِهْنُ: هُوَ الْأَلْوَانُ مِنَ الصُّوفِ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ يَقُولُ: فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، يَعْنِي بِالْمَوَازِينِ: الْوِزْنَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَكَ عِنْدِي دِرْهَمٌ بِمِيزَانِ دِرْهَمِكَ، وَوِزْنِ دِرْهَمِكَ، وَيَقُولُونَ: دَارِي بِمِيزَانِ دَارِكَ وَوِزْنِ دَارِكَ، يُرَادُ: حِذَاءَ دَارِكَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ *** عِنْدِي لِكُلِّ مُحَاصِمٍ مِيزَانُهُ.

يَعْنِي بِقَوْلِهِ: لِكُلِّ مُحَاصِمٍ مِيزَانُهُ، كَلَامَهُ، وَمَا يَنْقُضُ عَلَيْهِ حُجَّتَهُ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: لَيْسَ مِيزَانٌ، إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ ضَرْبٍ، وَقَالَ [فِي قَوْلِهِ:] ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: "فِي عَيْشَةٍ قَدْ رَضِيَهَا فِي الْجَنَّةِ".

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ يَقُولُ: وَأَمَّا مَنْ خَفَّ وَزْنُ حَسَنَاتِهِ، فَمَا وَاهُ وَمَسْكَنُهُ الْهَآوِيَةُ، الَّتِي يَهْوِي فِيهَا عَلَى رَأْسِهِ فِي جَهَنَّمَ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَالْأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَى، وَأَبُو صَالِحٍ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْهَاطِيَةُ، ثُمَّ بَيَّنَّ مَا هِيَ، فَقَالَ: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ يَعْنِي
 بِالْحَامِيَةِ: الَّتِي قَدْ حَمَيْتْ مِنَ الْوَقُودِ عَلَيْهَا.

□

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَمَانٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكْوِيْنُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ ﴿٨﴾
يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلْهَأَكُمُ أَيُّهَا النَّاسُ الْمُبَاهَاةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْعَدَدِ عَن طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَعَمَّا يُنْجِيكُمْ مِنْ سَخَطِهِ عَلَيْكُمْ.

قَالَ قَتَادَةُ: " كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي فَلَانٍ، وَنَحْنُ أَعَدُّ مِنْ بَنِي فَلَانٍ، وَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ يَتَسَاقَطُونَ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، وَاللَّهُ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّىٰ صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلُّهُمْ".

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامٌ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ التَّكْوِيْنُ بِالْمَالِ، عَن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَن أَبِيهِ، أَنَّهُ انْتَهَىٰ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكْوِيْنُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قَالَ: «ابْنَ آدَمَ، لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»^(١).

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٩٥٨).

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يَعْنِي: حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ فَدَفِنْتُمْ فِيهَا؛ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَهْلَاهُمُ التَّكَاثُرُ، أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا يَلْقَوْنَ إِذَا هُمْ زَارُوا الْقُبُورَ وَعَيْدًا مِنْهُ هُمْ وَتَهْدُدًا، قَالَ ذَلِكَ عَلِيٌّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا﴾: مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا، أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ، وَقَوْلُهُ: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: سَوْفَ تَعْلَمُونَ إِذَا زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، أَيُّهَا الَّذِينَ أَهْلَاهُمُ التَّكَاثُرُ، غَبَّ فِعْلِكُمْ، وَاشْتِغَالِكُمْ بِالتَّكَاثُرِ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ، وَكَثْرَةَ الْعَدَدِ، سَوْفَ تَعْلَمُونَ إِذَا زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، مَا تَلْقَوْنَ إِذَا أَنْتُمْ زُرْتُمُوهَا، مِنْ مَكْرُوهِ اشْتِغَالِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ بِالتَّكَاثُرِ، وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَرَّتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتْ التَّغْلِيظَ فِي التَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، كَرَّرُوا الْكَلِمَةَ مَرَّتَيْنِ، قَالَ ذَلِكَ الضَّحَّاكُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا، أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمًا يَقِينًا، أَنَّ اللَّهَ بَاعَثَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، مِنْ قُبُورِكُمْ، مَا أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَلَسَارِعَتُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِهِ وَمَنْهِيهِ، وَرَفُضِ الدُّنْيَا إِشْفَاقًا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ اِخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ قُرَاءً الْأَمْصَارِ: ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ مِنْ ﴿لَتَرُونَ﴾ فِي الْحَرْفَيْنِ كِلَيْهِمَا، وَقَرَأَ ذَلِكَ الْكِسَائِيُّ بِضَمِّ التَّاءِ مِنَ الْأُولَى، وَفَتْحِهَا مِنَ الثَّانِيَةِ.

وَالصَّوَابُ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ الْفَتْحُ فِيهِمَا كِلَيْهِمَا، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: لَتَرُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عِيَانًا لَا تَغْيُبُونَ عَنْهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يَقُولُ: ثُمَّ لَيَسْأَلَنَّكُمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا: مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ، وَفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ، وَمَاذَا عَمِلْتُمْ بِهِ؟ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ النَّعِيمِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَجَاهِدٌ، وَسُفْيَانٌ، وَالشَّعْبِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ثُمَّ لَيَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِمَّا وَهَبَ لَهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْعَافِيَةُ، قَالَ ذَلِكَ أَبُو جَعْفَرٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عَنِّي بِذَلِكَ: بَعْضُ مَا يَطْعَمُهُ الْإِنْسَانُ، أَوْ يَشْرَبُهُ، قَالَ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَتَى بِشْرَبَةِ عَسَلٍ، فَشَرِبَهَا، وَقَالَ: هَذَا النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ."

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسَانِ، إِذْ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمَا هَاهُنَا؟»، قَالَا: الْجُوعُ، قَالَ: «وَالَّذِي بَعَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ»، فَاذْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا بَيْتَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَبَلَتْهُمُ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟»، فَقَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مَاءً، فَجَاءَ صَاحِبُهُمْ يَحْمِلُ قَرْبَتَهُ، فَقَالَ: مَرَحَبًا، مَا زَارَ الْعِبَادَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ شَيْءٍ زَارَنِي الْيَوْمَ، فَعَلَّقَ قَرْبَتَهُ بِكَرْبِ نَخْلَةٍ، وَأَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ؟»، فَقَالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونُوا الَّذِينَ تَخْتَارُونَ عَلَيَّ أَعْيُنِكُمْ، ثُمَّ أَخَذَ الشَّفْرَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ، فَأَكَلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لْتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَتَرَوْا مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»^(٢).

(١) أخرجه مسلم، برقم (٢٠٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم

وَقَالَ آخَرُونَ: ذَلِكَ كُلُّ مَا تَدَّهُ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا مِنْ شَيْءٍ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَائِلٌ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنِ النَّعِيمِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ فِي خَبَرِهِ أَنَّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ نَوْعٍ مِنَ النَّعِيمِ دُونَ نَوْعٍ، بَلْ عَمَّ بِالْخَبَرِ فِي ذَلِكَ عَنِ الْجَمِيعِ، فَهُوَ سَائِلُهُمْ كَمَا قَالَ عَنْ جَمِيعِ النَّعِيمِ، لَا عَنْ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ.

□

سُورَةُ الْعَصْرِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَلَاثٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فقال بعضهم: هو قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر، فقال: العصر: هو الدهر، قال ذلك ابن عباس، والحسن.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر والعصر اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص بما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه. وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يقول: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان، وكان علي رضي الله عنه يقرأ ذلك: "وإن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر".

وكان رضي الله عنه يقرأ هذا الحرف: "والعصر ونوائب الدهر، إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر".

وقال قتادة: "ففي بعض القراءات: «وإنه فيه إلى آخر الدهر».

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِلَّا مَنْ آمَنَ."

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَقُولُ: إِلَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَوَحَّدُوهُ، وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَأَدُّوا مَا لَزِمَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا مَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ، وَاسْتَنَى الَّذِينَ آمَنُوا عَنِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، لَا بِمَعْنَى الْوَاحِدِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يَقُولُ: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلُزُومِ الْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، مِنْ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ فِيهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يَقُولُ: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ.

سُورَةُ الْهُمَزَةِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ① الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّدَهُ، ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ③ كَلَّا لِيُبَدِّلَنِّي فِي الْخَطْمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ⑨ ﴿﴾
يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الْوَادِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَيُحِجُّهُمْ، ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ يَقُولُ: لِكُلِّ مُغْتَابٍ لِلنَّاسِ، يَغْتَابُهُمْ وَيَعْضُّهُمْ، كَمَا قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ:

تُدَلِّي بُوْدِي إِذَا لَا فَيَتَنِي كَذِبًا * * * وَإِنْ أَعْيَبَ فَانْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ.

وَيَعْنِي بِاللُّمَزَةِ: الَّذِي يَعْيِبُ النَّاسَ، وَيَطْعَنُ فِيهِمْ، وَيَنْحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، فَقَالَ أَبُو الْجُوزَاءِ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ هُوَ لِأَهْلِ هُمَزَةٍ الَّذِينَ بَدَأَهُمُ اللَّهُ بِالتَّوِيلِ؟

قَالَ: "هُمُ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ أَكْبَرَ الْعَيْبِ".

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: "الْهُمَزَةُ يَأْكُلُ حُومَ النَّاسِ، وَاللُّمَزَةُ: الطَّعَانُ".

وَقَدْ رُوِيَ عَن مُجَاهِدٍ خِلَافَ هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ: "الْهُمَزَةُ: الطَّعَانُ، وَاللُّمَزَةُ: الَّذِي يَأْكُلُ حُومَ النَّاسِ"، وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا خِلَافَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ،

وَهُوَ قَوْلُهُ: أَحَدُهُمَا الَّذِي يَأْكُلُ حُومَ النَّاسِ، وَالْآخَرُ الطَّعَّانُ"، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَدْ كَانَ أَشْكَلَ عَلَيْهِ تَأْوِيلُ الْكَلِمَتَيْنِ، فَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ نَقْلُ الرُّوَاةِ عَنْهُ مَا رَوَوْا عَلَى مَا ذَكَرْتُ.

وَقَالَ قَتَادَةَ: "أَمَّا الْهُمَزَةُ: فَأَكُلُ حُومِ النَّاسِ، وَأَمَّا اللَّمَزَةُ: فَالطَّعَّانُ عَلَيْهِمْ".

وَقَالَ: "يَهْمَزُهُ وَيَلْمِزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ، وَيَأْكُلُ حُومَ النَّاسِ، وَيَطْعَنُ عَلَيْهِمْ".

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "الْهُمَزَةُ: يَهْمَزُهُ فِي وَجْهِهِ، وَاللَّمَزَةُ: مِنْ خَلْفِهِ".

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: "الْهُمَزَةُ: الَّذِي يَهْمَزُ النَّاسَ بِيَدِهِ، وَيَضْرِبُهُمْ بِلِسَانِهِ، وَاللَّمَزَةُ: الَّذِي يَلْمِزُهُمْ بِلِسَانِهِ وَيَعْيِيهِمْ".

وَاخْتَلَفَ فِي الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ بِعَيْنِهِ، فَقَالَ بَعْضٌ مِنْ قَالِ هَذَا الْقَوْلِ: هُوَ جَمِيلٌ بِنُ عَامِرِ الْجَمْحِيِّ.

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: هُوَ الْأَخْسَسُ بْنُ شَرِيْقٍ.

وَقَالَ وَرْقَاءُ: لَيْسَتْ بِخَاصَّةٍ لِأَحَدٍ، نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ بَنِي عَامِرٍ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: هَذَا مِنْ نَوْعِ مَا تَذَكَّرُ الْعَرَبُ اسْمَ الشَّيْءِ الْعَامِ، وَهِيَ تَقْصِدُ بِهِ الْوَاحِدَ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ، إِذَا قَالَ رَجُلٌ لِأَحَدٍ: لَا أَزُورُكَ

أَبَدًا: كُلُّ مَنْ لَمْ يَزُرْنِي، فَلَسْتُ بِزَائِرِهِ، وَقَائِلُ ذَلِكَ يَقْصِدُ جَوَابَ صَاحِبِهِ الْقَائِلِ لَهُ: لَا أَزُورُكَ أَبَدًا.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنِي بِهِ كُلُّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتَهُ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ قَصْدُ آخَرٍ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَمَّ بِالْقَوْلِ كُلَّ هُمَزَةٍ لُزْمَةٍ، كُلُّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ هَذَا الْمُوصُوفَ بِهَا، سَبِيلُهُ سَبِيلُهُ كَأَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ يَقُولُ: الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَأَخْصَى عَدَدَهُ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَهُ فَأَوْعَاهُ وَحَفِظَهُ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَهُ مِنْ قُرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَبُو جَعْفَرٍ، وَعَامَّةُ قُرَاءَةِ الْكُوفَةِ سِوَى عَاصِمٍ: (جَمَعَ) بِالتَّشْدِيدِ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءَةِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ، سِوَى أَبِي جَعْفَرٍ وَعَامَّةُ قُرَاءَةِ الْبَصْرَةِ، وَمِنْ الْكُوفَةِ عَاصِمٌ، ﴿جَمَعَ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، وَكُلُّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى تَشْدِيدِ الدَّالِّ مِنْ ﴿عَدَّدَهُ﴾ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ تَأْوِيلِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ ثَابِتٍ، أَنَّهُ قَرَأَهُ: (جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ) تَخْفِيفُ الدَّالِّ، بِمَعْنَى: جَمَعَ مَالًا، وَجَمَعَ عَشِيرَتَهُ وَعَدَّدَهُ، [وَأَهْذِهِ قِرَاءَةٌ لَا أَسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِهَا، بِخِلَافِهَا قِرَاءَةُ الْأَمْصَارِ، وَخُرُوجُهَا عَمَّا عَلَيْهِ الْحُجَّةُ مُجْمَعَةٌ فِي ذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿جَمَعَ مَالًا﴾ فَإِنَّ التَّشْدِيدَ وَالتَّخْفِيفَ فِيهِمَا صَوَابَانِ؛ لِأَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى، فَبِأَيْتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يَقُولُ: يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ الَّذِي جَمَعَهُ وَأَحْصَاهُ، وَبَخَلَ بِإِنْفَاقِهِ، مُخْلِدُهُ فِي الدُّنْيَا، فَمُزِيلٌ عَنْهُ الْمَوْتَ، وَقِيلَ: أَخْلَدَهُ، وَالْمَعْنَى: يُخْلِدُهُ، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَأْتِي الْأَمْرَ الَّذِي يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ: عَطَبَ وَاللهُ فُلَانٌ، هَلَكَ وَاللهُ فُلَانٌ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَعْطَبُ مِنْ فِعْلِهِ ذَلِكَ، وَمَا يَهْلِكُ بَعْدُ وَلَمْ يَعْطَبْ؛ وَكَالرَّجُلِ يَأْتِي الْمُوبِقَةَ مِنَ الذُّنُوبِ: دَخَلَ وَاللهُ فُلَانٌ النَّارَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَأَلَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا ذَلِكَ كَمَا ظَنَّ، لَيْسَ مَالُهُ مُخْلِدُهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ هَالِكٌ وَمُعَدَّبٌ عَلَى أَفْعَالِهِ وَمَعَاصِيهِ، الَّتِي كَانَ يَأْتِيهَا فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ﴾ يَقُولُ: لِيُقَدَفَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْحُطْمَةِ، وَالْحُطْمَةُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، كَمَا قِيلَ لَهَا: جَهَنَّمُ وَسَقْرٌ وَلَطْيٌ، وَأَحْسَبُهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِحِطْمِهَا كُلِّ مَا أُتْقِيَ فِيهَا، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: الْحُطْمَةُ، وَذَكَرَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ: (لِيُنْبَذَانَ فِي الْحُطْمَةِ) يَعْنِي: هَذَا الْهُمَزَةُ اللَّمَزَةُ وَمَالُهُ، فَتَنَاهُ لِذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ يَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدٌ مَا الْحُطْمَةُ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ عَنْهَا مَا هِيَ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿نَارُ اللهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ (٦) الَّتِي تَطْلَعُ

عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿يَقُولُ: الَّتِي يَطَّلِعُ أَلْمَهَا وَوَهَجُهَا الْقُلُوبَ؛ وَالْإِطْلَاعُ وَالْبُلُوغُ قَدْ يَكُونَانِ بِمَعْنَى حُكْمِي عَنِ الْعَرَبِ سَمَاعًا: مَتَى طَلَعْتَ أَرْضَنَا؛ وَطَلَعْتَ أَرْضِي: بَلَغْتَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الْحُطَمَةَ الَّتِي وَصَفْتُ صِفَتَهَا عَلَيْهِمْ، يَعْنِي: عَلَى هَؤُلَاءِ الْهَمَّازِينَ اللَّمَّازِينَ ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ يَعْنِي: مُطْبَقَةٌ؛ وَهِيَ تُهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ؛ وَقَدْ قُرِئَتْمَا جَمِيعًا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطِيَّةٌ، وَسَعِيدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ اخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةٌ قِرَاءَ الْمُدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْمِيمِ.

وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةٌ قِرَاءَ الْكُوفَةِ: ﴿فِي عُمَدٍ﴾ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْمِيمِ. وَالْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَمَاءٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَلُغَتَانِ صَحِيحَتَانِ، وَالْعَرَبُ تَجْمَعُ الْعُمُودَ: عَمَدًا وَعُمَدًا، بِضَمِّ الْحَرْفَيْنِ وَفَتْحِهِمَا، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ فِي جَمْعِ إِهَابٍ، تَجْمَعُهُ: أَهْبَاءٌ، بِضَمِّ الْأَلْفِ وَالْهَاءِ، وَأَهْبَاءٌ بِفَتْحِهِمَا، وَكَذَلِكَ الْقَضْمُ، فَبِأَيْتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ بِعَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ: أَيُّ مُغْلَقَةٌ مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فِيمَا بَلَغْنَا.

وَقَالَ آخِرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّمَا دَخَلُوا فِي عَمَدٍ، ثُمَّ مُدَّتْ عَلَيْهِمْ تِلْكَ
الْعُمْدُ بِعِمَادٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ، فَمُدَّتْ عَلَيْهِمْ بِعِمَادٍ، وَفِي أَعْنَاقِهِمْ
السَّلَاسِلُ، فَسُدَّتْ بِهَا الْأَبْوَابُ".

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: "مِنْ حَدِيدٍ مَغْلُولِينَ فِيهَا، وَتِلْكَ الْعُمْدُ مِنْ نَارٍ قَدْ
احْتَرَقَتْ مِنَ النَّارِ، فَهِيَ مِنَ النَّارِ ﴿مُمدَّة﴾ هُمْ".

وَقَالَ آخِرُونَ: هِيَ عَمْدٌ يُعَذَّبُونَ بِهَا، قَالَ ذَلِكَ قَتَادَةُ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ
فِي النَّارِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَعَذِّبُهُ إِيَّاهُمْ بِهَا، وَلَمْ يَأْتِنَا خَبْرٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ
بِصِفَةِ تَعَذِّبِهِمْ بِهَا، وَلَا وُضِعَ لَنَا عَلَيْهَا دَلِيلٌ، فَندْرِكُ بِهِ صِفَةَ ذَلِكَ، فَلَا قَوْلَ
فِيهِ، غَيْرَ الَّذِي قُلْنَا يَصِحُّ عِنْدَنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

سُورَةُ الْفِيلِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا خَمْسٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِرَبِّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَمْ تَنْظُرْ يَا مُحَمَّدُ بِعَيْنِ قَلْبِكَ، فَتَرَى بِهَا ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِرَبِّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الَّذِينَ قَدِمُوا مِنَ الْيَمَنِ يُرِيدُونَ تَحْرِيبَ الْكَعْبَةِ مِنَ الْحَبَشَةِ وَرَيْسِهِمْ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيُّ الْأَشْرَمُ، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ يَقُولُ: أَلَمْ يَجْعَلْ سَعْيَ الْحَبَشَةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ فِي تَحْرِيبِ الْكَعْبَةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ يَعْنِي: فِي تَضْلِيلِهِمْ عَمَّا أَرَادُوا وَحَاوَلُوا مِنْ تَحْرِيبِهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَبُّكَ طَيْرًا مُتَّفِرِّقَةً، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ نَوَاحِ شَتَى؛ وَهِيَ جِمَاعٌ لَا وَاحِدَ لَهَا، مِثْلُ الشَّمَاطِيطِ وَالْعَبَادِيدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، أَنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا يَجْعَلُ لَهَا وَاحِدًا.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: لَمْ أَسْمَعْ مِنَ الْعَرَبِ فِي تَوْحِيدِهَا شَيْئًا. قَالَ: وَزَعَمَ أَبُو جَعْفَرِ الرَّوَّاسِيُّ، وَكَانَ ثِقَةً، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ وَاحِدَهَا: إِبَالَةٌ، وَكَانَ الْكِسَائِيُّ

يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُونَ: أَبُو، مِثْلُ الْعُجُولِ، قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُ
بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُ: وَاحِدُهَا: أَبِيْلُ، قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْرَى، وَالْحَسَنُ،
وَأَبُو سَلَمَةَ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿طَيْرًا
أَبَايِلُ﴾: "الْأَبَايِلُ: الْمُخْتَلِفَةُ، تَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، وَتَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، أَتَتْهُمُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ، وَذُكِرَ أَنَّهَا كَانَتْ طَيْرًا أُخْرِجَتْ مِنَ الْبَحْرِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي صِفَتِهَا، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ: كَانَتْ بَيْضَاءً.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ سَوْدَاءً.

وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ خَضْرَاءً، لَهَا خَرَاطِيمٌ كَخَرَاطِيمِ الطَّيْرِ، وَأَكْفٌ
كَأَكْفِ الْكِلَابِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: "كَانَتْ طَيْرًا خَرَجَتْ
خُضْرًا، خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، لَهَا رُءُوسٌ كُرُءُوسِ السَّبَاعِ."

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: "هِيَ طَيْرٌ سَوْدٌ بَحْرِيَّةٌ، فِي مَنَاقِرِهَا وَأَظْفَارِهَا
الْحِجَارَةُ."

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "طَيْرٌ خُضْرٌ، لَهَا مَنَاقِيرٌ صُفْرٌ، تَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ."

وَقَوْلُهُ: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: تَرْمِي هَذِهِ الطَّيْرُ
الْأَبَايِلُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ، بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ، وَقَدْ بَيَّنَّا

مَعْنَى سَجِيلٍ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ هَذَا، غَيْرَ أَنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ مَا قِيلَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، مِنْ أَقْوَالٍ مَنْ لَمْ نَذْكُرْ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "طِينٌ فِي حِجَارَةٍ"، وَقَالَ: "سَنَكٌ وَكِلٌ"، [وكذا قال عِكْرِمَةُ].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "سَجِيلٌ بِالْفَارِسِيَّةِ: سَنَكٌ وَكِلٌ، حَجْرٌ وَطِينٌ".
 وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَابِطٍ: "هِيَ بِالْأَعْجَمِيَّةِ: سَنَكٌ وَكِلٌ".
 وَقَالَ قَتَادَةَ: "كَانَتْ مَعَ كُلِّ طَيْرٍ ثَلَاثَةٌ أَحْجَارٍ: حَجْرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجْرٌ فِي مَنْقَارِهِ، فَجَعَلَتْ تَرْمِيَهُمْ بِهَا".
 وَقَالَ: "هِيَ مِنْ طِينٍ".

وَقَالَ: "هِيَ طَيْرٌ بَيْضٌ، خَرَجَتْ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ، مَعَ كُلِّ طَيْرٍ ثَلَاثَةٌ أَحْجَارٍ: حَجْرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجْرٌ فِي مَنْقَارِهِ، وَلَا يُصِيبُ شَيْئًا إِلَّا هَشَمَهُ".
 وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: تَرْمِيَهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَرْمِيَهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ﴾: "السَّمَاءُ الدُّنْيَا، قَالَ: وَالسَّمَاءُ الدُّنْيَا اسْمُهَا سَجِيلٌ، وَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ".
 وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ لَا نَعْرِفُ لِصِحَّتِهِ وَجْهًا فِي خَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَلَا لُغَةً، وَأَسْمَاءُ الْأَشْيَاءِ لَا تُدْرِكُ إِلَّا مِنْ لُغَةٍ سَائِرَةٍ، أَوْ خَبَرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ. وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ حَلَّتْ عُقُوبَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، مَسِيرَ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ بِجُنْدِهِ مَعَهُ الْفِيلُ، إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِتَخْرِيْبِهِ.

وقال قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: "أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوماً ومن معه من عداد أهل اليمن، إلى بيت الله ليهدمه من أجل بيعة هم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم، حتى إذا كانوا بالصفاح برك؛ فكانوا إذا وجهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه الأرض، وإذا وجهوه إلى بلدهم انطلق وله هرولة، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيراً بيضا أبايل. والأبايل: الكثيرة، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عز وجل كعصف مأكول؛ قال: فنجأ أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضاً تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك".

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ يعني تعالى ذكره: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فرانته، فيس وتفرقت أجزاءه؛ شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرقت آراب أبدانهم بها، بتفرقت أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع، وقد كان بعضهم يقول: العصف: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الخنطة من خارج، كهيئة الغلاف لها.

قال مجاهد قوله: ﴿كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾: "ورق الخنطة".

وقال قتادة: "هو التبن".

وقال الضحاك: "كزرع مأكول".

وقال: هو الهبور بالبطيئة، وفي رواية: المتهور

وقال ابن زيد: "ورق الزرع وورق البقل، إذا أكلته البهائم فرأته، فصار روثاً".

وقال ابن عباس: البرُّ يُؤْكَلُ وَيُلْقَى عَصْفَهُ الرِّيحُ وَالْعَصْفُ: الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْبُرِّ: هُوَ لِحَاءُ الْبُرِّ".

وقال حبيب بن أبي ثابت: "كطعام مطعوم".

سُورَةُ قُرَيْشٍ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا أَرْبَعٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ①﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ
وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ
④

اِخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِيْلَفِهِمْ﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةٌ قُرَّاءِ
الْأَمْصَارِ بِيَاءٍ بَعْدَ هَمْزَةٍ ﴿لَا يَلْفُ﴾، ﴿إِيْلَفِهِمْ﴾ سِوَى أَبِي جَعْفَرٍ فَإِنَّهُ وَافَقَ
غَيْرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَلْفُ﴾ فَقَرَأَهُ بِيَاءٍ بَعْدَ هَمْزَةٍ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ:
﴿إِيْلَفِهِمْ﴾ فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهُ: (إِيْلَفِهِمْ) عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ أَلْفٍ
يَأْلَفُ الْفَأْ، بِغَيْرِ يَاءٍ، وَحَكَى بَعْضُهُمْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهُ (إِيْلَفِهِمْ) بِغَيْرِ يَاءٍ
مَقْصُورَةً الْأَلْفِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي: مَنْ قَرَأَهُ: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ
إِيْلَفِهِمْ﴾ بِإِبْتَاتِ الْيَاءِ فِيهِمَا بَعْدَ الْهَمْزَةِ، مِنْ أَلْفُ الشَّيْءِ أَوْلَفُهُ إِيْلَافًا،
لِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ، وَلِلْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لُغَتَانِ: أَلْفْتُ، وَأَلْفْتُ، فَمَنْ
قَالَ: أَلْفْتُ بِمَدِّ الْأَلْفِ قَالَ: فَأَنَا أَوْلَفُ إِيْلَافًا، وَمَنْ قَالَ: أَلْفْتُ بِقَصْرِ
الْأَلْفِ قَالَ: فَأَنَا أَلْفُ الْفَأْ، وَهُوَ رَجُلٌ أَلْفُ الْفَأْ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَعْنَى الْجَالِبِ هَذِهِ اللَّامَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ فَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّيِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: الْجَالِبُ لَهَا قَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فَهِيَ فِي قَوْلِ هَذَا الْقَائِلِ لِقَوْلِهِ جَعَلَهُمْ، فَالْوَاجِبُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ: فَفَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ هَذَا الْفِعْلَ، نِعْمَةً مِنَّا عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، وَإِحْسَانًا مِنَّا إِلَيْهِمْ، إِلَى نِعْمَتِنَا عَلَيْهِمْ فِي رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَتَكُونُ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِإِيلَافِ﴾ بِمَعْنَى إِلَى كَأَنَّهُ قِيلَ: نِعْمَةً لِنِعْمَةٍ وَإِلَى نِعْمَةٍ؛ لِأَنَّ إِلَى مَوْضِعِ اللَّامِ، وَاللَّامُ مَوْضِعُ إِلَى، وَقَدْ قَالَ مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ كَمُجَاهِدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّيِ الْكُوفَةِ يَقُولُ: قَدْ قِيلَ هَذَا الْقَوْلُ وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَجَبَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اعْجَبْ يَا مُحَمَّدٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى قُرَيْشٍ، فِي إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَلَا يَتَشَاغَلُوا بِذَلِكَ عَنِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِكَ، يَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يُوجِّهُ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ إِلَى أُلْفَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: "﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾: هَذَا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، صَنَعْتُ هَذَا بِهِمْ لِأُلْفَةِ قُرَيْشٍ؛ لِئَلَّا أُفَرِّقَ أُلْفَتَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ صَاحِبُ الْفِيلِ لِيَسْتَبِدَّ حَرِيمَهُمْ، فَصَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ".

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذِهِ اللَّامَ بِمَعْنَى التَّعْجُبِ، وَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ

وَالصَّيْفِ، وَتَرَكِيهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنَهُمْ
 مِنْ خَوْفٍ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنَهُمْ مِنْ
 خَوْفٍ، وَالْعَرَبُ إِذَا جَاءَتْ بِهَذِهِ اللَّامِ، فَأَدْخَلُوهَا فِي الْكَلَامِ لِلتَّعَجُّبِ اكْتَفَوْا
 بِهَا دَلِيلًا عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِظْهَارِ الْفِعْلِ الَّذِي يُجْلِبُهَا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
 أَغْرَكَ أَنْ قَالُوا الْقُرَّةَ شَاعِرًا *** فَيَا أَبَاهُ مِنْ عَرِيفٍ وَشَاعِرٍ.

فَاكْتَفَى بِاللَّامِ دَلِيلًا عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِظْهَارِ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ: أَغْرَكَ
 أَنْ قَالُوا: اعْجَبُوا الْقُرَّةَ شَاعِرًا، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَا يَلَايَفُ﴾.

وَأَمَّا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ مَنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ، أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلَهُمْ
 كَعَضْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِإِيْلَافٍ بَعْضُ
 أَلَمْ تَرَ وَأَنْ لَا تَكُونَ سُورَةٌ مُنْفَصِلَةٌ مِنْ أَلَمْ تَرَ، وَفِي إِجْمَاعِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
 أَنَّهُمَا سُورَتَانِ تَامَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الْأُخْرَى، مَا يُبَيِّنُ عَنِ
 فَسَادِ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ ﴿لَا يَلَايَفُ قُرَيْشٍ﴾ مِنْ
 صِلَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَضْفٍ مَأْكُولٍ﴾ لَمْ تَكُنْ أَلَمْ تَرَ تَامَةً حَتَّى تُوصَلَ
 بِقَوْلِهِ ﴿لَا يَلَايَفُ قُرَيْشٍ﴾؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِانْقِضَاءِ الْخَبَرِ الَّذِي ذُكِرَ،
 وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "نَهَاهُمْ عَنِ الرَّحْلَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
 الْبَيْتِ، وَكَفَاهُمْ الْمُؤَنَةَ، وَكَانَتْ رِحْلَتُهُمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 رَاحَةٌ فِي شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، فَأَطْعَمَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ جُوعٍ، وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ،

وَأَلْفُوا الرِّحْلَةَ، فَكَانُوا إِذَا شَاءُوا ارْتَحَلُوا، وَإِذَا شَاءُوا أَقَامُوا، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ".

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: "كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ أَلْفُوا بُصْرَى وَالْيَمْنَ، يَخْتَلِفُونَ إِلَى هَذِهِ فِي الشِّتَاءِ وَإِلَى هَذِهِ فِي الصَّيْفِ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقِيمُوا بِمَكَّةَ".

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: "كَانُوا مُجَارًا، فَعَلِمَ اللَّهُ حُبَّهُمْ لِلشَّامِ".

وَقَالَ قَتَادَةُ: "عَادَةُ قُرَيْشٍ عَادَتُهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ".

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: "كَانُوا أَلْفُوا الْإِرْتِحَالَ فِي الْقَيْظِ وَالشِّتَاءِ".

وَقَوْلُهُ: ﴿إِيْلَا فِيهِمْ﴾ مُحْفُوضَةٌ عَلَى الْإِبْدَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لِإِيْلَا فِي قُرَيْشٍ

لِإِيْلَا فِيهِمْ، رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَأَمَّا الرِّحْلَةُ فَنُصِبَتْ بِقَوْلِهِ ﴿إِيْلَا فِيهِمْ﴾ وَوُقُوعِهِ عَلَيْهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ يَقُولُ: رِحْلَةَ قُرَيْشٍ الرَّحْلَتَيْنِ،

إِحْدَاهُمَا إِلَى الشَّامِ فِي الصَّيْفِ، وَالْأُخْرَى إِلَى الْيَمَنِ فِي الشِّتَاءِ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: "كَانَتْ هُمُ رِحْلَتَانِ: الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، وَالشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ

فِي التَّجَارَةِ، إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ امْتَنَعَ الشَّامُ مِنْهُمْ لِمَكَانِ الْبَرْدِ، وَكَانَتْ رِحْلَتُهُمْ فِي

الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ".

وَقَالَ سُفْيَانُ: "كَانُوا مُجَارًا".

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: "كَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ: رِحْلَةٌ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَرِحْلَةٌ فِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "كَانُوا يَشْتُونَ بِمَكَّةَ، وَيَصِيفُونَ بِالطَّائِفِ".
 وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ يَقُولُ: فَلْيُقِيمُوا بِمَوْضِعِهِمْ
 وَوَطَنِهِمْ مِنْ مَكَّةَ، وَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، يَعْنِي بِالْبَيْتِ: الْكَعْبَةَ، [وبنحو
 هذا قال] عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَمَرُوا أَنْ يَأْلَفُوا عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ، كَالْفِهْمِ رِحْلَةَ
 الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ".

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يَقُولُ: الَّذِي أَطْعَمَ قُرَيْشًا مِنْ جُوعٍ،
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يَعْنِي: قُرَيْشًا أَهْلَ مَكَّةَ، بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 حَيْثُ قَالَ: ﴿وَارزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ
 خَوْفٍ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ أَمَّنَّهُمْ مِمَّا يَخَافُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
 أَهْلِ الْحَرَمِ، مِنَ الْغَارَاتِ وَالْحُرُوبِ وَالْقِتَالِ، وَالْأُمُورِ الَّتِي كَانَتْ الْعَرَبُ
 يَخَافُ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ.

قَالَ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿لِيَأْلَفَ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ﴾: "كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ مُجَارًا،
 يَتَغَاوَرُونَ ذَلِكَ شِتَاءً وَصَيْفًا، آمِنِينَ فِي الْعَرَبِ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ يُغِيرُ بَعْضُهَا
 عَلَى بَعْضٍ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ الْخَوْفِ، حَتَّى إِنْ كَانَ

الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَصَابُ فِي حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَإِذَا قِيلَ حَرَمِيٌّ خُلِّيَ عَنْهُ وَعَنْ مَالِهِ، تَعْظِيمًا لِذَلِكَ فِيمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْنِ".

وَقَالَ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: "كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ، فَلَا يَعْزِضُ لَهُمْ أَحَدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَأْمَنُونَ بِذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرُهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِذَا خَرَجَ أُغِيرَ عَلَيْهِ".

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: كَانَتِ الْعَرَبُ يُغِيرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَسْبِي بَعْضُهَا بَعْضًا، فَأَمَّنُوا مِنْ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْحَرَمِ، وَقَرَأَ: ﴿أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧].

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَأَمَّنَّهُمْ مِنَ الْجُدَامِ، قَالَ ذَلِكَ الضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ، وَوَكَيْعٌ، ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ ﴿أَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وَالْعَدُوُّ مَخُوفٌ مِنْهُ، وَالْجُدَامُ مَخُوفٌ مِنْهُ، وَلَمْ يُخَصَّصِ اللَّهُ الْخَبَرَ عَنْ أَنَّهُ آمَنَّهُمْ مِنَ الْعَدُوِّ دُونَ الْجُدَامِ، وَلَا مِنَ الْجُدَامِ دُونَ الْعَدُوِّ، بَلْ عَمَّ الْخَبَرَ بِذَلِكَ؛ فَالصَّوَابُ أَنْ يُعَمَّ كَمَا عَمَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَيُقَالَ: آمَنَّهُمْ مِنَ الْمُعْنَيْنِ كِلَيْهِمَا.

سُورَةُ الْمَاعُونِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا سَبْعٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ ۝١﴾ فَذَلِكَ
الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ
هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾.

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ﴾ أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ
الَّذِي يُكَذِّبُ بِثَوَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، فَلَا يُطِيعُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يَقُولُ: فَهَذَا الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ،
هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ عَنْ حَقِّهِ، وَيَظْلِمُهُ. يُقَالُ مِنْهُ: دَعَعْتُ فُلَانًا عَنْ حَقِّهِ،
فَأَنَا أَدْعُهُ دَعَاً، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ،
وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَا يُحِثُّ غَيْرَهُ
عَلَىٰ إِطْعَامِ الْمُحْتَاجِ مِنَ الطَّعَامِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى
ذِكْرُهُ: فَالْوَادِي الَّذِي يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ جَهَنَّمَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ،
لَا يُرِيدُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بِصَلَاتِهِمْ، وَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ إِذَا صَلَّوْهَا.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:
عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤَخَّرُونَ عَنْ وَقْتِهَا، فَلَا يُصَلُّونَهَا إِلَّا بَعْدَ خُرُوجِ وَقْتِهَا،
قَالَ ذَلِكَ أَبِي، وَسَعْدُ، وَمُضْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ أَبِي زَيْدٍ،
وَمَسْرُوقٌ، وَأَبُو الضُّحَى، وَمُسْلِمُ بْنُ صَبِيحٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتْرُكُونَهَا فَلَا يُصَلُّونَهَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ
عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَهَاوَنُونَ بِهَا، وَيَتَعَافَلُونَ عَنْهَا
وَيَلْهَوْنَ، قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةَ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: "يُصَلُّونَ، وَكَيْسَتْ
الصَّلَاةُ مِنْ شَأْنِهِمْ".

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ بِقَوْلِهِ: سَاهُونَ لَاهُونَ يَتَعَافَلُونَ
عَنْهَا؛ وَفِي اللَّهْوِ عَنْهَا وَالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِهَا، تَضْيِعُهَا أَحْيَانًا، وَتَضْيِيعُ وَقْتِهَا
أُخْرَى، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ صَحَّ بِذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ تَرَكَ
وَقْتِهَا، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ تَرَكَهَا، لَمَا ذَكَرْتُ مِنْ أَنَّ فِي السَّهْوِ عَنْهَا الْمَعَانِي
الَّتِي ذَكَرْتُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ يَقُولُ: الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ النَّاسَ بِصَلَاتِهِمْ
إِذَا صَلُّوا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ رَغْبَةً فِي ثَوَابٍ، وَلَا رَهْبَةً مِنْ عِقَابٍ، وَإِنَّمَا
يُصَلُّونَهَا لِيَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَيُظَنُّوهُمْ مِنْهُمْ، فَيَكْفُونَ عَنْ سَفْكِ دِمَائِهِمْ،
وَسَبِي ذَرَارِيِّهِمْ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، كَذَلِكَ قَالَ أَهْلُ
التَّأْوِيلِ كَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.
وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يَقُولُ: وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مَنَافِعَ مَا عِنْدَهُمْ، وَأَصْلُ
الْمَاعُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنَفَعَتُهُ؛ يُقَالُ لِلْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ: مَاعُونَ.
وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الَّذِي عُنِيَ بِهِ مِنْ مَعَانِي الْمَاعُونَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَابْنُ عُمَرَ،
وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَا يَتَعَاوَرُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنْ مِثْلِ الدَّلْوِ وَالْقِدْرِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ، قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَشُعْبَةُ،
وَإِبْرَاهِيمُ، وَحَدَّثَ سَعْدُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ.
وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَاعُونَ: الْمَعْرُوفُ، قَالَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ.
وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَاعُونَ: هُوَ الْمَالُ، قَالَ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، وَالزُّهْرِيُّ.
وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ، إِذْ كَانَ الْمَاعُونَ هُوَ مَا وَصَفْنَا
قَبْلُ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَأَتَمَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ النَّاسَ، خَبْرًا عَامًّا،
مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَصَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ بِأَتَمَّهُمْ يَمْنَعُونَ
النَّاسَ مَا يَتَعَاوَرُونَهُ بَيْنَهُمْ، وَيَمْنَعُونَ أَهْلَ الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُمْ
فِي أَمْوَالِهِمْ مِنَ الْحُقُوقِ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي يَتَنَفَعُ بِهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ
مِنْ بَعْضٍ.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَلَاثٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٢).

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْكَوْثَرَ﴾، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ
التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْكَوْثَرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الْكَوْثَرُ مَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، دُرٌّ مَجُوفٌ» (١).

وَقَالَتْ: "الْكَوْثَرُ: مَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْبِيَةِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ".

وَقَالَتْ: "مَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، شَاطِئُهُ الدُّرُّ الْمَجُوفُ".

وَقَالَتْ: "الْكَوْثَرُ: مَهْرٌ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ، وَسَطِ الْجَنَّةِ، فِيهِ مَهْرٌ شَاطِئُهُ دُرٌّ

مَجُوفٌ، فِيهِ مِنَ الْأَنْبِيَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِثْلُ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "مَهْرٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ".

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: "الْكَوْثَرُ: مَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، تُرَابُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَمَاؤُهُ الْحَمْرُ".

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "مَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ".

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٥).

وَقَالَ آخِرُونَ: عُنِيَ بِالْكَوْثِرِ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: "هُوَ النُّبُوَّةُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ"، وَقَالَ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَالْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ".

وَقَالَ آخِرُونَ: هُوَ حَوْضٌ أُعْطِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَه عَطَاءٌ.

وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي، قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ اسْمُ النَّهْرِ الَّذِي أُعْطِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْكَثْرَةِ، لِعِظَمِ قَدْرِهِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ؛ لِتَتَابُعِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، أَتَيْتُ عَلَى مَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثِرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَاهْوَى الْمَلِكُ بِيَدِهِ، فَاسْتَخْرَجَ طِينًا مِسْكًَا أَذْفَرَ»^(١).

(١) أخرجه أحمد في المسنن، (١٢٩٨٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٧٦)، والبخاري في صحيحه (٦٥٨١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك، فإذا طينه -أو طيبه- مسك أذفر»، شك هدية.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللَّوْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ»^(١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الْيَاقُوتِ وَالذَّرِّ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ»^(٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَهَا بِهَذَا الْخُطَابِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: حَضَّهُ عَلَى الْمُواظَبَةِ عَلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَعَلَى الْحِفْظِ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾: "وَضَعُ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ فِي الصَّلَاةِ".

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِقَوْلِهِ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، وَبِقَوْلِهِ ﴿وَأَنْحَرْ﴾ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى النَّحْرِ، عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ وَالذُّخُولِ فِيهَا.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٩)، وفيه: «حافته قباب اللؤلؤ»، بدلاً عن قوله: «حافته خيام اللؤلؤ»، وأحمد في المسند (١٢٠٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣١٦٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٥).

وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِقَوْلِهِ: فَصَلِّ لِرَبِّكَ الْمَكْتُوبَةَ، وَبِقَوْلِهِ وَأَنْحَرْ نَحْرَ الْبُذْنِ، قَالَ مُجَاهِدٌ، سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَحَجَّاجٌ، وَعَطَاءٌ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾: "الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَالنَّحْرُ: النُّسْكُ وَالذَّبْحُ يَوْمَ الْأَضْحَى".

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: صَلَّ يَوْمَ النَّحْرِ صَلَاةَ الْعِيدِ، وَأَنْحَرْ نُسْكَكَ، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَالرَّبِيعُ، وَعَطَاءٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ.
وَقَالَ قَتَادَةُ: "صَلَاةُ الْأَضْحَى، وَالنَّحْرُ: نَحْرُ الْبُذْنِ".

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: "مَنَاحِرُ الْبُذْنِ بِمَنَى".

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: "نَحْرُ النُّسْكِ".

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "اذْبَحْ يَوْمَ النَّحْرِ".

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: "نَحْرُ الْبُذْنِ".

وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ قَوْمًا كَانُوا يُصَلُّونَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَيَنْحَرُونَ لِغَيْرِهِ فَقِيلَ لَهُ: اجْعَلْ صَلَاتَكَ وَنَحْرَكَ لِلَّهِ، إِذْ كَانَ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ يَجْعَلُهُ لِغَيْرِهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، حِينَ حُصِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ، وَيَنْحَرَ الْبُذْنَ، وَيَنْصَرِفَ، فَفَعَلَ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: فَصَلِّ وَادْعُ رَبَّكَ وَسَلِّمْ، قَالَ الضَّحَّاكُ،
وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ: ﴿وَأُنْحَرِ﴾ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِنَحْرِكَ.
وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَاجْعَلْ
صَلَاتَكَ كُلَّهَا لِرَبِّكَ خَالِصًا دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَكَذَلِكَ
نَحْرُكَ اجْعَلْهُ لَهُ دُونَ الْأَوْثَانِ، شُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْخَيْرِ
الَّذِي لَا كُفَاءَ لَهُ، وَخَصَّكَ بِهِ، مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاكَ الْكَوْثَرَ.

وَأِنَّمَا قُلْتُ: ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
أَخْبَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِنْ عَطِيَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ
بِالْكَوْثَرِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأُنْحَرِ﴾، فَكَانَ مَعْلُومًا بِذَلِكَ أَنَّهُ
خَصَّهُ بِالصَّلَاةِ لَهُ، وَالنَّحْرِ عَلَى الشُّكْرِ لَهُ، عَلَى مَا أَعْلَمَهُ مِنَ النِّعْمَةِ الَّتِي
أَنْعَمَهَا عَلَيْهِ، بِإِعْطَائِهِ إِيَّاهُ الْكَوْثَرَ، فَلَمْ يَكُنْ لِحُضُوصِ بَعْضِ الصَّلَاةِ بِذَلِكَ
دُونَ بَعْضٍ، وَبَعْضِ النَّحْرِ دُونَ بَعْضٍ وَجْهٌ، إِذْ كَانَ حَتًّا عَلَى الشُّكْرِ عَلَى
النِّعْمِ. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْنُ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ الْكَوْثَرَ، إِنْعَامًا مِنَّا عَلَيْكَ بِهِ،
وَتَكْرُمَةً مِنَّا لَكَ، فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِذْ لَهُ صَلَاتَكَ وَنُسُكَكَ، خِلَافًا
لِمَا يَفْعَلُهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَنَحَرَ لِلْأَوْثَانِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ شَانِكَ﴾ إِنَّ
مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ وَعَدُوَّكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يَعْنِي بِالْأَبْتَرِ: الْأَقْلَّ وَالْأَذَلَّ الْمُنْقَطِعَ
دَابِرُهُ، الَّذِي لَا عَقَبَ لَهُ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِذَلِكَ، فَقَالَ

بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَقَالَ قَتَادَةُ أَيضًا: الْأَبْتَرُ: الْحَقِيرُ الدَّقِيقُ الذَّلِيلُ".
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَه عِكْرِمَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ مُبْغِضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَقْلُّ الْأَذَلُّ، الْمُنْقَطِعُ عَقْبُهُ، فَذَلِكَ صِفَةٌ كُلِّ مَنْ أَبْغَضَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَخْصٍ بَعِيْنِهِ.



سُورَةُ الْكَافِرُونَ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سِتٌّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَارِثُونَ ۖ لَمْ يَجْعَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا مُحْتَمِلًا غَمًّا وَمُجْرَمًا ۗ وَمَا أَتَىٰ بِهَا لِكُلِّ دِينٍ سَبِيلًا ۗ﴾^(١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ^(٢) وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ^(٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ^(٤) وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ^(٥) لَكُمْ دِينُكُمْ^(٦) وَرَبِّ دِينِ^(٦).

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِهِ فِيمَا ذُكِرَ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ سَنَةً، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَهُمْ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَعْرِفَةَ جَوَابِهِمْ فِي ذَلِكَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ هَلْؤَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عِبَادَةَ أَهْلِهِمْ سَنَةً، عَلَى أَنْ يَعْبُدُوا إِلَهَكَ سَنَةً ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ بِاللَّهِ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَوْثَانِ الْآنَ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، الْآنَ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ فِيمَا أَسْتَقْبِلُ، ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ فِيمَا مَضَى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ أَبَدًا، ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ أَنَا الْآنَ، وَفِيمَا أَسْتَقْبِلُ. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْخُطَابَ مِنَ اللَّهِ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا، وَسَبَقَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ، فَأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنَ الَّذِي طَمِعُوا فِيهِ، وَحَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُ وَلَا مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَأَيَسَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّمَعِ

فِي إِيْمَانِهِمْ، وَمَنْ أَنْ يُفْلِحُوا أَبَدًا، فَكَانُوا كَذَلِكَ لَمْ يُفْلِحُوا وَلَمْ يَنْجَحُوا، إِلَى أَنْ قَتَلَ بَعْضُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ، وَهَلَكَ بَعْضُ قَبْلِ ذَلِكَ كَافِرًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَكُمْ دِينُكُمْ فَلَا تُتْرَكُونَهُ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ خْتَمَ عَلَيْكُمْ، وَقَضِيَ أَنْ لَا تَنْفَكُوا عَنْهُ، وَأَنْتُمْ تَمُوتُونَ عَلَيْهِ، وَلِي دِينُ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، لَا أَتْرُكُهُ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ مَضَى فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنِّي لَا أَتَقَلُّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ﴾ قَالَ: "لِلْمُشْرِكِينَ؛ قَالَ: وَالْيَهُودُ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُونَ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَكْفُرُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَتَلُوا طَوَائِفَ الْأَنْبِيَاءِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، قَالَ: إِلَّا الْعِصَابَةَ الَّتِي بَقُوا، حَتَّى خَرَجَ بُخْتَنَصْرٌ، فَقَالُوا: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، دَعَا اللَّهَ وَلَمْ يَعْبُدْهُ وَلَمْ يَفْعَلُوا كَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَى، قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَعَبُدْهُ"، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: كَرَّرَ قَوْلُهُ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى وَجْهِ التَّوَكُّيدِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥-٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَتَرُونَ الْجَيْمَ

٦ ﴿لَتَرُونَهَا عَيْبَ الْبَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٦-٧].

سُورَةُ النَّصْرِ
مَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا ثَلَاثٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ وَرَأَيْتَ
النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا ۝٣﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ
عَلَى قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْفَتْحُ: فَتْحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ مِنْ صُنُوفِ
الْعَرَبِ وَقَبَائِلِهَا أَهْلَ الْيَمَنِ مِنْهُمْ، وَقَبَائِلَ نِزَارَ ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾
يَقُولُ: فِي دِينِ اللَّهِ الَّذِي ابْتَعَثَكَ بِهِ، وَطَاعَتِكَ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا ﴿أَفْوَاجًا﴾
يَعْنِي: زُمْرًا فَوْجًا فَوْجًا. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَاهِدُ، وَابْنُ
زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يَقُولُ: فَسَبِّحْ رَبَّكَ وَعَظِّمُهُ بِحَمْدِهِ
وَشُكْرِهِ، عَلَى مَا أَنْجَزَ لَكَ مِنْ وَعْدِهِ، فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ لَأَحِقُّ بِهِ، وَذَائِقُ مَا ذَاقَ
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِهِ مِنَ الْمَوْتِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قَالُوا: فَتْحُ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ، قَالَ: فَأَنْتَ يَا

ابن عباسٍ ما تقول؟ قلت: مثل ضربٍ لحَمَدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ^(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ قَدْ أَحَدَّثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «قَدْ جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ»^(٢).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٣)، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ يَقُولُ: وَسَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَكَ، ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ ذَا رُجُوعٍ لِعَبْدِهِ، الْمُطِيعِ إِلَى مَا يُحِبُّ، وَالْمُهَاءُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ﴾ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨١٧)، و(٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

سُورَةُ الْمَسَدِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا خَمْسٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾
يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَخَسِرَ هُوَ، وَإِنَّمَا عُنِي بِقَوْلِهِ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ تَبَّ عَمَلُهُ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: قَوْلُهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ دُعَاءٌ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَتَبَّ﴾ فَإِنَّهُ خَبَرٌ، وَيُذَكَّرُ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ"، وَفِي دُخُولِ قَدْ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ، وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ لِأَخْرَجَ: أَهْلَكَكَ اللَّهُ، وَقَدْ أَهْلَكَكَ، وَجَعَلَكَ صَالِحًا وَقَدْ جَعَلَكَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَصَّ بِالدُّعْوَةِ عَشِيرَتَهُ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وَجَمَعَهُمْ لِلدُّعَاءِ، قَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَهَذَا دَعْوَتَنَا؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ

إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمْسِيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَهَذَا دَعَوَتَنَا وَجَمَعَتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ إِلَى آخِرِهَا»^(١).

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَدَفَعَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ وَهُمْ وَلَدُهُ، وَقَالَ بَنُوهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ هَبٍ﴾ يَقُولُ: سَيَصِلَىٰ أَبُو هَبٍ نَارًا ذَاتَ هَبٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يَقُولُ: سَيَصِلَىٰ أَبُو هَبٍ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، نَارًا ذَاتَ هَبٍ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةٌ قُرَاءَ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ: (حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) بِالرَّفْعِ، غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، فَأَنَّهُ قَرَأَ ذَلِكَ نَصْبًا فِيمَا ذُكِرَ لَنَا عَنْهُ.

وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَنِ عَاصِمٍ، فَحُكِيَ عَنْهُ الرَّفْعُ فِيهَا وَالنَّصْبُ، وَكَأَنَّ مَنْ رَفَعَ ذَلِكَ جَعَلَهُ مِنْ نَعْتِ الْمُرَاةِ، وَجَعَلَ الرَّفْعَ لِلْمُرَاةِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْحَبْرِ، وَهُوَ سَيَصِلَى، وَقَدْ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَافِعُهَا الصِّفَةُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ وَتَكُونُ «حَمَّالَةٌ» نَعْتًا لِلْمُرَاةِ.

(١) أخرجه البخاري، برقم (٤٩٧٢).

وَأَمَّا النَّصْبُ فِيهِ فَعَلَى الدَّمِّ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ نَصْبُهَا عَلَى الْقَطْعِ مِنَ الْمَرْأَةِ؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ مَعْرِفَةٌ، وَحَمَالَةٌ الْحَطْبِ نَكْرَةٌ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: الرَّفْعُ؛ لِأَنَّهُ أَفْصَحُ الْكَلَامِينَ فِيهِ، وَلِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءِ عَلَيْهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿حَمَالَةٌ الْحَطْبِ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ تَجِيءُ بِالشُّوكِ فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَدْخُلَ فِي قَدَمِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَيَزِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَطِيَّةُ الْجُدَلِيُّ، وَالصَّحَّاحُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: قِيلَ لَهَا ذَلِكَ: حَمَالَةٌ الْحَطْبِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَبُّ الْكَلَامَ، وَتَمْتَشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَتُعَيِّرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَقْرِ، قَالَ ذَلِكَ عِكْرِمَةُ، وَجُبَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَسُفْيَانٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ تُعَيِّرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَقْرِ، وَكَانَتْ تَحْتَبُّ فَعَيَّرَتْ بِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَبُّ.

وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي، قَوْلُ مَنْ قَالَ: كَانَتْ تَحْمِلُ الشُّوكَ، فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ أَظْهَرُ مَعْنَى ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ﴾ يَقُولُ فِي عُنُقِهَا؛ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْعُنُقَ جِيدًا، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:
 هِيَ حِبَالٌ تَكُونُ بِمَكَّةَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.
 وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَسْدُ: اللَّيْفُ، قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: "سِلْسِلَةٌ مِّنْ حَدِيدٍ،
 ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا".

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: "مِنْ حَدِيدٍ".

وَقَالَ سُفْيَانٌ: "حَبْلٌ فِي عُنُقِهَا فِي النَّارِ مِثْلُ طَوْقِ طَوْقِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا".
 وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَسْدُ: الْحَدِيدُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْبَكْرَةِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ،
 وَعِكْرَمَةُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ قِلَادَةٌ مِّنْ وَدَعٍ فِي عُنُقِهَا، قَالَهُ قَتَادَةُ.
 وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ حَبْلٌ جُمِعَ مِنْ
 أَنْوَاعٍ مُّخْتَلِفَةٍ، وَلِذَلِكَ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي ذَكَرْنَا.

سُورَةُ الْبَاخِلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا أَرْبَعٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

ذُكِرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَسَبِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ جَوَابًا لَهُمْ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَأَنْزَلَتْ جَوَابًا لَهُمْ، قَالَ ذَلِكَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَعُكْرَمَةَ، وَجَابِرَ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةَ.

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا: قُلْ يَا مُحَمَّدُ هُوَ لِأَيِّ السَّائِلِينَ عَنْ نَسَبِ رَبِّكَ وَصِفَتِهِ، وَمَنْ خَلَقَهُ: الرَّبُّ الَّذِي سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ عِبَادَةٌ كُلُّ شَيْءٍ، لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الرَّافِعِ ﴿أَحَدٌ﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّافِعُ لَهُ اللَّهُ، وَهُوَ عِمَادٌ، بِمَنْزِلَةِ الْهَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ: بَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ، وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً بِالِاسْتِثْنَاءِ، كَقَوْلِهِ: هَذَا بَعْلِي شَيْخٌ، وَقَالَ: هُوَ اللَّهُ جَوَابٌ لِكَلَامِ قَوْمٍ قَالُوا لَهُ: مَا الَّذِي تَعْبُدُ؟ فَقَالَ: هُوَ اللَّهُ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: فَمَا هُوَ؟ قَالَ: هُوَ أَحَدٌ.

وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿أَحَدٌ﴾ بِمَعْنَى: وَاحِدٍ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْعِمَادُ مُسْتَأْنَفًا بِهِ، حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الشَّكِّ، كظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا، وَكَانَ وَذَوَاتِهَا، أَوْ إِنَّ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هُوَ أَشْبَهُ بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْأَمْصَارِ: ﴿أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾ بِتَنْوِينِ أَحَدٍ، سِوَى نَضْرِ بْنِ عَاصِمٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنْهَا تَرْكُ التَّنْوِينِ: "أَحَدُ اللهُ"؛ وَكَأَنَّ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، قَالَ: نُونُ الْإِعْرَابِ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا الْأَلْفُ وَاللَّامُ أَوْ سَاكِنٌ مِنَ الْحُرُوفِ حُذِفَتْ أَحْيَانًا، وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: التَّنْوِينُ، لِمَعْنِيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَفْصَحُ اللَّعْتَيْنِ، وَأَشْهَرُ الْكَلَامَيْنِ، وَأَجُودُهُمَا عِنْدَ الْعَرَبِ.

وَالثَّانِي: إِجْمَاعُ الْحُجَّةِ مِنْ قُرَاءِ الْأَمْصَارِ عَلَى اخْتِيَارِ التَّنْوِينِ فِيهِ، فَفِي ذَلِكَ مُكْتَفَى عَنِ الْإِسْتِشْهَادِ عَلَى صِحَّتِهِ بغيرِهِ. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى قَوْلِهِ أَحَدٌ فِيمَا مَضَى، بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الله الصَّمَدُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الْمُعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ الصَّمَدُ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الصَّمَدِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ بِأَجُوفَ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالضُّحَّاكُ، وَعُكْرَمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَابْنُ عَامِرٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الَّذِي لَا يُجْرَجُ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَه عكرمة.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، قَالَه أبو العالية، ومحمد بن كعب.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُودْدُهُ، قَالَه شقيق، وقال ابن عباس: "السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُودِّهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ عَظُمَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِلْمِهِ، وَالغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي جَبْرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّودِدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ".

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَى، قَالَه الحسن، وقاتدة.
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: الصَّمَدُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ، الَّذِي لَا أَحَدَ فَوْقَهُ، وَكَذَلِكَ تُسَمَّى أَشْرَافُهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْكَلِمَةِ، الْمُعْنَى الْمَعْرُوفُ مِنْ كَلَامٍ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يَقُولُ: لَيْسَ بِفَانٍ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَلِدُ إِلَّا هُوَ فَإِنْ بَاءُ.
 ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ يَقُولُ: وَلَيْسَ بِمُحَدَّثٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ، لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ فَإِنَّمَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَحَدَّثَ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ، وَدَائِمٌ لَمْ يَبْدُ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَفْنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْبَةٌ وَلَا مِثْلٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَكَعْبٌ، وَابْنُ جَرِيحٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ، قَالَه مَجَاهِدٌ. وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿كُفُوًا﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةٌ قُرَاءَةَ الْبَصْرَةِ: ﴿كُفُوًا﴾ بِضَمِّ الْكَافِ وَالْفَاءِ.

وَقَرَأَهُ بَعْضُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ بِتَسْكِينِ الْفَاءِ وَهَمْزِهَا (كُفْتًا). وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، وَلُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، فَبَاتِيَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ.

سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا خَمْسٌ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤ ﴾ .

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مِنَ الْخَلْقِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى الْفَلَقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى هَذَا الْإِسْمَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَلَقُ: الصُّبْحُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: الْفَلَقُ: الْخَلْقُ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْخَلْقِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وَالْفَلَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ:

فَلَقُ الصُّبْحِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ أَبِينُ مِنْ فَلَاقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَاقِ الصُّبْحِ،

وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ فِي جَهَنَّمَ سِجْنٌ اسْمُهُ فَلَاقٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَضَعَ دَلَالََةً عَلَى أَنَّهُ عَنِي بِقَوْلِهِ: ﴿ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ بَعْضُ مَا يُدْعَى

الْفَلَاقُ دُونَ بَعْضٍ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ رَبَّ كُلِّ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ، وَجَبَ

أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ كُلُّ مَا اسْمُهُ الْفَلَاقُ، إِذْ كَانَ رَبَّ جَمِيعِ ذَلِكَ وَقَالَ جَلَّ

ثَنَاءُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا كَانَ كُلُّ مَا سِوَاهُ، فَهُوَ مَا خَلَقَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ يَقُولُ: وَمِنْ شَرِّ مُظْلِمٍ إِذَا دَخَلَ، وَهَجَمَ عَلَيْنَا بِظُلَامِهِ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُظْلِمِ الَّذِي عُنِيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ كَوْكَبٌ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: ذَلِكَ الْكَوْكَبُ هُوَ الشُّرْيَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ: الْقَمَرُ، وَرَوَوْا بِذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرًا.

وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَعِيدَ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وَهُوَ الَّذِي يُظْلِمُ، يُقَالُ: قَدَّ غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسُقُ غُسُوقًا: إِذَا أَظْلَمَ ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يَعْنِي: إِذَا دَخَلَ فِي ظُلَامِهِ؛ وَاللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ فِي ظُلَامِهِ غَاسِقٌ، وَالنَّجْمُ إِذَا أَفَلَ غَاسِقٌ، وَالْقَمَرُ غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ، وَلَمْ يُخَصَّصْ بَعْضُ ذَلِكَ بَلْ عَمَّ الْأَمْرُ بِذَلِكَ، فَكُلُّ غَاسِقٍ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤَمَّرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ إِذَا وَقَبَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَى وَقَبَ: ذَهَبَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يَقُولُ: وَمِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ
الَّتِي يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الْحَيْطِ، حِينَ يَرْقِينَ عَلَيْهَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْحَاسِدِ الَّذِي
أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْ شَرِّ حَسَدِهِ بِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ
كُلُّ حَاسِدٍ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ.
وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْ شَرِّ
الْيَهُودِ الَّذِينَ حَسَدُوهُ.

وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، فَعَابَهُ أَوْ سَحَرَهُ، أَوْ بَعَاهُ سُوءًا وَإِنَّمَا
قُلْنَا: ذَلِكَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحْصِصْ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ شَرِّ
حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ حَاسِدًا دُونَ حَاسِدٍ، بَلْ عَمَّ أَمْرُهُ إِيَّاهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ
كُلِّ حَاسِدٍ، فَذَلِكَ عَلَى عُمُومِهِ.

سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا سِتٌّ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغَيْثِ
وَالنَّكَاسِ ﴿٦﴾﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَسْتَجِيرُ ﴿بِرَبِّ
النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ وَهُوَ مَلِكُ جَمِيعِ الْخَلْقِ: إِنْسِهِمْ وَجَنِّهِمْ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ، إِعْلَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ يُعَظِّمُ النَّاسَ تَعْظِيمَ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ، أَنَّهُ مَلِكٌ
مَنْ يُعَظِّمُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، تَجْرِي عَلَيْهِ قُدْرَتُهُ، وَأَنَّهُ أَوْلَى
بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقُّ بِالتَّعْبُدِ لَهُ مِمَّنْ يُعَظِّمُهُ، وَيَتَعَبَّدُ لَهُ، مِنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ يَقُولُ: مَعْبُودِ النَّاسِ، الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ دُونَ كُلِّ
شَيْءٍ سِوَاهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ يَعْنِي: مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الَّذِي
يُخْنِسُ مَرَّةً وَيُوسِسُ أُخْرَى، وَإِنَّمَا يُخْنِسُ فِيمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْعَبْدِ رَبَّهُ.
وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِهِ مِنْ شَرِّ شَيْطَانِ يُوَسْوِسُ مَرَّةً وَيُخْنِسُ أُخْرَى،
وَلَمْ يُخْصَّ وَسْوَاسُهُ عَلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا، وَلَا خُنُوسُهُ عَلَى وَجْهِ دُونَ وَجْهِ،

وَقَدْ يُوسُوسُ الدُّعَاءَ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِذَا أُطِيعَ فِيهَا خَنَسَ، وَقَدْ يُوسُوسُ
بِالنَّهْيِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ أَمْرَ رَبِّهِ، فَأَطَاعَهُ فِيهِ، وَعَصَى الشَّيْطَانَ
خَنَسَ، فَهُوَ فِي كُلِّ حَالَتَيْهِ وَسُوسٌ خَنَسٌ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ صِفَتُهُ

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: الشَّيْطَانَ
الْوَسْوَاسَ، الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ: جِنَّهُمْ وَإِنْسِهِمْ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:
فَالْجِنُّ نَاسٌ، فَيُقَالُ: الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ﴾: قِيلَ: قَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَاسًا، كَمَا سَمَّاهُمْ فِي مَوْضِعٍ
آخَرَ رِجَالًا، فَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فَجَعَلَ الْجِنَّ
رِجَالًا، وَكَذَلِكَ جَعَلَ مِنْهُمْ نَاسًا.

آخر كتاب التفسير، ولاحمد لله العلي الكبير

فهرس الموضوعات

٤	سُورَةُ النَّبَاِ
٢٣	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٤١	سُورَةُ عَبَسَ
٥١	سُورَةُ التَّكْوِيْرِ
٦٣	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ
٦٨	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ
٨٤	سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ
٩٦	سُورَةُ الْبُرُوْجِ
١١١	سُورَةُ الطَّارِقِ
١١٨	سُورَةُ الْاَعْلَى
١٢٨	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ
١٣٧	سُورَةُ الْفَجْرِ
١٥٥	سُورَةُ الْبَلَدِ
١٦٦	سُورَةُ الشَّمْسِ
١٧٤	سُورَةُ اللَّيْلِ
١٨٣	سُورَةُ الضُّحَى
١٨٧	سُورَةُ الشَّرْحِ

- ١٩٠..... سُورَةُ التِّينِ
- ١٩٨..... سُورَةُ الْعَلَقِ
- ٢٠٤..... سُورَةُ الْقَدْرِ
- ٢٠٨..... سُورَةُ الْبَيِّنَةِ
- ٢١٣..... سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ
- ٢١٧..... سُورَةُ الْعَادِيَاتِ
- ٢٢٣..... سُورَةُ الْقَارِعَةِ
- ٢٢٦..... سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
- ٢٣١..... سُورَةُ الْعَصْرِ
- ٢٣٣..... سُورَةُ الْهُمَزَةِ
- ٢٣٩..... سُورَةُ الْفِيلِ
- ٢٤٤..... سُورَةُ فُرْيَشٍ
- ٢٥٠..... سُورَةُ الْمَاعُونِ
- ٢٥٣..... سُورَةُ الْكَوْثِرِ
- ٢٥٩..... سُورَةُ الْكَافِرُونَ
- ٢٦١..... سُورَةُ النَّصْرِ
- ٢٦٣..... سُورَةُ الْمَسَدِ
- ٢٦٧..... سُورَةُ الْإِنْخِلَاصِ

٢٧١.....سُورَةُ الْفَلَقِ

٢٧٤.....سُورَةُ النَّاسِ

٢٧٦.....فهرس الموضوعات